جامعة الجزائر 2–أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

الاسهام الحضاري لشرق الأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين

479هـ–668هـ/1185م–1269م

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ الدكتور:

بلقاسم بواشرية محمد الأمين بلغيث

–لجنة المناقشة–

الأستاذ	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د أحمد شريفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله	رئيسا
أ.د محمد الأمين بلغيث	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر1	مشرفا ومقررا
أ.د توفيق عبد الصمد مزاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية– يحي فارس	عضوا مناقشا
د. موسى هيصام	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية– يحي فارس	عضوا مناقشا
د. الحاج العيفة	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله	عضوا مناقشا
د. موسى هواري	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1437هـ–1438هـ/ 2016م–2017م



جامعة الجزائر 2–أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

الاسهام الحضاري لشرق الأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين

479هـ–668هـ/1185م–1269م

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:

بلقاسم بواشرية

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد الأمين بلغيث

لجنة المناقشة

الأستاذ	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د أحمد شريفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعدالله	رئيسا
أ.د محمد الأمين بلغيث	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر1	مشرفا ومقررا
أ.د توفيق عبد الصمد مزاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية– يحي فارس	عضوا مناقشا
د. موسى هيصام	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية– يحي فارس	عضوا مناقشا
د. الحاج العيفة	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعدالله	عضوا مناقشا
د. موسى هواري	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعدالله	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1437هـ–1438هـ/ 2016م–2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

شكر وعرفان

الفضل بيده وحده سبحانه والتوفيق منه جلّ في علاه ما دام العبد يلقى عون إخوانه على قيام صالح أعماله، فقد ورد في الأثر أنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ولهذا فبجزيل الشكر وخالص التقدير أتقدم إلى أستاذي **الفاضل محمد الأمين بلغيث** الذي لم يدّخر جهدا في توجيهي معرفيا ومنهجيا رغم تعدُّد واجباته العلمية والتزاماته الاجتماعية، فألف شكر إليه، كما لا يسع شكري هذا كل من قدّم يد المساعدة لإنجاز هذا العمل المتواضع خاصّة الأستاذ الدكتور **أحمد شريفي والسيّد عمر سعيداني** اللذين ساهما بشكل كبير في توفير الجو وتحسين أوضاعي الاجتماعية ما أعطى دفعا لسيرورة البحث في آجاله المحددة.

بلقاسم بواشرية

الاهداء

إلى روح والدي الطاهرة تحت الثرى حسن الرحمن مثواه

إلى ينبوع الحنان والرحمة التي:

تجر للدّهر خلفها هُمُومه والثقل يهُدم على الرّجلين خُطاها

حتّى أضحت رُسوم من نعليها على جنادل أرضها وثراها

فعزّ ماء السّها عليه أن زالها ولا تعانق الأيام محاها

لمّا أتيت ألقت عيني نظرة أصاب سهمُها ورمى عيناها

فأمطرت عيني منها دموعها لما اشتدّ رعد غيم شجاها

إلى السّيد **عمر سعيداني** الذي أزاح من طريقي صعوبات جمّة سلم الخطو في أعقابها

إلى رفيقة الدّرب التي ضحّت بجهدها ووقتها في سبيل إنجاح هذا العمل"**سمية**"

إلى ابنتاي **رهف الهناء وبسمة الحياة**

إلى كل طالب علم مجاهد في سبيله أهدي هذا الجهد المتواضع

بلقاسم بواشرية



المقدمة

مقدمة:

سعت الدراسات التاريخية الحديثة محاولة إبراز كل ما تعلق بالحياة الإنسانية خلال العصر الإسلامي في الأندلس، ولكن مهما بلغت هذه الدراسات الهدف المقصود فإن ما خفي عن الباحثين كان أعظم وأكثر مما توصلوا إليه، لأن التاريخ الحضاري الإسلامي في الأندلس إما مجهولة مصادره أو بعيدة المنال وحتى المتوفرة منها لم ترقَ بعد إلى التحليل والتمحيص اللازمين لتفسير حياة المجتمع في منطقة الدراسة لكن هذا لا يعني التقليل من شأن الدراسات الموجودة.

ومن هنا فإننا نلج ميدانا بحثيا مصادره التاريخية ضئيلة متناثرة، وحتى الموجودة منها فإنه يغلب فيها أسلوب استنباط المعلومات، يضاف إلى ذلك أن دراسة الحياة الاجتماعية وبُناها وتراكيبها في شرق الأندلس ظلت حتى عهد قريب مجالا لدراسات قليلة جدا، ولم تسمح السجلات التاريخية والتي اعتمدها الباحثون حتى الآن كمصادر أساسية في دراسة تاريخ الحقب الزمنية المختلفة بأكثر من إرساء السياق السياسي العام للأحداث التاريخية، فهي لا تكاد تلمح شيء عن حقائق الخلفية الاجتماعية السائدة.

ولهذا فالكشف عن كل ما تعلق بهذه الحياة ضروري البذل فيها خاصة من طرف المتخصصين، ومنطقة شرق الأندلس لها من الأهمية بمكان لما تحويه من موقع جغرافي وموضع لعبا خلال العصر الإسلامي عظيم دور، سواء كان سياسيا ، اجتماعيا أو اقتصاديا وبصفة عامة حضاريا بكل ما تعنيه الكلمة من معان.

1- أهمية الموضوع:

ومما سبقت الاشارة إليه أعلاه يمكن تصنيف أهمية الموضوع إلى:

أولا: أهمية اقتصادية وذلك من خلال التعرف على الإمكانيات المتوفرة سواءً الطبيعية كالموقع والمناخ والتربة والمياه(الأنهار)أو المواقع الاقتصادية أي كالموانئ والأسواق والطرق البرية والبحرية، ومن ثم يمكن الكشف عن مختلف الأنشطة الاقتصادية الممارسة كالزراعة والصناعة والتجارة وتوابعها، ثم تبيان نوعية الإنتاج وكميته وما ينجر عنها من علاقات اقتصادية وسياسية واجتماعية بين مختلف الفئات لمنطقة واحدة أو بين مجتمع إسلامي وآخر نصراني.

ثانيا: أهمية اجتماعية إن دراسة مجتمع ومختلف فئاته والتعرف على العلاقات الفردية والجماعية، يكشف المستوى الذي بلغه هذا المجتمع أو ذاك والتطور الحاصل في التنظيم إن كان هناك نظام اجتماعي واحد يربط أفراده حسب القانون العام، ومن ثم يمكن تحديد نوع الثقافة الاجتماعية

السائدة في المنطقة المعينة خلال فترة زمنية ما، ومقارنتها بمنطقة أخرى إذا كان هناك اختلاف في التواصل الاجتماعي سواء على المستوى المحلي أو الخارجي.

ثالثا: أهمية فكرية وعلمية إن تطور مجتمع ما أو تخلّفه مرتبط أساسا بالمستوى العلمي والثقافي، وليس هناك مستوى من غير وجود حركة علمية أو فكرية، وطبيعي جدا أن المجتمع الأندلسي قد بلغ زمام الحضارة من خلال ما هو سائد بين أفراده من علم وفكر وثقافة تميزت بتميزه عن بقية المجتمعات الإسلامية المشرقية أو النصرانية الأوربية، خاصة وأن فترة الدراسة هذه قد ورثت السلطة الحاكمة المغربية الجديدة-المرابطون والموحدون-إرثا فكريا وثقافيا كبيرا وأضافت إليه ما توفر لها من إمكانيات.

2- إشكالية الموضوع وأسباب اختياره:

ويعود اختياري لهذا الموضوع بناءً على الكثير من التساؤلات عامها وخاصها، وأهمها:

- ما المقصود بإقليم شرق الأندلس؟ وما هو امتداده داخل شبه الجزيرة؟ وما هي المدن التي تمثل هذا الإقليم؟

- هل لمنطقة شرق الأندلس أهمية كبرى فعلا في البلاد الأندلسية خلال العصر الإسلامي؟ وإن يكن ففيما تجلت تلك الأهمية؟ وهل يمكن تحديدها وفق مستلزمات العصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الجغرافية؟ ولماذا تبوأ هذا الاقليم تلك المكانة الحضارية طبعا على غرار الأقاليم الباقية الموسطة والغرب؟

- هل يمكن الكشف من خلال دراسة الواقع الاجتماعي والاقتصادي عن التغير الحاصل في الحياة الإنسانية حسب المعطيات المتوفرة في الإقليم خلال مراحل الحكم الإسلامي لفترة الدراسة، أم أنه ليس هناك تغير لطالما الإنسان منذ نشأته لازال كما هو له ضرورات بيولوجية يسعى لها ما دام على قيد الحياة؟

- إن السّعي للكشف عن أسرار المجتمع الإنساني فلسفة يجد الدارس المتخصص نفسه مقحما لخوض غمارها. لذا هل يمكن تحديد أنواعا متفرقة من المجتمعات أم أن هذه الأخيرة لا تختلف إلا من حيث اختلاف موقع وجودها وخصوصيات تتعلق بنوع الممارسات اليومية الفردية والجماعية؟

- ما هو الوضع الفكري والعلمي الذي ساد المنطقة خلال تلك الفترة وهل كان ذلك انعكاس حقيقي للواقع المعيش بل هل كان له تأثير على واقع الحال؟

– ما طبيعة العمران وهل عرفت الفنون شكلا خاصا أم كان استمرارا لما ألفه أهل الأندلس خلال عصر الطوائف؟

3– الدراسات السابقة عن الموضوع:

تناول بعض الباحثين إقليم شرق الأندلس من خلال دراسة بعض مدنه الرئيسة والكشف عن ميِّزاتها سواءً الجغرافية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية وغيرها، ونظرا لأهمية المنطقة في تاريخ الأندلس فقد عرفت تغيرات من جميع النواحي عبر كل مراحلها التاريخية، وهذا ما نلمسه عند أولئك الباحثين، وأهم تلك الدراسات نجد دراسة **محمد أحمد أبو الفضل** في كتابه **"شرق الأندلس في العصر الإسلامي"**، وهذه دراسة مهمّة جدا، حيث يتناول صاحبها التاريخ السياسي والحضاري للمنطقة إلا أنها تقتصر على نهاية فترة المرابطين وعصر الموحدين .

ونظرا لأعمال المؤرخ **حسين مؤنس** المهمة في تاريخ الأندلس، فقد كان نصيب منها لمنطقة الدراسة، في أهم بحوثه المتميزة منها كتاب **"فجر الأندلس"** حينما يتكلم عن الإقليم المعروف بإقليم أو ساحل الأرانب الذي كان خلوا من العمران قبل قدوم العرب المسلمين، إلى جانب ذلك فهذا المؤرخ لطالما ركّز اهتماماته البحثية حول كل ما تعلق بتاريخ المنطقة خاصة خلال فترة الدراسة هذه، حيث اكتشف الكثير من الوثائق التي تؤرخ للمنطقة، مثل: **"وثائق المرابطين والموحدين"**، أو كما أطلق عليها "الوثائق الاقتصادية والاجتماعية" نظرا لكل موضوعاتها المتعلقة بالحياة من هذين الجانبين.

وقد أضافت دراسة **المؤرخ محمد الأمين بلغيث** والموسومة بـــ **"الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين"**، رصيدا معرفيا مهما في حقل البحوث الأندلسية المعاصرة، بل قدم مادة دسمة في المجال العلمي والفكري الذي ساهمت به المنطقة في تاريخ الأندلس، حيث يكتشف أدباء كبار من شرق الأندلس.

ومنها كذلك أعمال المؤرخين **أبو الفضل وعبد العزيز سالم** حول المرية والأسطول في شرق الأندلس في عصري المرابطين والموحدين، فكلاهما انفردا واجتمعا حول عاصمة الاقليم مدينة المرية باعتبارها مركزا اقتصاديا وفكريا هاما في هذا الاقليم.

أما الباحث **كمال السيد أبو مصطفى** فله بحثين مهمين حول الموضوع، الأول بعنوان **"تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي"**، يبرز مكانة مدينة بلنسية في إقليم شرق الأندلس ومساهمتها الحضارية في المنطقة، أما الثاني تحت عنوان **"دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس"**

والذي يبين من خلاله أهمية مدينة طرطوشة كقاعدة أسطول الأندلس الشرقية، وقد أنشأ بها عبد الرحمان الناصر"300-350هـ/912م-961م" دار صناعة السفن سنة 333هـ/944م،حتى أصبحت قاعدة بحرية في الساحل الشرقي للأندلس كما أنها كانت متزل أسطول عاصمة الإقليم "المرية".

إلى جانب هذه الدراسات هناك بحوث للمؤرخ محمد عبد الله عنان، عرفت بـ **"دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها إلى الفتح المرابطي والعصر الثالث المتمثل في عهد المرابطين والموحدين** "، حيث يتطرق إلى أهم مدن شرق الأندلس أهمها عاصمة الإقليم: المرية بالإضافة إلى مرسية، ودانية، والجزائر الشرقية وبلنسية، وشنتمرية الشرق، وألبونت، ومدن الثغر الأعلى الفاعلة في تحريك الأحداث السياسية والأدوار الحضارية في إقليم شرق الأندلس.

وإلى هذا كله هناك بحوث ودراسات جمعتها الباحثة **سلمى الخضراء الجيوسي** والموسومة بـ **"موسوعة الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس"**، وتحتوي على مقالات مهمّة جدّا لباحثين أوربيين وعرب متخصّصين، تتنوّع مواضيعها حول الدّراسات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الموحدين.

4- الصعوبات والعراقيل:

لا تخلو أية دراسة أو بحث علمي من صعوبات جمة، إلا أنها تختلف باختلاف ظروف صاحبها الاجتماعية والعائلية والمهنية وحتى النفسية، لذلك فكثيرة هي العراقيل التي واجهتني في إعداد هذه الأطروحة، خاصة الظروف المهنية التي لم تكن في صالحي ولا في صالح البحث على الاطلاق، وربما هذا ما انعكس فعلا على كل خلل أو نقص أو غير ذلك، بحيث لم تتح لي أي فرصة للسفر إلى مكان الدراسة للاستفادة أكثر والاطلاع على ما جدّ في حقل البحث العلمي خاصة في الفترة والمكان المقصودين، وبالرغم من ذلك حاولت جهدي في تخطِّيها وتجاوزها، فكانت عثرات سَلِمَ الخَطْوُ في أعقابها، وقد عوضتني شبكة الأنترنيت وأزاحت أمامي تعب كبير بصدد البحث عن مصادر ومراجع ومقالات ورسائل جامعية، دون التنقل إلى المكتبات الورقية.

5- منهج الدراسة:

لا يمكن بأي حال من الأحوال الخروج عن ما هو متداول في أعمال البحث التاريخي، حيث يتم التعرف على الأخبار على اختلاف مجالاتها، وذلك بسردها وتقديمها بوصف خاص، وليس في

الإمكان معالجته إلا بقراءة تحليلية كاشفة عن حقائق واقعية، وهو أسلوب الإتيان بالاستنتاجات المدعمة بالمعلومات الموثقة توثيقا محكما.

6- شرح موجز لخطة البحث:

من خلال ما أتيح لي من مادة علمية فإني قسّمت البحث، إلى مقدمة وفصل تمهيدي وخمسة فصول ثم الخاتمة، وهي على الشكل التالي:

-**الفصل التمهيدي** بعنوان "**الأحوال السياسية لشرق الأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين**"، إن التعرُّف على مستوى التقدّم الحضاري لإقليم شرق الأندلس، يفرض الاطلاع أو كشف الحياة والظروف السياسية التي عاشها خلال فترة البحث، لكن دون التعمق حتى لا تخرج الدراسة عن إطارها العام، وذلك تيسيرا لتموقع الباحث في المكان والزمان المعنيين من الدراسة، هذا من جهة ومن أخرى لا يمكن بأي حال من الأحوال في مثل هكذا بحوث والخاصة بالجانب الحضاري، الكشف عن مجالاته دون التطرق لأخبار السلطة الحاكمة باعتبارها الراعي الأول الذي يساهم في ذلك المستوى على كل الأصعدة سواء كان التقدم أو التخلف فللسياسة جانب مهم شئنا أم أبينا، ولذلك تطرّقت في هذا الفصل إلى أحوال المنطقة السياسية وكيف انتقلت السلطة من يد ملوك الطوائف إلى المرابطين القادمين من العدوة المغربية لإنقاذ البلاد من تسلط النصارى على المسلمين في ظل سُلَط متناحرة هدفها المحافظة على كرسي الحكم بدل المحافظة على لُحْمَة المسلمين، ثم رأينا كيف آل الحال لما ضعفت الدولة وتقاسمتها أطراف متصارعة بين فقهاء ومريدين وشذاذ آفاق، فكان شرق الأندلس مسرحا للثورة على المرابطين واقتسام تركتهم السياسية، حيث خضعت المنطقة لابن مردنيش لقرابة خمسة وعشرين سنة، ثم تغلُّب الموحدين عليه وتملُّكهم ما كان بيده من منطقة الشرق، إلا جزر البليار التي حافظت على السلطة المرابطية متمثلة في أسرة بني غانية، مع إقرار السلام مع الموحدين، إلى أن تم إخضاع المنطقة نهائيا بعد تطاول أحد أفرادها على أملاك الموحدين في المغرب مع نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي.

الفصل الأول: تحت عنوان "**جغرافية شرق الأندلس**"، كان لزاما من أجل التعرف على المستوى الاقتصادي لإقليم شرق الأندلس، أن نتعرض للجغرافيا وما تحويه موقعا وموضعا لهذا الاقليم، بحيث تم التطرق إلى التعريف بالمنطقة وما اتفقت عليه المصادر والبحوث الحديثة، عن ما يشمله الاقليم من كور ومدن، وهذا دائما مقترن بأهم المصطلحات الدالة على المناطق الجغرافية المختلفة،

إذ ألقيتُ نظرة حول أهم تلك المصطلحات من مدن وكور وأقاليم وقرى ...وغيرها، ومن ثم الحديث عن مَيِّزَاتِهَا سواء التّضاريس من جبال وسهول وهضاب أو أقاليم مناخية أو مجاري مائية، كل هذا من أجل كشف العوامل الطبيعية التي لها علاقة مباشرة بمختلف الأنشطة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، وفي نهاية الفصل حاولت التعريف قدر المستطاع بأهم المدن والمراكز التي كانت حاضرة فترة الدراسة، وما قيل فيها من قبل المؤرخين أو الشعراء الذين خلّدوها في كلماتهم، لأنها ببساطة لعبت دورا مهمّا في الجانب الحضاري للمنطقة، كمدينة المرية أو بلنسية أو مرسية أو دانية ..أو جزر البليار التي حاولت أن أزيل بعض اللُّبس حول إنتماء هذه الجزر لمنطقة الشرق، مع تقديم بعض الدلائل الجغرافية والاجتماعية والتاريخية لذلك، حتى وإن أشار علي الدكتور عمارة علاوة بالتخلي عنها أو إدراجها كفصل أول للدراسة مع الأوضاع السياسية والجغرافية للمنطقة، فجزيل الشكر إليه، لكن ملاحظات الأستاذ المشرف محمد الأمين بلغيث، أوحت إلي أنه ليس بها بأس ما دام الأمر مُحكما ومرتّبا ترتيبا موضوعاتيا مقبولا جدا.

<u>الفصل الثاني</u> وعنوانه "**الحياة الاقتصادية**":

وفيه تم التطرُّق إلى تلك النشاطات التي لا تعدو تمثل حركية الانسان والمجتمع والدولة ومساهمتهم في استمرار الحياة، متمثلة في:

-أولا: **الزراعة** باعتبارها **قوام الحياة وقوت النفوس** كما قال الطغنري(القرن 6هـ/12م)، فهي من يشُدُّ عضُد الدول وهدوء المجتمعات والمحافظة على النظام العام، خاصة وأن منطقة الدراسة كانت بمثابة خزّان الأندلس لمختلف المنتوجات الزراعية، بل كانت المورد الهام سواء داخل المنطقة أو خارجها أو نحو ما وراء البحر، ولذاك كان من الضروري التطرّق للأراضي الزراعية، ونوع الملكيات باعتبار أن الأرض لعبت دورا أساسيا في النظام الاجتماعي والسياسي منذ الفتح العربي الاسلامي للمنطقة، ومن ثم التعرف على مختلف ما تنتجه تلك الأرض من محاصيل، إذا علمنا بظهور وازدهار ما يسمى بالمدرسة الزراعية الأندلسية خلال فترة الدراسة، والتي ساهمت بشكل كبير في تطوير الانتاج وتحسينه من خلال تلك الدراسات والتجارب التي قام بها علماء من المنطقة أو من مختلف بلاد الأندلس، سخّروا كل ما ملكوا من امكانيات فكرية ومادية في سبيل الوصول إلى نتائج لم يصل إليها من كان قبلهم من عرب وعجم في مجال الفلاحة والغراسة. وعليه ولما كانت الأرض لا تعتمد جُلُّها على مياه الأمطار، توصّل أهل المنطقة إلى معرفة طرق وتقنيات الرّي

والسّقاية، فبالإضافة إلى ما ورثوه ممن كان قبلهم في هذا المجال، أضافوا الكثير من تجاربهم الخاصة وطوروها، أضف إلى ذلك لمَّا كان الأمر يتطلب نظاما خاصا لتوزيع المياه والاستفادة منها، عمل سكان المنطقة على إيجاد سبيل يقيهم المنازعات التي غالبا ما تحصل على حصص المياه، حيث كان ما يعرف بمحكمة المياه تحت إشراف السلطة تعمل وفق نظام التناوب كما تتدخل في فك أي خلاف قد يحصل جراء ذلك.

- ثانيا: **الصناعة** و لم يكن هذا النشاط في منأى عن الزراعة بل كان مكمّلا لها، وذلك لارتباط هذه بتلك، وهنا أتيت على ذكر أهم الصناعات التي عرفتها المنطقة خلال عصر المرابطين والموحدين على السواء، وعلى رأسها صناعة النسيج التي بلغت مكانة عالمية من حيث الجودة والكمية، وقد مثّلت مدينة المرية العاصمة العالمية لإنتاج الحرير باعتباره أجود نسيج عرفته الانسانية ولا زالت قيمته الغالية وشهرته متداولة حتى أيامنا هذه، إلا أن هذه الصناعة عرفت انتكاسة خلال عصر الموحدين، وبالتالي أفل نجم عاصمتها -المرية- و لم يعد كما كان أيام المرابطين، وإلى جانبها بعض المدن الأخرى كمرسية وبلنسية دانية وطرطوشة وغيرها كل منها ذاعت شهرتها في مجال معين، فصناعة السفن مثلا وجدت لها مكانا مهمّا جدا في المنطقة، عملت الظروف السياسية والطبيعية على انتشارها عبر مراكز ومحطات الساحل الشرقي كلّه، حيث انتشرت دور صناعة السفن في كل من المرية ومرسية ودانية وطرطوشة.

وبالإضافة إلى هذين النوعين من الصناعة اشتهرت المنطقة بصناعة الفخار والخزف، لكون منتوجاتها حاضرة في الحياة اليومية لأفراد وأسر المنطقة، وقد ساعد على انتشارها وجود المواد الأولية وتوفرها في كل مدن وقرى شرق الأندلس، أضاف إليها أصحابها شغفهم الذي ينم عن روح الابداع وحب الاختراع مع التفنن في المزيد من صور الرفاه الاجتماعي الذي قل نظيره في مدن المغرب والمشرق الاسلاميين.

ثالثا- **التجارة**، وهذه بدورها المهم جدا في دفع عجلة الاقتصاد إلى تحقيق المزيد من الأرباح، التي تُدِرُّ فائضا ماليا على خزينة الدولة والأفراد على السواء، ومن ثم الرقي بمستوى العيش إلى النمط الانساني الذي من شأنه يجعل الانسان في مرتبة من الغنى والرفاه، حيث تم التطرق إلى أهم الطرق التجارية بنوعيها البرية، سواءً الداخلية أو الخارجية، والبحرية سواء النهرية داخل الأندلس أو ما وراء البحر، كذلك تم التطرّق لمختلف البضائع والسلع الحاضرة في الحركة التجارية الصادر منها

والوارد، وهذا ما كشف العلاقات التجارية الداخلية مع مدن الأندلس التي كثيرا ما كانت تصلها البضائع عن طريق الشرق، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على وجود الأسواق بالمنطقة وتوفرها على مختلف السلع، ومن ثم كانت علاقات التعامل التجاري الداخلي وحضور العملة كوسيلة أساسية في ذلك التعامل، وبالتالي تعرّفنا على العملة خلال العصر المرابطي الذي انتشرت فيه دور السكة في أغلب مدن منطقة الدراسة كمرسية وبلنسية ودانية والمرية...وغيرها، وارتفاع قيمتها التجارية من بين مختلف عملات دول تلك الفترة، وإلى جانب ذلك بروز العلاقات التجارية الخارجية مع الكثير من مدن العالم في إفريقيا وأوربا والمشرق العربي، حتى أصبحت المنطقة قبلة للتجار من شتى الأنحاء ساهموا بوجه أو بآخر في تطوير وازدهار الكثير من المدن كمدينة المرية مثلا خلال العصر المرابطي.

الفصل الثالث وكان بعنوان **الحياة الاجتماعية**، إذ تطرقت فيه إلى العناصر السكانية التي كانت تمثل مجتمع المنطقة، حيث عرجت على ذكر أهم هذه العناصر بدءا بالعنصر العربي والبربري باعتبارهما مُوجِّها الأحداث مباشرة بعد الفتح الاسلامي للمنطقة، فأتيت على ذكر موجات الفتح الأولى وأماكن استقرار كل من القبائل العربية والبربرية في المنطقة، وقد حاولت بذلك جهدي نفي بعض الآراء القائمة على التعصب، منها أن العرب استحوذوا على المناطق الخصبة في الأندلس، بل لم يكتفوا بذلك وإنما طردوا البربر إلى الأماكن الوعرة، وهذا ما لا يمكن قبوله في هذه الدراسة، كما حاولت أن أبين أن المجتمع قد عرف حركية من ناحية العناصر المكونة خاصة العربية، حيث لم تعرف المنطقة موجات تعمير نحو الأندلس كما كان عليه الحال أيام الفتح الاسلامي، وإنما اتضح أن العناصر التي حافظت على الهجرة نحو الأندلس واستمرت خلال فترة الدراسة هي العناصر البربرية، وذلك في موجات متتابعة عبر فترات متلاحقة.

وإلى جانب هذين العنصرين هناك عناصر أخرى وهم أهل الذمة كالنصارى المعاهدون أو ما يطلق عليهم بالمستعربين، وهؤلاء هم الذين بقوا على ديانتهم مع دفع الجزية وقلّما نجد نظيرا لهؤلاء في العالم خلال تلك الفترة، كونهم امتزجوا بالمسلمين واستعربوا ثقافة ولسانا وأسلوب حياة كما قال عنهم السيد مؤنس، بالإضافة إلى اليهود وهؤلاء ما غابوا عن ساحات الدول والأمم لا سياسة ولا اقتصادا ولا مجتمعا ولا حتى في المجال العلمي والفكري.

ويبقى العنصر الذي ما فتئ يتكون داخل أوساط المجتمع الأندلسي حتى أصبح هو الممثل الأكثر حضورا في هذا المجتمع، الذي هو نتاج تداخل العناصر الفاتحة مع السكان المحليين، فكان ما يعرف بـــ"المولدين"، فأصبحوا عنصرا حيويا فاعلا ضمن عناصر المجتمع الباقية، أما الذين أسلموا فقد أطلق عليهم المسالمة أو الأسالمة وصاروا جزءا لا فرق بينهم وبين باقي العناصر المسلمة ما دام الدين واحد.

وبعد التعرف على المجتمع وعناصره المكونة، تطرقت بعدها مباشرة إلى مظاهر الحياة العامة كاللباس والأطعمة والأشربة، حيث تم الكشف عن أهمية هذه الأخيرة في الحياة اليومية للأفراد، حتى بلغ من اهتمام بعضهم أن صنّف تصانيف في هذا الباب كابن رزين التجيبي المرسي ومؤلفه **"فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان"**، جمع فيها بين أنواع المأكول والمشروب من حيث الترتيب في التناول والأواني اللازمة للطهي وشروطهما مع مراعاة صحة البدن فهي الأهم والغاية الكبرى من ذلك. وبهذا يكون ارتباط الفكر مع مختلف مظاهر الحياة العامة في مجتمع كالمجتمع الأندلسي.

أضف إلى ذلك لم يكن الاهتمام بمختلف الأطعمة ونحوها مظهرا وحيدا اهتم به أفراد المجتمع، بل إنك تجد الاهتمام بلغ الغاية في تحصيل الرفاه الاجتماعي، من خلال الغناء والموسيقى باعتبارهما ضروريين لاستمرار الحياة، إلا أن فترة الدراسة ونظرا للظروف السياسية فإن سوق الغناء قد نضبت، حتى وإن وجدت في فترات متقاطعة فلم تعد كما كانت أيام الطوائف، وهذا انعكاس مباشر للأسس التي بُنيت عليها الدولتين المغربيتين على السواء-المرابطون والموحدون- الأسس الدينية المحضة، لكن ذلك لم يمنع من إقامة الاحتفالات على اختلافها، حيث المناسبات الدينية- عيدي الفطر والأضحى- أو الاحتفالات الشعبية كالمولد وعاشوراء والختان والأعراس وغيرها، أو مشاركة أهل الذمة في أعيادهم، وفي هذه الأخيرة كان هناك رأي خاص للفقهاء والعلماء.

- **الفصل الرابع** ويتناول **الجانب العلمي** الذي عاشته المنطقة خلال العصر المرابطي والموحدي، فالمرابطون ورثوا إرثا فكريا كبيرا كان عصره العصر الذهبي الذي قبله أي الطوائف- وبالتالي لم يُعدم المرابطون الفكر والثقافة خلال أيامهم كلّها، فقد كانوا يشربون مما تركه من كان قبلهم، ولذلك صنّفنا مختلف العلوم المعروفة إلى: - علوم الشريعة كالتفسير والقراءات والفقه والحديث، مع ذكر أهم الفقهاء والمفسرين الذي عرفتهم المنطقة خلال الفترة المذكورة على سبيل المثال لا

الحصر، كما تطرقت خلال التعريف بهذه العلوم إلى قضية جد حساسة عرفتها بلاد الأندلس كلها وهي الجدل الديني بين المسلمين والمسيحيين، هذا من جهة ومن أخرى تعدُّد الثقافة والمذاهب الفكرية من تصوف وفلسفة، ومن ثم تعدُّد المواقف واختلاف وجهات النظر، كموقف المالكية والسلطة من الصوفية ورجالها من جهة وموقف السلطة الموحدية من الفقه المالكي من زاوية أخرى.

إلى جانبها الأدب واللغة وأهمها الشعر وتعدد أغراضه بين المدح والوصف والهجاء والرثاء، مع التمثيل ببعض الشعراء وما تناولته أشعارهم في هذا الغرض أو ذاك، كما أن هناك ظاهرة في هذا المجال تميز بها الشعر عموما، وهي الاستعانة بالطبيعة بل الشعر كان هو الطبيعة والطبيعة هي الشعر، بل ملكت هذه الأخيرة ألسن الشعراء واحتوت على كل تعبيراتهم وكلماتهم. ولمّاَ كانت البلاغة هي تاج الأدب ألقينا عليها نظرة في مجال البحث، خاصة إذا علمنا أن النحو فصل ضروري لكل عالم خاصة المفسرون والفقهاء، فهؤلاء لعبوا دورا مهمّا في دفع الدراسات البلاغية وتطويرها من خلال محاولاتهم التأويلية لسور القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

ولما كان المجتمع الأندلسي منفردا في حيازه لقصب السبق في مختلف ضروب الحياة، نشأ وتطور وانتشر ما يعرف بفن التوشيح والزجل، وذلك بعد أن كَثُر الشّعر وبلغت فنونه ومناحيه الغاية في التنميق. وإلى شيء من هذا القبيل بلغت مختلف العلوم الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا والتصوف والعلوم الطبيعية كعلم الطب والرياضيات ...وغيرها، مرتبة لها من الأهمية بمكان وذلك لكثرة المهتمّين بها العاملين في حقولها، ويبقى المجال الذي تميّزت به المنطقة وفي فترة الدراسة بالذات عن غيره من المجالات وغيرها من المناطق وغيرها من مراحل الوجود الاسلامي في الأندلس، ألا وهو التصوف، فقد تطرقت إلى مفهومه العام والعوامل التي ساعدت على انتشاره في المنطقة، مبرزا في ذلك علاقته بالفكر الفلسفي، الذي عرفته بلاد الأندلس مع رسائل إخوان الصفا والكرماني وابن مسرة وغيرهم. بعدها تعرضت إلى ذكر طوائف الصوفية في المنطقة وعلاقتها بالسلطة الحاكمة، وفي الأخير تم التقديم والتعريف لأهم رجال التصوف وزعمائه، مبينا اتجاهاتهم الفكرية وفلسفاتهم التي قام عليها تصوفهم ذاك.

وأخيرا **الفصل الخامس** حيث الحديث عن **الجانب العمراني،** فلقد أتيت على ذكر العوامل المساعدة في التوسع العمراني، وذلك على اعتبار أن فترة الدراسة عرفت فيها جل مدن المنطقة

عملية توسع، كانت الأسباب الأمنية والسياسية بالإضافة إلى الجغرافية عاملا أساسيا، مبرزا في ذلك الفرق بين المدن والقرى من حيث الشكل العمراني العام، بعدها تطرقت إلى تصنيف العمران بالمنطقة بين **الاجتماعي** كالأرباض والمنازل والحمامات، **والاقتصادي** كدور الصناعة والمراكز التجارية والفنادق، **والديني** كالمساجد والرباطات، بالإضافة إلى العمران **العسكري** والذي تمثل في الأسوار والقلاع والحصون، هذا وإلى جانبها عرّجت على ذكر حالة الفنون والتي مَثَّلُهَا في ذلك كمَثَل الموسيقى والغناء، حيث كانت سياسة الدولة تنعكس مباشرة على مثل هذه المظاهر الاجتماعية، فإما أن لا تكون وإن كانت فلا تتعارض مع تعاليم الدولة الدينية التي قامت عليها هذه أو تلك.

أما الخاتمة فكانت عبارة عن نتائج مستخلصة من خلال ما تم عرضه في جميع فصول الرسالة.

7- أهم المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

إن أي باحث خاصة إذا كان يلج ميدانا بحثيا في الجانب الاجتماعي والاقتصادي، فإنه من الصعب بمكان أن يستقصي الأخبار المتناثرة بين المصادر المختلفة تاريخية وجغرافية وفقهية وتراجم وسير، فهي لم تعرف في عمومها التخصص في مجال معين، فما بال من كان معتنيا في بحثه على إقليم معين بذاته، وهنا تزداد الصعوبة أكثر، وموضوع البحث هذا جزء من تلك المشاق، ورغم ذلك حاولت جهدي أن أستخلص أخبار الموضوع قدر المستطاع، مستعينا في ذلك على ترتيب تلك المصادر بين الأخبار والتراجم والجغرافيا والموسوعات العلمية والأدبية وأهمها:

*** كتب الأخبار:**

1- ابن الكردبوس أبو مروان عبد الملك، عاش أواخر القرن السادس الهجري: له كتاب **"تاريخ الأندلس"** وهو عبارة عن جزء من كتاب **الاكتفاء في تاريخ الخلفاء**، قام بتحقيقه أحمد مختار العبادي، حيث يتناول اختصارا لتاريخ الأندلس منذ الفتح إلى غاية بداية فترة الموحدين، وقد استقى ابن الكردبوس معلوماته من **"البيان الواضح في الملم الفادح"** وهو كتاب ابن علقمة (ت509هـ-1105م) وفيه من الأخبار ما لم يتوفر في غيره من الكتب خاصة ما تعلق بأخبار مدينة بلنسية ومعاناتها من قبضة السيد القنبيطور.

2- ابن صاحب الصلاة عبد الملك (ت594هـ-1198م) وكتابه المن بالإمامة على المستضعفين، وهو خاص بتاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي، حيث يقدّم صاحبه معلوماته كشاهد للعصر، خاصة وأن ظهوره على مسرح الأحداث كان بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية، ومن ثم صار ابن صاحب الصلاة مرافقا لكل العمليات العسكرية التي صيرها الموحدون في الأندلس لإخضاعها، أما من حيث الفائدة الخاصة المستقاة منه، فقد أمدني بمعلومات وافية عن سير الأحداث السياسية والعسكرية في المنطقة أثناء الصراع الحاصل بين ابن مردنيش والموحدين.

3- المراكشي عبد الواحد(ت647هـ/1249م): وكتابه المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وهو كابن صاحب الصلاة شاهدا على أحداث عصره، إلا أنه يعتبر أديبا ومؤرخا في آن واحد، قد أتى على ذكر أخبار الأندلس من لدن الفتح الإسلامي للمنطقة إلى غاية قيام الدولة الموحدية وانتشار أمرها بل أيام ضعفها وانتشار الثورات والفتن داخلها، لكنه أفاض وتعمق في الدولة الموحدية على غيرها من الدول، بالإضافة إلى أنه لم ينسى نصيبه من الجغرافيا، إذ تعرض إلى ذكر خصائص الأندلس والمغرب الجغرافية بما فيها ما احتوته من أنهار، وبذلك يكون قد أمدني بمعلومات قيّمة عن الدولة الموحدية على وجه الخصوص وما وقع لها سواء في صراعها مع المرابطين أو في مواجهة ما بقي من جيوب المقاومة في الأندلس خاصة ابن مردنيش الذي ظل مسيطرا على منطقة الدراسة لمدة خمس وعشرون سنة قضاها كلها في حرب بينه وبين الموحدين حتى تم لهم في الأخير القضاء عليه واستعادة كافة أراضي شرق الأندلس التي لم تخضع بعد للنصارى.

4- ابن عذارى أبو العباس أحمد المراكشي(كان حيا سنة 712هـ-1312م)وكتابه "**البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب**" ويقع في خمسة أجزاء أما ما يهم مجال البحث فهو الجزء الرابع وقام بتحقيقه إحسان عباس ويتناول هذا الجزء عهد الدولة المرابطية من لد قيامها إلى أخريات أيامها، والفائدة المستقاة منه خاصة ما تعلق بظروف دخول المرابطين منطقة شرق الأندلس وإخضاعها بالإضافة إلى وصف أحوال بلنسية في قبضة القنبيطور، ثم تخليصها وإعادتها إلى حضيرة الدولة المرابطية، أما القسم اللآخر من الكتاب فيخص عصر المرابطين وقام بتحقيقه محمد إبراهيم الكتاني مع مجموعة من الباحثين، حيث يتناول الأيام الأخيرة من عمر الدولة المرابطية وصراعاتها مع الموحدين في المغرب والأندلس إلى آخر أيام الدولة الموحدية وضعفها وتوالي الثورات عليها.

5- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي(ت726هـ/1325م) وكتابه الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، حيث كان منهجه نقل الأخبار عن الواحدة وكل ما تعلق بها من نسب وقبائل ومراحل تأسيس والسلاطين وأعمالهم، دون أن ينسى وقائعها الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية من جوائح وغيرها، وهو بذلك يقدم مادة علمية خصبة، خاصة عن دولتي المرابطين والموحدين، لكن يبقى الجهد مضاعفا نوعا ما لاستخراج الأخبار الخاصة بمنطقة الدراسة.

*** كتب الجغرافيا وأهمها:**

6- العذري أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي(ت478هـ-1085م) وكتابه "**نصوص عن الأندلس**" من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، فصاحبه قد اعتنى بالناحية الجغرافية لمدن وكور الأندلس، حيث يقوم بوصفها وما تتميز به عن غيرها من المدن الأندلسية الأخرى ثم يذكر حكّامها والفتن الظاهرة فيها. وبذلك يقدم مادة تاريخية في قالب جغرافي متين.

7- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن إدريس المعروف بالشريف الادريسي(ت564هـ-1169م) وله كتاب "**نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**" وقد امتاز الادريسي بالدقة والتفصيل في وصف الأقاليم الجغرافية والمقدرات الاقتصادية والطرق التجارية، إلى جانب وصفه للظواهر الاجتماعية من عادات وتقاليد، إلا أن اعتمادي كان على الجزء الخاص بالمغرب والأندلس وأوربا، حيث كانت له نقولا كثيرة عن مؤرخين وجغرافيين عاشوا خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين مثل ابن حوقل وابن خرداذبة وأحمد الرازي والعذري وهذا ما أضاف أهمية أخرى للكتاب.

8- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت866هـ-1462م) وله كتاب "**الروض المعطار في خبر الأقطار**" والذي حققه الأستاذ إحسان عباس، حيث يحوي لكثير من المعلومات التاريخية الجغرافية فيأتي على ذكر المدن الأندلسية من حيث الموقع الجغرافي والمميزات الطبيعية والاقتصادية وأهم ما تميزت أو ما وقعت بها من أحداث تاريخية.

- أما الجانب الفكري والعلمي في المنطقة فقد اعتمدت بالدرجة الأولى على كتب التراجم، حيث أمدتني بمعلومات وفيرة عن أعلام المنطقة في كل مجالات الفكرية والعلمية من علوم الشريعة والأدب والتصوف والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والطب والهندسة وغيرها، وأهم هذه الكتب نجد:

9- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الله بن موسى(ت578هـ-1182م) وله كتاب **"الصلة في تاريخ علماء الأندلس"**، ويعد من أهم كتب التراجم حيث ترجم لكثير من علماء الأندلس وأعيان زمانه والشيوخ الذين عاصرهم وعنهم أخذ خلال القرن السادس الهجري، فقد أخذت عنه ترجماته لعلماء وفقهاء المنطقة.

10- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي (ت658هـ/1260م):

وله مؤلفات في هذا المجال استقيت منها أغلب التراجم لكونه شاهد عصر على أحداث زمانه في الناحية العلمية، خاصة ومنهجه في حقل العلوم كان متابعة ما تركه سابقوه، من تراجم وأخبار فهو بصفته المتمم لها، وقد تجسد ذلك في كتابه" التكملة لكتاب الصلة"، وهذا الأخير تتمة لكتاب الصلة لابن بشكوال. وللمؤلف كتاب آخر وهو "تحفة القادم" وهو كذلك عبارة عن تراجم للأعلام المنطقة، حيث اعتمدته هو الآخر، ويبقى المصنف الآخر لابن الأبار وهو كتاب "الحلة السيراء"، وهذا غني بتراجم ما بعد المائة الخامسة، بالإضافة إلى تراجم قادة الفتح لبلاد الأندلس وغيرهم، وهذا كله في الجزء الثاني من الكتاب، فهو ما يهم فترة الدراسة هذه.

* **أما التراجم الخاصة بالأدباء والشعراء فاعتمدت على:**

11- ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني(ت542هـ/1148م) وله كتاب **"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"** وهو عبارة عن تراجم لمجموعة من الأدباء الذين عاشوا خلال فترة الدراسة، حيث يصنّفهم حسب المدن والأقاليم، وفي نفس السياق يأتي على ذكر التاريخ السياسي للمنطقة.

12- ابن خاقان ،أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله (ت529هـ/1134م). وله مصنّفين مهمّين في التراجم هما "قلائد العقيان في محاسن الأعيان" ويحوي على كم هائل من تراجم الأدباء والشعراء، أما المصنّف الثاني فهو: "مطمح الأنفس" ويحوي تراجم للكثير من الفقهاء.

13- الغرناطي الأندلسي ابن سعيد (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت685هـ/ 1286م)، وله كتاب "المغرب في حلى المغرب" خاصة الجزء الثاني حيث اعتمدته كثيرا في نقل أخبار الأعلام الأدباء والشعراء الذين كانوا في المنطقة فترة الدراسة.

وتبقى **موسوعتي** كل من:

14- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني(ت776هـ/ 1374م)وكتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة"، بأجزائه الأربعة مصدرا مهما في نقل الأخبار والتراجم، في كل مجالات العلوم والفكر.

15- المقري التلمساني أحمد بن محمد(ت1041هـ/1631م)، وله مصنّفه الذي شمل الجغرافيا والأخبار والتراجم من فقهاء وأدباء وشعراء وصوفية وقادة سياسيين وأمراء ..وغيرهم، كل ذلك في "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، خاصة الأجزاء 1، 2، 3، 4، 7.

ب- المراجع:

لقد استعنت في بحثي هذا بمجموعة من الدراسات الحديثة حول منطقة الدراسة، أهمها:

1- أبو الفضل محمد أحمد وكتابه "**شرق الأندلس في العصر الإسلامي 515هـ-686هـ/ 1121م -1287م- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري**" ، حيث أعانتني هذه الدراسة القيّمة على توضيح الشكل العام للبحث، إذ استفدت منها في ترتيب خطة العمل، بالإضافة إلى توجيهي إلى المصادر والدراسات اللازمة للموضوع، كيف لا وهي تتناول الموضوع من حيث الموقع الجغرافي وحتى الجزء الزمني الثاني للأطروحة.

2- ولنفس المؤلف دراسة أخرى في المجال الحضاري، وهي "**تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري**"، حيث يسلّط الضوء على أهم مدينة في شرق الأندلس، بل نستطيع ان نُعدها عاصمة للإقليم، فالمدينة هذه كانت مركزا تجاريا عالميا ومركزا صناعيا خاصة صناعة النسيج والسفن، بالإضافة إلى كونها عاصمة فكرية لمختلف التيارات العلمية خاصة الفكر الصوفي.

3- ونفس العنوان حمله مؤلف السيد **عبد العزيز سالم** تاريخ مدينة المرية الإسلامية-قاعدة أسطول الأندلس، ويتناول دور مدينة المرية الحضاري والعسكري خاصة الأسطول الذي كان له وزن في بلاد الأندلس كلها بل في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

4- بحوث ودراسات السيد **حسين مؤنس،** أهمها "فجر الأندلس" و"الجغرافية والجغرافيون" و"الثغر الأعلى الأندلسي"...وغيرها، فكلها بحوث عمت فائدتها موضوع البحث من شتى جوانب.

5- عصمت عبد اللطيف دندش وكتابها "**الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ-546هـ/1116م-1151م**"، وهذه الدراسة تناولت فترة حساسة جدا كانت بمثابة المرحلة الانتقالية من حكم المرابطين والموحدين، حيث أفادتني كثيرا حول الثورات الداخلية على الحكم المرابطي، وعلاقة السلطة بالمتصوفة.

6-أبو مصطفى كمال السيد وله كتابين في التاريخ السياسي والحضاري في الأندلس خلال فترة الدراسة، الأول وهو " **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**" ويتألف من ثلاث مباحث، حيث أفادني المبحث الثاني بمعلومات حول مدينة طرطوشة الاسلامي، والمبحث الثالث كان حول مساهمة تجار الاسكندرية في الحركة التجارية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. أما الكتاب الثاني فكان حول مدينة بلنسية التي تعتبر من أهم المدن في منطقة شرق الأندلس، بعنوان "**تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي(95هـ-495هـ/714م-1102)-دراسة في التاريخ السياسي والحضاري.**

7- الجيوسي سلمى الخضراء ولها الموسوعة العلمية الكبيرة وهي عبارة عن مجموعة مقالات في التاريخ الحضاري للأندلس، لمجموعة من المستشرقين الباحثين في التاريخ الاسلامي الأندلسي، تحت عنوان "**الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**" لا سيما الجزء الثاني، حيث أفادتني كثيرا في استبيان آراء وأفكار المستشرقين حول التاريخ الحضاري للأندلس، وهي دراسات قيّمة لا يمكن لأي باحث في هذا المجال الاستغناء عنها.

8- إبراهيم القادري بوتشيش ، وله دراسة قيّمة حول المجتمع الأندلسي خلال عصر المرابطين بعنوان "**مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**"، وهذه الدراسة ساعدتني في التعرف على العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي خلال فترة الدراسة، على اعتبار أن المجتمع عرف تغيرات جذرية خاصة من ناحية التكوين، وذلك للمعطيات التاريخية الطارئة على الحياة السياسية والاجتماعية في الأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين.

9-سالم سيسالم عصام، وله كتاب بعنوان "**جزر الأندلس المنسية-التاريخ الإسلامي لجزر البليار-89-685هـ/708-1287م**"، ويعتبر هذا الكتاب من أهم الدراسات الحديثة حول جزر البليار، نظرا للشح الهائل للبحث حول تاريخ هذه الجزر خلال العصر الاسلامي، حيث أضاءت هذه الدراسة النور لتاريخ منطقة من أهم المناطق الاستراتيجية لإقليم شرق الأندلس، ولذلك أخذت منها الكثير من أخبارها، لأن صاحب هذه الدراسة اعتمد مصادر ودراسات ليست في متناولنا، بالإضافة إلى زيارته الميدانية لها.

10- أعمال ودراسات الدكتور محمد الأمين بلغيث خاصة كتاب "**الحياة الفكرية خلال عصر المرابطين**" بجزأيه، وهي في الأصل أطروحة الدكتوراه، وقد أفادتني هذه الدراسة كثيرا، فحتى وإن تناولت الحياة الفكرية في الأندلس خلال عصر المرابطين على الجملة، فإني تصيّدت منها ما يخص إقليم شرق الأندلس خلال فترة الدراسة، كما عَمِلَت على تنبيهي وتوجيهي إلى دراسات ومظان ما يخص منطقة الدراسة في الجانب العلمي والفكري. بالإضافة إلى هذه الدراسة هناك بحوث أخرى أهمها "**دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم**"، حيث توصل الباحث إلى إثبات مساهمة الدولة المرابطية في الحياة الفكرية من جهة، ومن جهة أخرى نفي بعض الاتهامات التي صبّها بعض المستشرقين على الدولة وتبعهم في ذلك بعض الباحثين العرب.

وإلى جانب هذه الدراسات هناك أخرى لا تقل أهمية عنها، مثل المعجم الجغرافي **لعلي بن عبد الله الدفاع** بعنوان "**رواد علم الجغرافيا**"، كذلك كتاب "**المؤرخون والتأريخ عند العرب**" **لمحمد أحمد ترحيني**، فهذين المؤلفين استعنت بهما في التعرف على علمي التاريخ والجغرافيا وأعلامهما.

أما **الرسائل الجامعية** فهناك مجموعة طيبة منها أفادتني كثيرا في توضيح الرؤى، أو توجيهي للمصادر الأساسية في هذا الموضوع أو ذاك، منها أطروحَتَي الدكتوراه إحداها بعنوان "**الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس-238هـ-488هـ/852م-1095م**" للباحث **يحي أبو المعاطي محمد عباسي**، والأخرى للباحثة إيمان محمود جمادي العبيدي بعنوان "**التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري**"، حيث استعنت بهما في الجانبين الاقتصادي وعلم التاريخ في المنطقة فترة الدراسة.

الفصل التمهيدي

الأحوال السياسية لشرق الأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين

1- شرق الأندلس خلال عصر المرابطين (479هـ-1086م/539هـ-1145م)

2- شرق الأندلس مع نهاية المرابطين وبداية الموحدين(539هـ-1145م/ 567هـ1172م)

3- شرق الأندلس خلال عصر الموحدين (567هـ1172م/668هـ1269م)

1- شرق الأندلس خلال عصر المرابطين (479هـ-1086م/539هـ-1145م):

عرفت بلاد الأندلس خلال النصف الثاني من القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي موجة شرسة من طرف نصارى الشمال، كانت نتيجتها سقوط طليطلة في يد **ألفونسو السادس**[1] Alphonso VI ملك قشتالة سنة 478هـ/ 1085م، ما جعل دول الطوائف وعلى رأسهم ابن عباد ملك اشبيلية وابن الأفطس ملك بطليوس يدقان ناقوس الخطر، أدى بهما إلى استدعاء المرابطين من المغرب لدرع الخطر النصراني عن مسلمي البلد، وهذا ما وقع فعلا قرب سهل **الزلاقة**[2] Zallaca الشهير عام 479هـ/1086م وانهزام النصارى أمام الجيش الإسلامي[3]، إلا أن الملك ألفونسو السادس Alphonso VI (ت503هـ/1109م) أخذته نشوة الانتقام لمصابه

[1]- **ألفونسو السادس:** وفي بعض الروايات أدفونش أو أذفونش ويسميه ابن خلدون الفنش ، لجأ إلى ابن ذي النون صاحب طليطلة بعد وفاة والده أي بعد أن جرده أخاه الأكبر سانشو من حقه في الملك وبقي هناك إلى أن سمع بموت أخيه أثناء حصاره لزمورا سنة 1072م/464هـ ، حيث عاد إلى عرش المملكة وأحكم قبضته عليها بل سيعود إلى طليطلة بحلول عام478هـ-1086م ليس لاجئا ولكن غازيا ويتم استيلاؤه عليها من يد القادر بن ذي النون، وبقي بها إلى أن توفي سنة 503هـ-1109م.(يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1417هـ-1996م، ط2، ص: 20، 23). أيضا: - Mhamma benaboud, SEVILLA EN EL SEGLO XI, El REINO ABBADI DE SEVILLA (1023-1093),BIBLIOTECA DE TEMAS SEVILLANOS, SEVILLA, 1992, p :124.

[2]- **الزلاقة Zallaca:** بطحاء الزلاقة من إقليم بطليوس غرب الأندلس، وهي المكان الذي جرت فيه المعركة الشهيرة بين المرابطين لأول دخول لهم إلى شبه الجزيرة والنصارى بعد سقوط طليطلة في أيديهم قبل عام من ذلك، انتصر فيها المسلمون(المرابطون والقوات الأندلسية)، بل عدت هذه المعركة من المعارك الفاصلة في التاريخ خاصة المغرب والأندلس. (أنظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت لبنان، مطابع هيدلبرغ، 1984، ط2، ص: 287- 288. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص: 287- 288). أيضا:

-Dominique sourde , histoire des arabes, imprimé universitaires de France, 1976,P:83.

- Marc Bergé , Histoire et civilisation des arabes et du monde musulman -des origines a la chute du royaume de grand racontée par les témoins ix°-xv siècle ,édition lidis ,paris, p :15.

[3]- محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية في عصر المرابطين 479هـ-539هـ/1086م- 1144م، ج1، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ط1، ص: 140.

الجلل، حيث استجمع قواه من جديد وأحال إلى قائده "غرسية خمنيث" Garcia kheminit بالعيث وشن غاراته على منطقة شرق الأندلس، خاصة المنطقة ما بين مرسية ولورقة انتقاما من ابن عباد الذي كان سببا في قدوم المرابطين من المغرب، بل بسط سيطرته العسكرية على **"حصن لبيط"** Alédo[1]، وشحنه بحامية عسكرية[2]، ونظرا للأهمية التي يكتسيها هذا الحصن الذي كان مفترق الطرق المؤدية إلى مرسية وغرناطة ولورقة، فقد سنحت الفرصة أكثر لهذا النصراني فعاث يمينا وشمالا ولاقى المسلمون هناك أذاه، بل ليست هذه الجهة وحدها كانت تشكو وطأة سيوف النصارى، وإنما الكثير من المدن والقرى في الجهة الشرقية من شبه الجزيرة، إذ كان موقعها الجغرافي تحت التهديد النصراني المباشر ولا أَدَلَّ على ذلك من تسلُّط **السيِّد القنبيطور**[3] Rodrigo Diaz Vivar على بلنسية، هذا إذا علمنا أن الأمير يوسف بن تاشفين قد عبر العدوة قافلا إلى المغرب،

---

[1]- **حصن لبيط Alédo** : يسميه ابن أبي زرع في روض القرطاس بـــ" لبيط" ويبين السلاوي على أن المقصود به هو" لبطيط كزنبيل" وهو بلد بالجزيرة الخضراء. إلا أن المعلوم عنه جغرافيا هو بالقرب من مدينة لورقة بينهما نصف يوم.(أنظر: روض القرطاس، ص: 152. السلاوي، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق أحمد الناصري، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2001م ، ص: 119. ثم أنظر: ابن سماك العاملي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق أحمد بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2010م، ط1، ص: 127. شوقي أبو الخليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1425هـــ-2005م، ص: 81).

[2] – عبدالله بن بلكين، كتاب التبيان، نشر وتحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، مصر، 1955، ص: 108 وما بعدها. أيضا: ابن أبي زرع ، نفسه، ص: 152.كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي(95هـــ-495هـــ/714م-1102م)-دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د تا، ص: 134، 135.

[3]- **السيِّد القنبيطور**: وهو رودريجو دياث فيفار Rodrigo Diaz Vivar، ولد في مدينة فيفار على تسع كيلومترات شمالي مدينة برغش من نواحي قشتالة فهو ينحدر من عائلة نبيلة ،كان والده يعمل لصالح ملك ليون فريديناند الأول(428هـــ-1038م/457هـــ-1065م) ولما توفي الأخير وجد السيد ترحيبا عند ولده سانشو(457هـــ-1065م/464هـــ-1072م) فضمَّه إليه وقلَّده السّيف وخلع عليه شارة الفروسية، وقد سماه العرب بالسيد أما اسم القنبيطور فيعني البطل أو المبارز المتحدي لأن شجاعته الفائقة في الحروب جعلته المبارز المشهود له بالسبق في المبارزات.(أنظر: علي الجارم بك، قصة العرب في إسبانيا، مصر، دار المعارف، 1890م، ص:165 وما بعدها).

بعد أن ترك قوة عسكرية رهن إشارة المعتمد قوامها ثلاثة آلاف فارس[1]، ما جعل أهل هذه المناطق خاصة بلنسية ومرسية ولورقة يراسلونه ناشدين عودته إليهم من أجل خلاصهم من بطش النصارى وظلمهم إيَّاهم[2]، بل حتَّى المعتمد بن عبَّاد ونظرا لكون ذلك الحصن من أعماله فقد عبر العدوة طالبا عون ابن تاشفين[3]، ولذلك لبى الأمير المرابطي طلب مستصرخيه وجاز إلى الأندلس للمرة الثانية في ربيع الأول عام 481هـ/ يوليو1088م[4]، واتجه نحو حصن لييط موعد لقائه مع الكثير من أمراء المنطقة الذين كاتبهم مستنفرا إياهم للجهاد، كتميم بن بلكين صاحب مالقة وأخاه عبد الله بن بلكين أمير غرناطة، والمعتمد بن عباد أمير اشبيلية، والمعتصم بن صمادح أمير المرية، وابن عبد العزيز والي مرسية، بالإضافة إلى ولاة بياسة وشقورة وجيان ولورقة[5]، إلا أن ابن أبي زرع (ت726هـ/1325م) ينفي قدوم هؤلاء الولاة والأمراء بل يؤكد عدم تلبيتهم طلب ابن تاشفين للجهاد، و لم يأته منهم إلا ابن عباد وابن رشيق، حيث يقول: **"فلم يأته ممّن كتب إليه من أمراء**

[1]- مصطفى اعديلة، الفتح المرابطي، المجلة المغربية للدراسات الاسبانية، ج2، كلية الآداب، تطوان، 1991م، ص: 52.(نقلا عن منيندث بيدال من كتابه السيد القنبيطور).

[2]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1983م، ط3، ص: 141.

[3]- إن ابن عباد في عبوره نحو ابن تاشفين وطلب عونه كان لهدفين: الأول هو النصارى الذين انتزعوا منه حصن لييط الذي هو جزء من أراضيه. أما الهدف الثاني فهو محاولة استعادة مدينة مرسية التي سيطر عليها فعليا ابن رشيق الذي كان أحد عماله في تلك الناحية، وربما سبب الخلاف فيما بينهم هو لمَّا منح ابن عباد الجزيرة الخضراء للجيش المرابطي خلال جوازه الأول إلى الأندلس حيث كان واليها الراضي بن المعتمد بن عباد فليس مستبعد أنه أراد أن يمنحه مرسية عوضا عن الجزيرة.(أنظر: عبدالله بن بلكين، كتاب التبيان، ص: 108.أيضا: عنان، دولة الإسلام في الأندلس- العصر الثاني – الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ط2، ص: 334، 335).

[4]- ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص: 126 وما بعدها، أيضا: دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق، حسن حبشي، ج3، دار الكتب، القاهرة، 1995م، ص: 138وما بعدها.

[5]- عبدالله بن بلكين، كتاب التبيان، ص: 108.أيضا: ابن الخطيب، أعمال الأعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي برفنسال، دار المكشوف، بيروت لبنان، 1956م، ط2، ص: 247، 257. ابن سماك العاملي، نفسه، ص: 128، 129.ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 152.

الأندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية والمعتمد بن عباد فتزلا معه الحصن وشرعوا في قتاله والتضييق عليه..."، وهذا حسب نظر الكاتب هو سبب تغير ابن تاشفين على أمراء الأندلس فيما بعد بقليل[1]، ويتبعه في ذلك السلّاوي[2]، وعليه فإن يوسف بن تاشفين عبر نحو الأندلس وضرب حصاره على ذلك الحصن ودام على هذه الحال أربعة أشهر، لكنه لم يفلح هو ومن معه في اقتحامه، نظرا لمناعته واستبسال الحامية النصرانية في الدفاع عنه هذا من جهة، ومن أخرى، الخلاف الحاصل بين أمراء الطوائف المشاركة معه، ما دفع بيوسف بن تاشفين لرفع الحصار والعودة إلى المغرب، وهذا الخلاف يؤكد مشاركة هؤلاء الملوك ومساعدتهم لابن تاشفين في حصاره ذاك، والشاهد على هذا القول هو الأمير عبد الله بن بلكين في مذكراته، حيث يتضح من خلال كلامه أن حصار حصن لييط كشف النقاب عن ملوك الطوائف وأظهر حقيقتهم أمام الأمير المرابطي وذلك لكثرة شكاويهم من بعضهم البعض لديه، فابنا بلكين تميم وعبد الله كل منهما يتّهم أخاه باغتصابه حقه في الميراث والسلطة، وابن عباد والمعتصم بن صمادح يُوقع كل منهما بالآخر لدى الأمير بمختلف التُّهم، وأبرز خلاف هو الذي كان بين ابن عباد وابن رشيق حيث استطاع الأول الإيقاع بالثاني لمّاً اتهمه بموالاة النصارى وتقديم العون لهم، ما جعل ابن تاشفين يستفتي الفقهاء في أمره نظرا لقوام الأمر كله عنده هو جهاد العدو وليس موالاته، وبذلك ألقى القبض على ابن رشيق وسلمه لابن عباد دون قتله[3]، وهذا ما أثار حفيظة جيش صاحب مرسية ورجاله وأقاربه وجعلهم يغادرون الميدان مؤثرين على المحاصِرين بقطع المدد والعون عنهم،[4]

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 152، 153.

[2]- السلاوي، الاستقصا ،ج1، ص: 119، 120.

[3]- أيد الأمير يوسف بن تاشفين المعتمد بن عباد في خلافه مع ابن رشيق لسببين: الأول تأكده من موالاة الأخير للنصارى والثاني لحاجة في نفسه عند ابن عباد يريد قضاءها. وهذا ما يبينه عبد الله بن بلكين في قوله بأن الأمير أعمل في ذلك عقله ودبر، برأيه فقال:" ما ينبغي لنا مفاسدة ابن عباد من أجل ابن رشيق لاحتياجنا إليه فيما نحن بسبيله ونحن لم نأمن أمر الرومي، والأوكد علينا في هذا الوقت مداراة ابن عباد حتى ترينا الأمور وجوهها". (أنظر: عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، ص: 111).

[4]- عبد الله بن بلكين، نفسه، ص: 111، 112. أيضا: ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص:130. عنان، دولة الإسلام في الأندلس – العصر الثاني- ص: 136.

بالإضافة إلى تشكّي الرعية أيضا من ملوكها وقد كان الفقهاء وساطة هذه الشكاوى خاصة الفقيه **ابن القليعي**[1]، إذ يقول ابن بلكين عن ذلك الحصار" **كانت سفرة أخرج الله فيها أضغان سلاطين الأندلس ورعيتهم في ذلك يأتون أفواجا، شاكين لما وجدوا لمن أسندوا إليه: فالراضي منهم يلتمس الزيادة والساخط يرجو الانتقام، وجعلوا في شكاويهم فقهاءهم وسائط يقصدون نحوهم منهم الفقيه ابن القليعي، قد صار خِبَّار تلك المحلّة، مغنطيسا لكل صادر ووارد...**"[2].

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أمرين، الأول : مشاركة وتلبية الكثير من أمراء الطوائف لدعوة ابن تاشفين . والثاني: سبب تغير ابن تاشفين على هؤلاء الأمراء الذين لم تبقى لهم مسؤولية الجهاد نظرا للخلاف الحاصل بينهم من أجل مصالحهم الخاصة، بل هم أصبحوا عائقا أمام هذا الهدف، لذا يجب إعادة النظر في أمرهم ثم جهاد النصارى أي ترتيب البيت من الداخل أولا.

وعليه فكل ذلك الخلاف الحاصل بين أمراء الأندلس بين يدي الأمير يوسف بن تاشفين وشكايات الرعية ، ثم الذي وقع بين ابن عباد وابن رشيق وانسحاب جيش الأخير من الميدان، يضاف إليه قدوم ألفونسو السادس Alphonso VI بجيشه نحو الحصن حيث المعركة غير متكافئة هكذا رأى الأمير يوسف بن تاشفين، فوحدة النصارى وعملائهم داخل البلاد من جهة وتفرق

---

[1]- **ابن القليعي**: أبو زكريا يحي بن محمد بن حسين الغساني القلعي من أهل غرناطة من إلبيرة، روى عن ابن أبي زمنين جميع تواليفه، ورحل إلى غرناطة وحدث بها، تفقه على يديه القاضي عيسى بن سهل، ولما انتقل يوسف بن تاشفين إلى الأندلس لفك الحصار عن حصن لييط، استغل هذا الفقيه الفرصة كما ذكر صاحب التبيان واتصل بالأمير يوسف وتقرب منه، بغض النظر إن كان هناك ترتيب لهذا اللقاء أم أن الأمر مجرد حماس واستشعار بخطر يحدق بالأمة من خلال هجمات النصارى المتزايد، كما تساءل الباحث الأمين بلغيث، فإن الفقيه استغل الأمير يوسف الذي لا يقطع أمرا إلا برأي الفقهاء انتقاما لما عايشه في وقت مضى أيام جد ابن بلكين الذي كان يُنَفِّره من المدينة إلى الضيعة اتقاءا لشرّه، وهذا ما صرّح به ابن بلكين في قوله: "...كان لا يدعه في المدينة، ويأمره بسكنى ضيعته، لما كان يرى من شرّه وقدرته على الدّواخل"، ولذلك أسرّها الفقيه في نفسه، ولم تظهر منه إلا حين تلك اللحظة بين يدي الأمير يوسف: "والله ! لأبلغنّ حفيد باديس الطينة السوداء، ولأشوّقه إلى درهم ينفقه، وذلك على صنيع جده بي وبغيري".(ابن بلكين، كتاب التبيان، ص: 117، 118. بلغيث، الحياة الفكرية في عصر المرابطين، ص: 329).

[2]- عبد الله بن بلكين، نفسه، ص: 109.

المسلمين وتشتت كلمتهم في الجهة المقابلة، كل هذا جعل الأمير يوسف يفضل الانسحاب رافعا الحصار بل تاركا الأندلس والعودة نحو المغرب، فهناك سيعيد النظر.

بعد عودة الأمير يوسف بن تاشفين إلى المغرب كان قد ترك حامية عسكرية قوامها أربعة آلاف فارس بقيادة داود بن عائشة، مهمتها خاصة بمنطقة بلنسية ومرسية، تحت إمرة نائبه في الأندلس سير بن أبي بكر[1] ثم عزز الأمير المنطقة بقوة عسكرية ثانية بقيادة محمد بن تاشفين[2].

وفي سنة 483هـ/ 1090م جاز الأمير يوسف نحو الأندلس جوازه الثالث[3]، ومن هنا يبدأ العهد المرابطي بالأندلس وذلك للتغيرات التي تطرأ على أحوال المنطقة نتيجة إفرازات الأحداث السابقة، حيث نازل الأمير يوسف أمراء الطوائف الواحد تلو الآخر، بعد أن جاءته الفتاوى من علماء العصر كأبي حامد الغزالي"ت505هـ-1111م" وأبي بكر الطرطوشي"ت520هـ-1126م"[4]وكان من جملة هؤلاء، أمير المرية المعتصم بن صمادح وكلّف قائده أبا زكريا يحي بن واسنو بهذه المهمّة، هذا حسب ما أورده صاحب الحلل الموشية[5]، بينما تقول الكثير من الروايات أن القائد الذي كُلّف بذلك هو داود بن عائشة[6]، ومهما يكن فالمرابطون استطاعوا منازلة مدينة المرية بعد حصارها برا وبحرا، حيث كان قد قضى صاحبها خلال هذا الحصار، وخلفه ولده الذي

[1]- ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص: 131. أيضا: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، ص: 337.

[2]- يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس، ص: 90، 91.

[3]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 169.أما ابن الكردبوس في تاريخه فيذكر أن الجواز الثالث للأمير ابن تاشفين كان سنة 490هـ. (أنظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط نصان جديدان، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، 1971م، ص: 107. سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس- عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ط10، ص: 171).

[4]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 142.

[5]- ابن سماك العاملي، نفسه، ص: 134.

[6]- ابن أبي زرع، نفسه، ص: 169. أيضا: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص: 101، 102، 107. أيضا: أشباخ، نفسه، ص:98، 99. عنان، دولة الإسلام، العصر الثاني، ص: 366.

أوصاه والده بالفرار والاتجاه نحو **بني حماد**[1] في المغرب الأوسط وعاش هناك حتى قضى هو الآخر. وانطلاقا من المرية انفتح الطريق أمام الجيش المرابطي نحو ولاية مرسية ودانية[2]، وهنا يتحدث ابن الكردبوس عن دخول ابن عائشة إلى هاتين المدينتين حيث يقول: " ...**وتقدم عليهم**- المرابطون- **القائد ابن عائشة وقصد بهم مرسية والتقى بهم مع جملة من النصارى فهزموهم...وخلع- ابن عائشة-صاحب مرسية وتمادى إلى دانية ففر صاحبها ابن مجاهد في البحر، وآوى إلى الدولة الحمادية..ودخل ابن عائشة دانية...**"[3]، وبالتالي يمكن من خلال هذا الكلام استنتاج ما يلي:

أولا:- أن القائد الذي كُلّف بمهمة فتح منطقة شرق الأندلس هو القائد ابن عائشة.

ثانيا:- أن صاحب دانية في هذا الوقت أي بعد خلع ملوك الطوائف كان ابن مجاهد، ولكن جل المصادر تذكر أن انتهاء أمر الدولة المجاهدية في دانية قد انتهى منذ سنة 468هـ/1075م على يد **المقتدر بالله بن هود**[4] وقد أصبحت هذه من أملاك الأخير.

ثالثا: - يذكر فرار ابن مجاهد إلى بلاد بني حماد وأغلب المصادر تذكر بأنه قد تم أخذه من طرف ابن هود إلى سرقسطة، لكن الملفت للنظر حقا هو ابن خلدون(ت808هـ/1406م) المستثنى في هذا، والذي جاء في إحدى رواياته أن ابن مجاهد مات قريبا من وفاة المقتدر سنة

[1]- **بنو حماد:** أسرة حكمت بالمغرب الأوسط سنة 405هـ-547هـ/1015-1152م، انفصلت عن الأسرة الزيرية على يد حماد بن بلكين بن زيري بن مناد(405هـ-419هـ/1015-1029م)، الذي قطع علاقته بالقاهرة- الفاطميين- وأعلن ولاءه للعباسيين في بغداد، وبهذا خرجت مملكة بني حماد إلى الوجود. (أنظر: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد – صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ-1991م، ط2، ص: 109).

[2]- رينهارت دوزي، المسلمون في الأندلس، ص: 156.

[3]- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص: 101، 102.

[4]- **المقتدر بن هود:** من أهم حكام مملكة بني هود في الثغر الأعلى "438هـ-474هـ/1046م-1081م.حول مملكة بني هود هود أنظر: بلقاسم بواشرية، مملكة بني هود في الثغر الأعلى أيام الطوائف والمرابطين بالأندلس431هـ - 1039م/ 524هـ-1131م- دراسة في الأحوال السياسية،(رسالة ماجستير) إشراف الأستاذ محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر 02، 2011.

474هـ/1081م، بعد أخذه معه إلى سرقسطة طبعا، ويضيف أنه قيل قد فرّ أمام المقتدر إلى بني حماد[1]، لكنه يروي حكاية أخرى كالتي رواها ابن الكردبوس أن المرابطين حين دخلوا دانية فرّ صاحبها ابن مجاهد إلى بني حماد [2]، السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصياغ هو أي الروايات أقرب إلى حقيقة الأمر في وسط هذا التناقض في سردها حتى عند الكاتب الواحد؟ ليس هناك أمر متفق عليه، لذلك فالمهم هو دخول دانية تحت سلطة المرابطين، هذا ما يمكن الأخذ به في هذا المقام، ويبقى المجال البحثي مفتوحا على مصراعيه لكل دارس أو باحث عن الحقيقة فتلك هي وظيفته في بحث غير هذا..

رابعا: هناك نقطة مهمة جدا أغفلها أغلب المؤرخين تتعلق بسلطة بني هود في هذه المنطقة خلال فترة الدراسة، وهي أن مملكة بني هود قد انقسمت إلى مملكتين عند وفاة المقتدر سنة 474هـ/1081م، قسم وهو الثغر الأعلى كان تحت قيادة المؤتمن بن هود ثم ولده المستعين الثاني، أما القسم الآخر وهو الذي يشمل المدن الواقعة في شرق الأندلس لاردة وطرطوشة ودانيه وكان تحت سلطة المنذر أخ المؤتمن[3]، ورغم الصراع الذي وقع بينهم لم يستطع أصحاب سرقسطة استرجاع القسم الأخير، والكل يعلم أن المرابطين لم يتعرضوا لأخذ ملك بني هود سرقسطة وصاحبها المستعين الثاني، بل أخذوا ملك بني هود صاحب الشرق وهو المنذر وأبناؤه، حيث لا يوجد بحث يفي الغرض في معرفة مصير الفرع الثاني من أسرة بني هود أصحاب الثغر الأعلى إلا ما كان من إشارات عابرة وردت عند كمال السيد أبو مصطفى في كتابه **"دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس"**[4].

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج4، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت لبنان، 1421هـ-2000م، ص:211.

[2]- نفسه، ج6، ص: 248.

[3]- بلقاسم بواشرية، مملكة بني هود في الثغر الأعلى، ص: 37.

[4]- كمال السيد أبو مصطفى، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997، ص: 82، 83.

إذن دخل المرابطون مرسية ودانية لتليها في ذلك شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس ومربيطر وشنتمرية الشرق وحتى بلنسية، كل هذه الفتوحات المرابطية في منطقة الدراسة لم تتجاوز بعد سنة 485هـ/1092م[1]، بغض النظر عن بلنسية التي افتكها السيّد القنبيطور من أيديهم وما حدث لقاضيها **ابن جحاف**[2]-[3].

وبالرجوع إلى أمر هذه الولاية الذي أسال الكثير من مداد المؤرخين المسلمين والأوربيين خاصة الاسبان منهم، والأمر هنا متعلق بإحدى الشخصيات التي اعتُبرت رمزا من رموز المسيحية في أوربا كلِّها وليس مسيحي قشتالة فحسب، ألا وهي شخصية السّيد القنبيطور **El Cid Campeador** أو السّيد المبارز كما كان يعرف، فلم يبقى لنا ما نقول بعد أن أفاضت تلك الدراسات والبحوث حوله سواءً كانت حقائق تاريخية أم قصص وأساطير نُسجت على منوال تاريخي[4]، ربّما لم يحظى حتى أولئك الزعماء في العالم المسيحي خلال القرون الوسطى بما حظي به السيّد من اهتمام، ولذلك نتجاوز الحديث عن تفصيل هذه الشخصية ليس تجاهلا لما قام به من دور في هذه الناحية، بل طبيعة البحث تفرض علينا الاختصار في ذكر الأخبار عن هذه المنطقة التي لها من الأهمية بمكان،

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 155، 156.

[2]- **ابن جحاف:** من أكابر العلماء والقضاء في مدينة بلنسية، ورغم ذلك فقد تولى شؤونها السياسية بعد مقتل القادر بن ذي النون، إلا أنه وقع فريسة في يد السيد القنبيطور مما أدى إلى حرقه حيّا أمام الملأ سنة 487هـ/ 1094م(علي الجارم بك، قصة العرب في إسبانيا، مصر، دار المعارف، 1890م، ص: 75. أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي(95هـ-495هـ/714م-1102)-دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د تا، ص: 148 وما بعدها).

[3]- ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990، ص:183، أيضا:

-Philippe Conrad : Histoire de la Reconquista, imprimé de France ,1998, p : 59, .60, 61

[4]- أميركو كاسترو، اسبانيا في تاريخها- المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ط1، ص: 289 وما بعدها.

فقد لاقى صاحب بلنسية القاضي ابن جحاف العذاب الأليم على يد السيد القنبيطور[1]، وتوالت صرخات أهالي شرق الأندلس على يوسف بن تاشفين يطالبونه باسترجاع بلنسية ، حيث أرسل الأمير يوسف إلى عماله في المغرب لإمداد حملة جديدة نحو الشرق، وتولى قيادها الأمير محمد بن تاشفين في شعبان 487هـ/ 1094م فكانت معركة "**كوارت cuart**"[2]-[3]، التي اضطرت على إثرها القوات المرابطية إلى الانسحاب نحو دانية وشاطبة، ولذلك شاركت هذه القوات فيما بعد في قتال ألفونسو السادس Alphonso VI بالقرب من طليطلة عام 492هـ/1098م، وتم قتل الابن الوحيد للسيد القنبيطور، وهذا ما سبب للأخير حزنا شديدا أدى إلى موته ولم تبق إلا زوجته تدير شؤون بلنسية ما شجع المرابطين على الإجهاز على المدينة عام 494هـ/ 1100م بقيادة محمد بن عبد الله بن فاطمة[4]، وتم استرجاعها بعد خروج النصارى منها في شعبان 495هـ/ 05 ماي 1102م[5].

---

[1]- ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص:183. أيضا: سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج4، مطبعة أطلس، القاهرة، 1990م، ص: 360.

[2]- "**كوارت cuart**": بلدة كوارت تبعد بنحو فرسخ عن بلنسية، وبها اجتمعت القوات المرابطية من كل صوب من أجل استرجاع بلنسية من يد القنبيطور، ورغم كثرة الحشود المقاتلة إلا أن الهزيمة كانت من نصيبهم في النهاية، وفرت القوات المرابطية نحو شاطبة ودانية، وذلك سنة في شهر شوال 488هـ/أكتوبر 1094م. (انظر: ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، ج4، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ط3، ص: 35 وما بعدها. أيضا: أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 178).

[3]- سحر سالم عبد العزيز، شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر العباسي-التاريخ السياسي والحضاري- الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1995، ص: 140.

[4]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 159.

[5]-Bernard.f.Reilly :cristianos y musulmanes, 1037-1157,historia de espana ,traduccion castellana de jordi Beltran-Editorial critica, Bercelona .1992. , p :107

أيضا: سحر سالم عبد العزيز، نفسه، ص: 145. محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، ص:39.

- Philippe Conrad : Op. Cit. p : 59

أما جزر البليار Balearic Islas فإن المرابطين لم يتعرضوا لأخذها من أيدي أصحابها، وذلك أن يوسف بن تاشفين وولده علي بن يوسف كانا على دراية تامة بالدور الجهادي والريادي لهذه الجزر في الدفاع عن الأندلس[1]، لا سيما منطقة الشرق التي كانت هذه الأخيرة جزءً منها، هذا إذا علمنا أن أمير البليار مبشر بن سليمان، لم يحالف النصارى و لم يهادنهم وإنما كان معهم في سجال مستمر لما تميّز به من غيرة على مصالح المسلمين، فضلا عن أنه أقر العدل وأحسن الحكومة وأرضى الرعية[2]، فقد وصفه ابن الكردبوس أنه:" **كان سامي الهمم حميد الشيم كثير الفضائل والكرم...**"[3]، ولذلك بقيت علاقات الود والتعاون من أجل الوقوف سوية في وجه الخطر النصراني المستمر على المنطقة، فقد عرفت الأخيرة حملات صليبية شرسة ومتواصلة خلال فترة الدراسة، كانت أهمها تلك الحملة التي فرضت الحصار على جزيرة ميورقة منذ شوال 508هـ/ مارس 1115م، وبقيت هذه الجزيرة تعاني وطأة الحصار وبقي أميرها مبشر يعاني الأَمَرَّين حتى توفي من شدة المرض الذي أصابه من جرّاء آثار الغزو في شهر رجب 509هـ/ ديسمبر 1115م، فخلفه أبو الربيع سليمان الذي واصل المقاومة، لكن النصارى استطاعوا الدخول إلى قصبتها في 18 شوال 509هـ/ 16 مارس 1116م، و لم تتقدم القوات المرابطية لإنقاذها إلا في أواخر ذي القعدة 509هـ/ منتصف أفريل 1116م[4]، بعد أن تركها النصارى قاعا صفصفا أو كما قال ابن الكردبوس لما وصل الأسطول المرابطي "**وجد المدينة خاوية على عروشها محترقة سوداء مظلمة منطبقة..**"[5].

---

[1]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية – التاريخ الإسلامي لجزر البليار، 89هـ - 685هـ/ 708م – 1287م- دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1984، ط1، ص:231.

[2]- محمود علي مكي، وثائق جديدة عن دولة المرابطين، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العددين 7- 8، مدريد، 1959،1960، ص: 158.

[3]- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص: 123.أيضا: عصام سالم سيسالم، نفسه، ص:210.

[4]- عصام سالم سيسالم، نفسه، ص:234، 257، 269.

[5]- ابن الكردبوس، نفسه، ص: 124.

وبعد أن وجدها قائد المرابطين ابن تافرطاس على هذه الحال قام بإعادة إعمارها بمن معه من المرابطين والمجاهدين، وجلب إليها من كان قد فرّ إلى الجبال فاستوطنوها وسكنوها[1]، وبهذه الجهود التي بذلها ابن تافرطاس استقر الحكم المرابطي في جزر البليار، يذكر ابن أبي زرع أنه في سنة 509هـ ملك أمير المسلمين علي بن يوسف الجزائر البحرية من شرق الأندلس[2].

وفي عام 510هـ/ ماي 1116م غادر ابن تافرطاس جزر البليار وترك مسؤولية الإشراف على هذه الجزر وحمايتها لأبي السداد " قائد البحر" في قاعدة دانية البحرية.

أما مسؤولية هذه الجزر خلال العهد المرابطي فقد تولاها مجموعة من الأمراء وهم:

1- قائد الأسطول ابن تافرطاس(أواخر ذي القعدة 509هـ إلى مطلع عام 510هـ على وجه التقريب).

2- أبو السداد وابنه (من أوائل محرم 510هـ إلى 21/20 ربيع الأول 510هـ/02/01 أوت 1116م).

3- وانودين بن سير (مطلع ربيع الأول 510هـ إلى شهر رجب 510هـ، حوالي منتصف أوت إلى منتصف نوفمبر1116م).

4- أبو بكر بن تاكرطات .

5- يانور بن محمد" قامت عليه الرعية وقُتِل".

6- أبو بكر بن ورقاء.

---

[1]- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص: 124. أيضا: عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 272. محمود علي مكي، وثائق جديدة عن دولة المرابطين، ص: 161.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 162.

7- محمد بن علي المسوفي المعروف بابن غانية بداية من عام 520هـ/1126م[1].

وعليه فإن الوجود الاسلامي الذي كان حاضرا منذ زمن في هذه الجزر، قد أعطى دفعا قويا لمنطقة شرق الأندلس كله، في ثباته أمام ضربات النصارى المتكررة[2]، حتى وإن كان الدعم متبادلا بين المنطقتين باعتبارهما من جهة واحدة.

وبقيت القوات المرابطية تُحكِم سيطرتها على منطقة الشرق، وبالتالي شاركت هذه الولاية في كل العمليات العسكرية المرابطية على جبهتيها سواءً على أراضي قشتالة بقيادة أبو الطاهر تميم وابن عائشة عام 501هـ/1108م، وهي **موقعة اقليش**[3]-[4] Ucles شرقي طليطلة بمساعدة والي شاطبة ابن فاطمة، أو عام 503هـ/ 1110م واسترجاع وادي الحجارة ومجريط" مدريد"، أو ضد برشلونة خاصة تلك الحملة التي قام بها ابن الحاج عام 509هـ/1115م[5].

---

[1]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 281 وما بعدها. محمود علي مكي، وثائق جديدة عن دولة المرابطين، ص: 161، 162.

[2]- سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج4، ص: 351.

[3]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 160.

[4]- **موقعة أقليش** Ucles : كانت هذه المعركة بعد عبور علي بن يوسف إلى الأندلس سنة 501هـ/1108م، حيث عهد إلى أخيه الكبر أبي الطاهر تميم بقيادة حملة عسكرية على قشتالة، فكانت قلعة اقليش من أهم قلاع النصارى الواقعة بين قشتالة والمسلمين، تقع شرقي طليطلة بينها وبين مدينة قونكة، فضرب تميم الحصار حولها ما جعل ألفونسو السادس يرسل ابنه الوحيد سانشو لمقابلة المسلمين هناك، لأن الشيخوخة كانت قد نالت منه ولا طاقة له بالحرب، فكانت النتيجة مقتل الابن الوحيد وانهزام النصارى وانتصار المسلمين هناك، اعتبر فتحا موازيا لفتح الزلاقة.(أنظر: أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص: 116 وما بعدها).

[5]- بلغيث، نفسه، ص: 160.

وبعد وفاة **ابن تافلويت**[1] خلفه في ولاية الشرق إبراهيم بن يوسف الذي استطاع الدفاع عن مدينة لاردة بمشاركة قوات شاطبة وبلنسية بقيادة تميم بن يوسف، ولكن المرابطين في هذه المنطقة ضعفت هيبتهم العسكرية أكثر مع سقوط سرقسطة في يد المحارب الأرغوني Alphonso Batallador عام 512هـ/ 1118م، حيث انفتح الطريق أمامه على كل منطقة شرق الأندلس، وما موقعة كتندة عام 514هـ/ 1120م إلا دليل على انهيار الوجود المرابطي، بل ما زاد الطين بلة هو تلك الحملة العسكرية التي قام بها ألفونسو المحارب انطلاقا من المدينة سرقسطة واختراقه جميع شرق الأندلس بدءا من بلنسية ثم جزيرة شقر مارا بدانية وشاطبة والش وأوريولة ومرسية وبيرة[2].

ولما صارت الناحية الشرقية أضعف النواحي بعد سقوط سرقسطة في يد ألفونسو المحارب Alphonso Batallador، أصبحت مدعاة لكل مستطيع مَلَكَ القوة في السيطرة على جهة ما، وهذا ما تجسد في ثورة الفقهاء وثورة المريدين هؤلاء الذين انتفضوا ضد الحكم المرابطي في الأندلس، ما أدى فعلا في النهاية إلى تقويض أركان الدولة المرابطية في المنطقة، وتزامن ذلك مع ظهور الموحدين الذين كان هدفهم الأساسي هو القضاء على سابقتها في المغرب والأندلس.

---

[1]- **ابن تافلويت:** وهو أبو بكر بن إبراهيم أبو يحي المسوفي الصحراوي صهر علي بن يوسف بن تاشفين زوج أخته، كان مثلا في الكرم وآية في الجود ولي غرناطة ثم انتقل منها إلى سرقسطة، فأقام بها مراسم الملك وتزيا بزي الملوك إلى أن هلك سنة 510هـ وقد رثاه وزيره أبوبكر بن الصائغ بمراث منها :

سلام وإلمـام وسمي مـزنة على الجـدث الثاني الـذي لا أزوره

أحق أبوبكر تقـضي فلا ترى تـرد جماهـير الوفـود سـتوره

لـئن أنست تلك اللحود بلحده لـقد أوحشت أقصاره وقصـوره

(أنظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد1، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1395هـ/1975م، ط1، ص: 404- 408).

[2]- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص، 96، 97. أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص: 161.

2- شرق الأندلس مع نهاية المرابطين وبداية الموحدين(539هـ-1145م/ 567هـ1172م)

وقد بدأت الثورة على المرابطين في الأندلس أول ما بدأت في الغرب قام بها **ابن قسي**[1] ومن تبعه من المريدين، وكانت فاتحة أعمالهم العسكرية الاستيلاء على حصن **ميرتلة**[2] Mertola في صفر 539هـ/أغسطس 1144م[3]، لينفتح المجال الثوري على السلطة المرابطية، حيث أعقب هذه العملية مناداة أبي جعفر حمدين **بن حمدين**[4] بنفسه أميرا على قرطبة وذلك في رجب 539هـ/

---

[1]- **ابن قسي**: أحمد بن الحسين بن قسي، أبو القاسم رومي الأصل من بادية شلب، نشأ منشغلا بالأعمال المخزنية ثم تزهد بزعمه، وباع ماله وتصدق به وساح في بلاد الأندلس، ثم عاد إلى بلده وعكف على قراءة كتب أبي حامد الغزالي(ت505هـ-1111م) في الظاهر، محرّضا على الثورة داعيا إلى الفتنة في الباطن، ثم ادعى الهداية مخرقة وتمويها على العامة، وتسمى بـ"الامام"، ولما سنحت له الفرصة سنة 539هـ- 1144م، كان أول الثائرين علنا على المرابطين من بلده شلب، لكنه اصطدم فيما بعد بالموحدين وولوه على شلب، فحتى وإن أبدى المسالمة والبيعة لهم، إلا أنه لم يستقر على ذلك فكانت نهايته على أيدي أهل بلده الذين أنكروا عليه مهادنته للنصارى، وذلك سنة 554هـ-1159م.(أنظر: ابن الأبار، الحلة السيراء ، ج2، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت لبنان، 1960م ص: 197 وما بعدها. ابن الخطيب، أعمال الأعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي برفنسال، دار المكشوف، بيروت لبنان، 1956م، ط2، ص: 248 وما بعدها، راجع أطروحة الدكتوراه للباحث محمد الأمين بلغيث، الموسومة بـ "الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين".

[2]- **حصن ميرتُلة** Mertola: وتكتب أيضا مارتلة و مرتولة، كانت من مدائن كورة باجة Beja في البرتغال الحالية، وهي تلاصق كورة قرطبة من الغرب وتقع جنوب كورة ماردة، وقصبتها من أمنع الحصون في إقليم الجوف، كان اسمها في القديم Myrtilis وتقع على نهر وادي آنة، على بعد 45 كلم من مصبه.(أنظر: الادريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص: 266. ابن الأبار، الحلة السيراء، ص: 198. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مطابع هيدلبرغ، بيروت لبنان، 1984، رقم: 183، ص: 191 "ميرتلة". أو رقم: 165، ص: 175 "مارتلة").

[3]- مغنية غرداين، ثورة المريدين بغربي الأندلس، 539هـ-541هـ/1144م-1146، مجلة الخلدونية للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد6، جامعة تيارت، 2013م، ص: 171.

[4]- **ابن حمدين**: أبو جعفر حمدين بن علي بن حمدين، تلقى العلم في مدينة قرطبة، واشتغل بالقضاء حتى بلغ قاضي الجماعة بالمدينة سنة 529هـ/1134م بعد مقتل قاضيها ابن الحاج، إلا أنه اختلف مع الحكام المرابطين فعزل عن منصبه سنة 532هـ/1137م، ثم أعيد إلى القضاء مرة أخرى سنة 536هـ/1141م إلى غاية قيامه بالثورة على المرابطين سنة 539هـ/1144م في قرطبة، توفي في مدينة لبلة بعد أن فر أمام الموحدين عام 544هـ/1149م، بعد دخولهم مدينة قرطبة، واتجه نحو طليطلة وأقام عند ألفونسو لكن اكتشف هذا الأخير أن ابن حمدين يريد خيانته، فأنهى سنوات عمره بأن قتله (أنظر:=

ديسمبر1144م- جانفي1145م، ثم آلت الزعامة الثورية في قرطبة إلى سيف الدولة بن هود في رمضان من نفس العام، لكنه فرّ بعد قتل وزيره متّجها نحو مرسية التي حكمها الثغري ثم ابن عياض نيابة عنه فيما بعد.

ومن هنا تمتد الثورة نحو الشرق بدءا من مرسية التي انتزى بها أبو محمد عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم اللورقي المعروف بابن الحاج ودعا لابن حمدين وخطب له، ما جعل ابن هود يوجه أطماعه نحوها، فأرسل إليها أبو عبد الله محمد بن فرج الثغري فطرد منها ابن الحاج وأدخلها في طاعة ابن هود. إلا أن أمر المدينة هذه لم يدم للثغري، حيث أخرجه أهلها منها وقدموا أبا جعفر محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الخشني الفقيه في شوال 539هـ/1145م، فتولى أمرها بقية العام وأشهرا من العام 540هـ[1] ، فهو الذي كان يقول " **ليست تصلح لي ولست لها بأهل، ولكني أريد أن أمسك الناس بعضهم عن بعض حتى يجيء من يكون لها أهلا**"[2]، ثم خرج إلى شاطبة معينا أبا عبد الملك مروان بن عبد العزيز على محاصرة من بها من المرابطين، ثم خرج بجيشه إلى غرناطة مقدما عونه للقاضي أبو الحسن بن أضحى، إلا أن النصر كان حليف المرابطين خاصة وفيهم عبد الله بن محمد بن علي بن غانية، وتعرف هذه الواقعة بوقعة المصلى أواخر ربيع الثاني 540هـ/ 1145م، حيث قُتل أبو جعفر الخشني.

ثم وليها أبو عبد الرحمن بن طاهر إلى أن دخل عليه ابن عياض في آخر جمادى الآخرة باسم ابن هود إلى غاية استشهاد الأخير، وبقيت الرئاسة تتأرجح بين ابن عياض والثغري إلى أن قُتِل

=سلامة محمد سلمان الهرفي، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين(رسالة ماجستير)، إشراف أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1402هـ-1982م، ص: 86). أيضا:

- Antonio Delgado y Hernandez, Considerada Como Comprobante historico de la dominacion islamica de la peninsula, Estudios de Numismatica Arabo- Hisbana, Editado por : Alberto Garcia y tawfiq Ibrahim, Madrid, 2001, p : 289.

[1]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص: 227، 228.أيضا: الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،ج1، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م، ط1، ص: 64، 65.

[2]- حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، العدد 03، المجلد الأول، 1374هـ/ 1955م.ص: 123.

كلاهما بعد عام 542هـ/ 1147م، فتولى أمر مرسية أبا الحسن بن عبيد ثم تنازل عنها لأبي عبد الله محمد بن سعد الذي رأس بلنسية في جمادى الأولى سنة 542هـ/ 1147م، فجعل عليها ابن همشك الذي بقي في طاعته إلى غاية عام 560هـ/ 1165م، حين قام عليه لخلاف وقع بينهما[1].

أما المرية فإن أهلها أخرجوا من كان فيها من المرابطين، وطلبوا من أمير البحر **عبد الله بن ميمون**[2] أن يتولى أمرهم، لكنه رفض بحجة أنه صاحب البحر وبه عُرِف، ذكر صاحب المعجب على لسانه أنه قال لهم :" **إنما أنا رجل منكم ووظيفتي البحر وبه عرفت، فكل عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به فقدّموا على أنفسكم من شئتم غيري**.."[3]، فقدّموا رجلا منهم اسمه عبد الله بن محمد ويعرف بابن الرّميمي، و لم يزل عليها واليا حتى دخلها عليه النصارى(ملك قشتالة ألفونسو بن ريمند "السليطين" Alphonso Raimudez) بعد أن حاصروها برا وبحرا قرابة الثلاثة أشهر في 20 جمادى الأولى سنة 542هـ/أكتوبر سنة 1147م "..**وقتلوا أهلها وسبوا نساءهم وبنيهم وانتهبوا أموالهم**"[4]، وذلك بعد أن اضطر أهلها إلى التسليم، وفيها استشهد عدد كبير من المسلمين منهم العالم الجليل الحافظ أبو محمد عبد الله الرشاطي المري حيث يصفها الإدريسي(ت560هـ-1166م) بقوله:" **والمرية في هذا الوقت الذي ألفنا كتابنا فيه، صارت ملكا بأيدي الروم، وقد غيروا محاسنها وسبوا أهلها، وخربوا ديارها، وهدموا مشيد بنيانها ولم**

[1]- الضبي، بغية الملتمس، ص: 65، 66.

[2]- **عبد الله بن ميمون:** وهو أمير البحر أيام المرابطين، وكانت له في أيامهم مواقع كبيرة في الدفاع عن الجزائر الشرقية وسواحل بلنسية وتدمير وهو الذي أسر الرُبرتير القائد القطلوني ثم دخل بعد ذلك في خدمة الموحدين وقاد أسطولهم.(أنظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج3، هامش صفحة 222. أيضا: علي قنبر إلياس، بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي- 508هـ-599هـ/1115م- 1202م، مجلد 10، العدد 2، جامعة الموصل، 2010م، ص: 417. أيضا: عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار الشروق، بيروت، 1403هـ-1983م، ط1، ص: 58، 59).

[3]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ص: 178.

[4]- نفسه، ص: 178. أيضا: عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية-قاعدة أسطول الأندلس- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984، ص: 93.

يبقوا على شيء منها..."[1]، حاول الموحدون استرجاع المرية سنة 546هـ/1151م، لكنهم لم ينجحوا في ذلك إلا بعد حصار دام سبعة أشهر من سنة 552هـ/1157م[2].

وبالنسبة إلى بلنسية فقد كانت أمورها عند اضطراب الأوضاع في يد الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد **بن غانية**[3]، والبادئ بالفتنة فيها هو القاضي أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز، الذي كان سببا في صرف القاضي ابن جحاف[4] عن خطة القضاء، وتولى هو مكانه بعد شهر جمادى الأولى سنة 538هـ/ديسمبر 1143م[5].لكن سوء التفاهم الخفي أو الصراع الصامت كما تسميه بعض المراجع كان بين والي المدينة عبد الله بن غانية والقاضي ابن عبد العزيز، وربما سبب الخلاف هو طموح هذا القاضي الذي اصطدم بسلطة الوالي، فقد حاول ابن عبد العزيز تمكين نفسه بين الناس مستغلا منصبه، ولمّا لم يجد وسيلة تُبلِغه مراده وجد في اضطراب الأمور وسيلة للقفز إلى السلطة. وما زاد الأمور سوءً رغم التقاء الوالي والقاضي في المسجد ومخاطبة الناس محاولةً منهم للائتلاف والالتفاف، هو انتشار تلك الشائعات التي مفادها تآمر القاضي على الوالي، ما جعل الطرفين كل منهما يقف موقف الحذر، حتى كانت النهاية أن فرَّ هذا الوالي ومن معه من المرابطين إلى شاطبة، ولمّا تبيّن للعامّة وللقاضي فرار الأخير لجأ أهل بلنسية إلى تعيين وال مرابطي آخر، طبعا بعد عرض

---

[1]- الادريسي، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، ص: 290.

[2]- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 94 وما بعدها.

[3]- **بنو غانية**: ارتبط تاريخ جزر البليار ببني غانية المرابطين من قبيلة مسوفة الصنهاجية منذ تولية محمد بن علي المسوفي الملقب بابن غانية عاملا على هذه الجزر من قبل الأمير علي بن يوسف بن تاشفين وظل كذلك حتى وفاة عميد أسرة بني غانية سنة 543هـ-1148م.(أنظر: سالم سيسالم عصام، جزر الأندلس المنسية-التاريخ الإسلامي لجزر البليار-89هـ-685هـ/708م-1287م، بيروت لبنان، دار العلم للملايين، 1984م، ط1، ص: 318).

[4]- **ابن جحاف**: وهو غير القاضي ابن جحاف الذي أحرقه القنبيطور عام 486هـ/1093م.

[5]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين - عصر الطوائف الثاني- 510هـ-546هـ/1116م-1151م، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1408هـ-1988م، ط1، ص: 84، 85.

الولاية على القاضي الذي تنكرها رغبة منه أن يُعطاها بإلحاح، إلا أن القاضي زاد شرّه تجاه الوالي الجديد ما أدى إلى فرار الأخير أيضا إلى شاطبة[1].

وعليه كان خروج الولاة المرابطين وفرارهم فرصة استغلها القاضي فتمت له البيعة يوم الاثنين 03 شوال 539هـ/ مارس 1145م، وذلك بأيام قليلة من بيعة ابن حمدين بقرطبة[2].ومن هنا اجتمع ابن عبد العزيز القاضي مع صديقه والي مرسية أبي جعفر بن أبي جعفر على حصار شاطبة التي بها المرابطون الفارون، وكلاهما يُضمر في نفسه الفوز بها. لكن ابن غانية لما رأى أن لا جدوى في البقاء التحق بالمرية ومن هناك نقله أمير البحر ابن ميمون قائد الأسطول المرابطي إلى جزيرة ميورقة ليلحق بأبيه الوالي عليها، وصارت شاطبة بيد ابن عبد العزيز ثم انضمت إليه لقنت وما جاورها، لكن هذا القاضي لم يلبث في مكانه طويلا، بحيث اصطدم بالجند لتقصيره عن دفع مرتباتهم، ما جعله يفرّ هو الآخر. لكن لسوء طالعه أن نقله قائد الأسطول ابن ميمون لتسهيل خروجه من الأندلس، فسلّمه لعدوه السابق ابن غانية في جزيرة ميورقة، وبقي في سجنه لمدة عشر سنوات بعد أن خلّصه من سجنه الوزير أبي جعفر بن عطية[3]، ولمّا اضطربت الأمور في المدينة بلنسية قدّموا عبد الله بن محمد بن سعد بن مردنيش نائبا عن ابن عياض الذي كان في مرسية[4].

3- شرق الأندلس خلال عصر الموحدين (567هـ1172م/668هـ1269م):

سعى الموحدون جاهدين للقضاء على دولة المرابطين بل تتبعوهم حتى إلى الأقاليم التي كانت ضمن أملاكهم، ولذلك بعد أن حققوا نجاحهم أو كاد عليهم، تطلعوا إلى بلاد الأندلس باعتبارها إقليما لا يقل أهمية عن بلاد المغرب، بل أكثر من ذلك أرض الجهاد ودار الحرب. فقد وفد على الأمير عبد المؤمن جماعات كثيرة من أهل الأندلس في الفترة ما بين 542هـ- 546هـ/1147م-

[1]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص: 218 وما بعدها.

[2]- نفسه، ص: 219.

[3]- نفسه، ص: 222، 225. دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، هامش ص: 87.

[4]- نفسه، ص: 222.

1151م، بغض النظر عن أولئك الثائرين على الحكم المرابطي كابن حمدين و ابن قسي، حيث نجد من جملة الوافدين الكثير من العلماء وفي مقدمتهم القاضي **أبو بكر ابن العربي**(542هـ-1145م)[1] وبعض الفقهاء والعلماء، فقد طالبوه بالقدوم نحو بلادهم لّما تغلب عليهم النصارى وهذا ما تقتضيه حقيقة الجهاد[2].

ومن هنا كان دخول الموحدين لبلاد الأندلس، خاصة وأن الظروف السياسية التي سادت المنطقة خلال هذه الفترة بالذات من انقلاب أهل الأندلس على المرابطين وانتشار الثورات والتمردات ضدهم، قد أعطى أكثر من دافع لتسهيل مهمة ضم البلاد إلى سلطانهم، إلا أنهم اصطدموا بالأمير ابن مردنيش الذي استطاع أن يبسط سيطرته على أغلب جهات شرق الأندلس، فقد أحكم قبضته من لدن انهيار الحكم المرابطي إلى غاية سنة 567هـ/ 1171م، رغم المحاولات المتكررة لانتزاع هذا الإقليم من يده، ونظرا لكون الموحدين كانوا منشغلين بتثبيت أركان حكمهم خاصة في المغرب، فإن **ابن مردنيش**[3] Martinus تسلّط على المنطقة تسلّطا أخرجه

---

[1]- **أبو بكر بن العربي**: وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري، ولد باشبيلية سنة 468هـ-1075م، برع في الفقه والحديث والأدب، قال عنه ابن خاقان: "علم الأعلام الطاهر الأثواب...سقى الله به الأندلس بعدما أجدبت من المعارف، ومدّ عليها منه الظل الوارف..."، ومن تصانيفه "أحكام القرآن" و"العواصم والقواصم" و"سراج المريدين"، توفي سنة 542هـ-1145م.(ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ-1983م، ط1، ص: 297. انظر: محمد الأمين بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 671) .

[2]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث - المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990، ط2، ص: 325، 326.

[3]- **ابن مردنيش**: اقترح كوديرا أن يكون أصل هذا الاسم هو Martinus أو Mardonius، وهذا الأخير من أسماء البيزنطيين – كان ابن مردنيش في هيئته ولباسه وسلاحه أقرب إلى نصارى شبه الجزيرة منه إلى مسلميها، وكان يتكلم لغاتهم الاسبانية والقطلونية بطلاقة وكان الكثير من رجاله وجنده نصارى، بل أعطى واحدا منهم هو pedro Ruiz de Azagis – مدينة شنتمرية الشرق إقطاعا وسمح له بأن يقيم فيها أسقفية وكان هو نفسه حليفا لملك قشتالة وكونت برشلونة، وكان يؤدي إتاوة لريموند برنجير الرابع كونت برشلونة ولألفونسو السابع ملك قشتالة قدرها 100 مثقال من الذهب... وكذلك كان يدفع إتاوة لجمهوريتي بيزا وجنوة، وكانت بينه وبين ملك انجلترا مراسلات ومهاداة، ولكن رغم كل هذه الإتاوات إلا أن كونت برشلونة ينتزع منه طرطوشة سنة 1149م ثم لاردة وإفراغة ومكناسة أواخر العام نفسه.(انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، هامش صفحة: 233 نقلا عن كوديرا Decadencia y desaparicion de los Almoravides en Espana).

البعض من زمرة المسلمين، إذا علمنا أنه أدخل النصارى في حكمه وأصبحت لهؤلاء الأخيرين اليد الطولى في سياسته الداخلية والخارجية[1]، دون أن ننسى أن ألفونسو السابع" السليطين" قد دخل مدينة المرية عنوة وامتلكها بالكلية في 20 جمادى الأولى سنة 442هـ/ أكتوبر1147م[2]، وكان سقوط هذه المدينة عاملا أساسيا دفع صاحب برشلونة رامون برنجير Raymond berengar فاستولى على الكثير من المدن القريبة من إمارته وأهمها مدينة طرطوشة، فبعد أن تحالف مع أسطول جنوة انضم إليهم البيزيين والقطلان وضربوا حصارا حولها كانت نهايته أن خرج أهلها وفق شروط للتسليم[3]، وهنا نلاحظ أن أمير الشرق ابن مردنيش لم يتقدّم لإنقاذ أي من المدينتين نظرا لرباط الصداقة الذي بينه وبين النصارى ، وبالتالي سقطتا في أيديهم، وبقيت المرية تحت سلطتهم حتى سنة 552هـ/1157م، أي بعد خضوع مدينة غرناطة للموحدين فكانت المرية أول ما توجه نحوه الأخيرين واسترجعوها[4]، لكن أهل المرية ما لبثوا على طاعتهم تلك، فقد ثاروا عليهم وأخرجوهم، وهنا امتلكها ابن مردنيش إلى غاية سنة 566هـ/1170م[5]، عندما سلّمها للموحدين محمد بن مردنيش[6] بعد قضائه على واليها "ابن مقدام"[7].

أما العمل الجدي الذي بدأه الموحدون لاسترجاع الشرق من يد ابن مردنيش فكانت البداية عام 560هـ/1165م، فقد خرج الموحدون في أول ذي القعدة من قرطبة متجهين نحو شرق

1- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 209.

2- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 114. أيضا: عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 87.

3- نفسه، ص: 114، 115.

4- مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية (الرسالة السادسة عشر)، جمع وإصدار ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية مصطفى بن عبد الله، الرباط، 1941م، ص: 71 وما بعدها.

5- دندش، نفسه، ص: 118.

6- **محمد بن مردنيش** : وهو ابن عم محمد بن مردنيش أمير شرق الأندلس الثائر على المرابطين والموحدين فيما بعد.

7- عبد الملك بن صاحب الصلاة، المن بالإمامة- تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987، ط 3، ص: 320.

الأندلس[1]، فاعترضهم الأخير بجيشه وأحلافه النصارى عند لورقة شرق المدينة، إلا أنهم اتخذوا الجهة الغربية بدلا منها طريقا لهم نحو مرسية، فلحق بهم وكان اللقاء بينهم عند فحص الجلاب على عشرة أميال من مرسية[2]، وذلك يوم الجمعة 07 ذي القعدة 560هـ/1165م، انتصر فيها الموحدون وفرّ ابن مردنيش مهزوما نحو جبل قريب وقضى بقية نهاره ذاك، إلى أن جنّ عليه الليل لجأ إلى مرسية فتتبعه الموحدون نحو المدينة وأقاموا بظاهرها أياما وليالي[3].فكانت هذه الواقعة من أشد الضربات التي أصابت ابن مردنيش وكانت بداية انهيار حكمه في شرق الأندلس[4].

وفي أوائل ذي القعدة عام 565هـ/1169م، وجّه الموحدون حملة عسكرية إلى مرسية مرة أخرى، لمواجهة ابن مردنيش الذي استعصى أمره عليهم بقيادة أبي حفص ولكن دون نتيجة[5]، ولما ولما حلت سنة 566هـ/1170م تجهز الموحدون في حملة أخرى في شهر رجب وفي صحبتهم هذه المرة أحد أعوان أمير الشرق بل من أقرب مساعديه، ألا وهو إبراهيم بن **همشك**[6] بعد عودته إلى

[1]- عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ج5، عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، ص: 16 وما بعدها.

[2]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 197، 198. أيضا: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص:176. البيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص: 88.ابن عذارى، البيان–قسم الموحدين، ص: 88 وما بعدها. ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص: 320.

[3]- نفسه، ص: 200.

[4]- عبد الله عنان، نفسه، ص: 18.

[5]- ابن صاحب الصلاة، نفسه، ص: 221.

[6]- **ابن همشك**: وهو إبراهيم بن محمد بن مفرِّج بن همشُك، رومي الأصل أسلم على يد أحد ملوك بني هود في سرقسطة، وكان مقطوع أحد الأذنين لذلك كان النصارى ينادونه هامشك معناه ترى المقطوع الأذن، ولما قامت الفتنة على المرابطين اتصل بالأمير ابن عياض، كما تمكن من التغلب على شقورة وعلا أمره حتى داخل الأمير ابن مردنيش وصاهره، فكان سيفه المسلط على من عصاه ذو البأس الشديد، إلى أن فسد الأمر بينهما وافترقا، ونبذ طاعة صهره ابن مردنيش وذلك في شهر رمضان سنة 564هـ/1168م، ودخل في طاعة الموحدين. قال عنه ابن صفوان بيتا من الشعر خلّد به أيام بطشه في قوله:

وديار شكوى الزمان فتشكو حدثتنا عن عزة ابن همشك

(انظر: ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 296 وما بعدها). =

حظيرة الجماعة الموحدية ونبذ طاعة صهره ابن مردنيش، وذلك في شهر رمضان سنة 564هـ/ 1168م[1]، وأول ما نزل الجيش الموحدي مدينة قيجاطة، وتوسعوا في مختلف البقاع حتى وصلوا على مشارف مدينة مرسية، وفي طريقهم ذاك تغلبوا على حصن الفرج الذي كان منتزه ابن مردنيش واستباحوا المربضات والبساتين وابن همشك يدلهم على عورات عدوهم.

بقي ابن مردنيش متمسّك بمرسية والموحدون ضاربون حصارهم حوله، لكنّه أراد صرفهم عنه بأن أرسل قائده أبا عثمان بن عيسى رفقة جنده من النصارى وكانوا حوالي 400 فارس إلى مدينة لورقة وتحصنوا بقصبتها، ولمـّـا طال النزال بينهم واعتلّت حال ابن مردنيش، قامت العامّة من أهل لورقة على النّصارى وقاتلوهم وأرسلوا في طلب الأمير أبي حفص بالقدوم إليهم من مرسية، فلبى نداءهم وضيق الخناق على قصبة المدينة، وبعد طول حصار واشتداد الحال على المتحصنين بالقصبة وفناء الماء والأقوات، وبعد وساطة ابن همشك تنازل ابن عيسى عن حربهم وطلب الأمان هو ومن معه من النصارى الذين توجهوا مباشرة بعدها إلى بلادهم ناجين بأنفسهم.[2]

وبالتالي تم الدخول إلى لورقة وامتلاكها، وبعد إخبار الأمير بذلك طلب منهم إعادة تشديد الحصار على مرسية، وفي طريقهم لتحقيق الهدف أطاعتهم الكثير من المناطق كأهل حصن بلج وبعض الحصون المجاورة، كما وجّه أبا حفص أحد قوّاده وهو الشّيخ الحافظ أبا عبد الله بن الشّيخ أبي إبراهيم إلى مدينة بسطة فأخضعها وأمّن أهلها كباقي أهالي المناطق الأخرى، ولمـّـا تسامع أهل الشرق بذلك بادر أهل جزيرة شقر بالطاعة والتوحيد، وقاموا بإخراج النصارى من بلدهم،

= ويروي ابن الأبار في تحفة القادم شعرا لأبي بكر اليعمري، يذم فيه ابن همشك هذا، جاء فيه:

همشك ضم من حرفين ... من هم ومن شكٍّ

فعين الدين والدنيـــــا ... لإمرته أسى تبكي

(انظر: ابن الأبار، تحفة القادم، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1406هـ- 1986م، ط1، ص: 107، ت: 47).

[1]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 302، 303، 316.

[2]- نفسه، ص: 316 وما بعدها.

وتوالت انتصارات الموحدين من جهة وانقلاب بعض أقارب ابن مردنيش وأصحابه عليه من جهة أخرى، ما جعل نفسه تزداد ألما حتى كانت سببا في سقمه ومرضه ومن ثم موته، وفي هذا يقول ابن صاحب الصلاة:"...**ولم يزل ابن مردنيش في حصاره في عقر داره، ونكبات تترادف عليه من انقلاب إخوته عن طاعته وأصهاره، وهو مكبود مفؤود، قد أسلمه القريب والبعيد ...وتحقق من أخيه الانحراف والميل إلى الموحدين والانعطاف، فزادت كبده ألما واتصلت نفسه سقما...ولازمته العلة المزمنة بأسباب المنية**"[1].

كانت هذه آخر منازلة عسكرية بين ابن مردنيش والموحدين، حيث توفي أمير الشرق واستطاع الأخيرون إخضاع منطقة الشرق، هنا تقدم نحوهم أخوه يوسف بن سعد الذي كان واليا على بلنسية، فاجتمع رأيه مع رأي أولاد محمد بن سعد على التسليم للموحدين ووضع أيديهم في يد الأمير أبي يعقوب، وفيما قيل أن والدهم لمـّا حضرته المنيّة أوصاهم بأنّه لا خيار لهم سوى تسليم الأمر اختيارا منهم لأنهم لا طاقة لهم بمناجزتهم فقد خبرهم قبلهم، وفي هذا الصدد يقول صاحب المعجب، أنه قال لهم: " **يا بني إني أرى أمر هؤلاء القوم قد انتشر، وأتباعهم قد كثروا ودخلت البلاد في طاعتهم، وإني أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومتهم، فسلِّموا إليهم الأمر اختيارا منكم، تحظوا بذلك عندهم قبل أن يترل بكم ما نزل بغيركم...**"[2].

ومن خلال عرض حال الثائر ابن مردنيش ومقارعته الطويلة نوعا ما للموحدين، يمكن القول أن منطقة شرق الأندلس في المرحلة التي تلت نهاية سلطة الدولة المرابطية، كانت في الواقع تحت حكم سلطة سياسية محلية، خاصة إذا علمنا أن صاحبها من المولدين، أي من الفئة التي غالبا ما كان ميلها هو التشبث بأرض الأندلس ومحاولة إبعاد العرب عن حكمها وكأنها تفيض بالعصبية الاسبانية ، وقد دامت قرابة 25 سنة أي حوالي ربع قرن من الزمان وليست المدة هذه بالهينة، وحتى إن لم تتوفر أية معلومات ذات شأن بالنسبة للسلطة التي مارسها ابن مردنيش، أي أننا نجهل

[1]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 318، 319.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 210.

تماما الوضع السياسي الداخلي والخارجي كطبيعة ونظام الحكم مثلا والإدارة، هنا تتبادر أسئلة كثيرة إلى ذهن أي قارئ لهذه الأحداث، وأهمها:

- هل قام صاحب السلطة- ابن مردنيش – أو حاول على الأقل أن يؤسس دولة فعلية قائمة بذاتها على الأركان الواجبة لقيام الدول، كشأن أي منتزي بمنطقة جغرافية ما كملوك الطوائف مثلا؟ خاصة وأنه أحكم قبضته على منطقة لها من الأهمية بمكان سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا.

- هل مارس سلطته وفق نظام سياسي معين أيا كان نوعه؟ أم كانت سلطته قهرية من جراء امتلاك جيش عسكري يوجهه كيفما شاء لتحقيق مطامعه وأي نوع من هذه المطامع؟

هناك أسئلة كثيرة في هذا الباب، ولا نملك الإجابة الكافية لذلك، ولكن هناك استنتاج عام حول هذه القضية وهو:

- أن ابن مردنيش كان مجرد أداة استعملها النصارى لتحقيق أهداف كبرى والدليل على ذلك هو دفعه للضرائب والإتاوات لهم بما فيهم المدن الايطالية التجارية، حيث كانت محصلة الضرائب لديه هي جيوب الرعية، ومن قصصه العجيبة في هذا الباب أنه فرض ضرائب خاصة بالأفراح بل أكثر من ذلك حتى على أهل الأموات، لكنهم – نصارى الشمال- بدأوا يقتطعون بعض المدن التابعة لابن مردنيش وهو لم يحرك ساكنا نظرا للصداقة التي بينهم.

أما جزر البليار Balearic Islas فقد كان عليها بنو غانية وهؤلاء هم أمراؤها منذ عهد المرابطين وتوارث أبناؤها السلطة، حتى كان أمر الموحدين فهادنوهم بما كانوا يرسلونه من هدايا حتى يصرفوهم عنهم، وفي هذا يقول صاحب المعجب أن إسحاق بن محمد بن غانية :" **كان يراسل الموحدين ويهاديهم ويهادنهم ويختصهم بكل ما يسبي ويغنم بنفسه وجيده، يشغلهم بذلك عنه...**"[1]، إلا أنهم – الموحدين- كتبوا إليه خلال سنة 578هـ/ 1182م، بالدخول في طاعتهم والدعاء لهم على المنابر، فوعدهم بذلك لكن أصحابه اختلفوا عليه ولم يحسم أمره مع طالبيه حتى كان استشهاده حين خرج غازيا بلاد الروم. وهنا تولى ولده علي الحكم من بعده إلا

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 225.

أنه افتتح هذا الأمر بأن قام بغزو بجاية، التي كانت من أملاك الموحدين ودخلها يوم الاثنين 06 شعبان 578هـ/ 1182م، بناء على طلب أهلها على ما يقال، وهذا ما أدى إلى المواجهة العسكرية بينهم، لكنه كلّفهم خسائر معتبرة جعلته يفرض نفسه على مسرح الأحداث لمدة أطول[1].

ولما ثقل أمر ابن غانية على الموحدين خاصة لما ملك بجاية، تقرر جدّيا من طرف الأمير أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف(576هـ - 610هـ/ 1180م- 1213م)، أن يجهز أسطولا نحو جزر البليار حتى يستأصل أمر ابن غانية نهائيا، وفعلا جعل قيادة هذا الأسطول لعمّه أبي العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن، وعين على الجيش أبا سعيد عثمان بن أبي حفص من أشياخ الموحدين واتجها نحو هذه الجزر وبدأوا بجزيرة ميورقة ففتحاها عنوة وقتلا أميرها عبد الله بن إسحاق بن غانية، وذلك في شهر ذي الحجة سنة 599هـ/1203م[2]. وبعد هذا الفتح اتصل به فتح جزيرة منورقة وكان عليها الزبير بن نجاح واليا من قبل ابن غانية فقتلوه هو الآخر[3].

إلا أن الحكم الموحدي بدأت تظهر عليه علامات الضعف تدريجيا انطلاقا من واقعة العقاب الشهيرة عام 609هـ/1212م[4] هذا من جهة، ومن أخرى انتهاز بعض الشخصيات الفرصة للانقضاض على الحكم، طبعا من سلالة الأسرة الحاكمة وعلى رأسهم أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذي كان على ولاية شرق الأندلس، هذا الأخير الذي يمثل حلقة أخرى من حلقات الصراع حول العرش خلال العهد الموحدي، فما كاد أن يجلس أبو مالك عبد الواحد بن أبي يعقوب للحكم سنة 620هـ-1223م ، ، حتى أعلن عصيانه بأن تقدم نحو مرسية معتبرا نفسه أميرا وتلقب بالعادل، وأخذ يهيئ الأسباب لهذه الغاية، وقد كان سببا في انتفاض بعض المغاربة

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 225.

[2]- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المجلد7، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دتا، رقم 367، ص: 19.

[3]- عبد الواحد المراكشي، نفسه، ص: 260، 262.

[4]- أبو عبد الله بن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ-1898م، ص: 60.

على ابن أبي يعقوب الذي لم يكن أهلا للولاية، نظرا لمجونه وتركه أمر الرعية والجهاد فخلعوه وقتلوه بعد بضعة أشهر من ولايته[1] في رمضان 621هـ/ سبتمبر 1224م[2]،إلا أن صاحب الحلل الموشية يذكر أنه توفي بعد تخليه عن الخلافة بثلاثة أيام دون تحديد سبب معين لوفاته[3]، ولكن أبو محمد تم قتله هو الآخر خلال سنة 624هـ/1227م، وهنا اشتد الصراع أكثر بين أفراد الأسرة الموحدية، ما أدى إلى ذهاب ريح الدولة وزوالها مع انسلاخ شهر ذي الحجة عام 667هـ ومطلع شهر محرم 668هـ[4].

وفي خضم هذه الأحداث من صراعات سلالة الأسرة الموحدية على السلطة، ظهرت شخصيات لعبت أدوارا رئيسية في أحداث هذه الفترة من عمر الدولة الموحدية، وأبرز هذه الشخصيات ابن هود أبو عبد الله محمد بن يوسف المتوكل على الله من سلالة بني هود أصحاب الثغر أثناء فترة الطوائف، حيث استولى هذا الأخير على أغلب جهات الشرق، وأعلن نفسه أميرا عليها وتلقب بالمتوكل على الله وخطب للعباسيين واتخذا السواد شعارا له وذلك بعد سنة 625هـ/1228م، ثم لم يلبث أن دانت له الكثير من المدن مثل جيان وماردة وقرطبة وبطليوس، وهذا كان سببا رئيسيا في خروج حكم الجزيرة كلها من أيدي الموحدين لما انتزع منهم جبل الفتح والجزيرة الخضراء فلم يبق لهم أمر ولا نهي على حد قول ابن أبي زرع[5]، ولذلك فالفترة بين حادثة العقاب سنة 609هـ/ 1212م، وخلافة أبي العلاء إدريس سنة 625هـ/1228م، تعتبر فترة اضمحلال بالنسبة لبعض المدن الأندلسية، نظرا للاضطرابات العنيفة التي وقعت في المنطقة، حيث اشتعلت الثورات والفتن، كما كانت جبهات الصراع كثيرة فابن هود في صراع مع الموحدين من جهة والنصارى

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 238.

[2]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 245. أيضا: يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص: 156.

[3]- ابن سماك العاملي، الحلل الموشية، ص: 247.

[4]- ابن أبي زرع، نفسه، ص: 261. أيضا: ابن سماك العاملي، نفسه، ص: 258.

[5]- نفسه، ص: 274، 275. أيضا: عبد الواحد المراكشي، نفسه، ص: 239.

من أخرى، وظهور أنداد له من جهة ثالثة، وأهمهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، حيث كان قيام هذا الأخير سنة 629هـ/1232م، لتشتد أكثر حدة الصراع وعلى كل الجبهات[1].

وبالتالي فإن هذه الأحداث المتوالية التي لم تكن في صالح المسلمين جميعا سواءً كانوا حكاما أو محكومين، قد أعطت دفعا آخر للقوى النصرانية متمثلة في أرغون وقشتالة على وجه التحديد في مباشرة أعمالها الحربية ضد الوجود الإسلامي في المنطقة الأندلسية، لا سيما الشرق منه، فقد تقاسم الملوك النصارى جبهات الأندلس، وكان شرقيه من نصيب **خايمي الأول Jaime I** الملقب بالكونكستادور أي الفاتح[2]، وأول ما وقع في يده جزر البليار ما بين عامي 626هـ - 635هـ، ثم اتجه بعدها نحو بلنسية وضرب عليها حصاره عام 634هـ-1237م، فأرسل صاحبها أبو جميل زيان الأديب ابن الأبار لطلب النجدة من الأمير الحفصي أبي زكريا، أسمعه هذا قصيدة من أروع ما عرف الشعر من أساليب الاستعطاف، ولشدة تأثر الأمير الحفصي بها بعث أسطولا مشحونا بالمؤن والمال[3]، إلا أنه لم يستطع الاقتراب من المدينة لشدة الحصار المضروب عليها، فاتجه صوب دانية ورسى هناك وأفرغ ما كان يحمل من متاع، ولمّا يئس أهل بلنسية وأميرها من هذا الموقف الشديد الوطأة، وقعت مراسلات بينه وبين النصارى كانت نتيجتها أن سلموا البلد وفق شروط

---

[1]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 275 وما بعدها. أيضا: المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1، شرح وتعليق مريم قاسم الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م، ص: 446 وما بعدها. ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 141، 142.

[2]- **خايمي الأول Jaime I** : ابن بيدرو ملك أراغون، حيث بعد وفاة الخير وقع صراع شديد بين أخوي المتوفي وتنكرا لخايمي معتبرين إياه ابنا غير شرعي لأخيهم، إلا أن البابا إنوسان الثالث أقر بشرعيته وبالتالي باحقيته في الملك، وتولى رعايته لأنه كان لا زال في سن السابعة من العمر أستاذ فرسان الداوية Templars في مملكة أراجون وهو وليم دي مونريدون، ولكن الفتنة استمرت بين الاخوة حول العرش، حتى خلص في الأخير حكم المملكة لخايمي، وهو من ساهم في اسقاط جزر البليار في يده سنة 627هـ-1230م، ثم بلنسية في 27 صفر 636هـ/ سبتمبر 1238م.(حول الموضوع أنظر: يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص: 414 وما بعدها).

[3]- أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضوي، المكتبة العتيقة، تونس، د تا، ص: 27، 28.

اتفقوا عليها، ودخلها النصارى صبيحة الجمعة 27 صفر 636هـ/ سبتمبر 1238م[1]، وبسقوط هذه الأخيرة انهارت الجبهة الشرقية. وأصبحت قواعدها تسقط تباعا فكان الدور على مرسية عام 640هـ/1243م ثم جيان وشاطبة عام 644هـ/ 1246م[2]. ولم يبقى تقريبا من مدن الشرق في أيدي المسلمين سوى مدينة المرية التي أضحت فيما بعد من أهم قواعد دولة بني نصر، الذين قاموا في غرناطة محتفظين بما بقي من آثار الإسلام الحضارية في الأندلس إلى وقت معلوم عام 897هـ/ 1492م.

[1]- الطاهر أحمد مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، 1987، ط3، ص: 269، 270.

[2]- نفسه، ص:274. أيضا: عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 99 وما بعدها.

الفصل الأول

جغرافية شرق الأندلس

أولا- الموقع الجغرافي

ثانيا- أهم المصطلحات الجغرافية

ثالثا- مظاهر السطح.

رابعا- مدن شرق الأندلس

1- شرق الأندلس موقعا:

وأما الموقع الجغرافي فيشمل تلك المناطق المطلة على ساحل البحر المتوسط الغربي وهي تنقسم إلى ثلاث كور:" بلنسية Valencia وتدمير Tudmir والجزائر الشرقية(جزر البليار Balearic Islas "، وكان يتبع بلنسية Valencia الأراضي الممتدة من شاطبة Jativa إلى الثغر شمالا، ومن البحر غربا حتى قونكة Cuenca، أما تدمير Tudmir فيتبعها سائر الأراضي الواقعة على ضفتي نهر شقورة Segura والممتدة جنوبا حتى ولاية المرية Almeria، أما الجزائر الشرقية فتشمل جزر ميورقة mallorca، ومنورقة minorca، ويابسة ibiza، فرمنتيرا formentera، وقبريرة cabrira[1]، ويضيف المقري أن الثغر الأعلى هو جزء من شرق الأندلس[2]، ولقد وصفت منطقة شرق الأندلس أو الساحل الشرقي بساحل الأرانب نظرا، لكون المنطقة يعيش فيها هذا النوع من الحيوانات، وربما التسمية تعود جذورها إلى العهد الفنيقي، فقد غزا الفينيقيون اسبانيا في القرن العاشر قبل الميلاد وأطلقوا على الشاطئ الذي نزلوه اسم Ischepan.im أي شاطئ الأرانب[3]، وقد استوحى الباحثون ذلك من قطع نقدية تعود إلى ذلك التاريخ كون أنها تصور الملك وقرب قدميه صورة هذا الحيوان.

2- أهم المصطلحات الجغرافية:

ربّما يتساءل الكثير عن الموقع الجغرافي المذكور أعلاه، من استعمال بعض المصطلحات الجغرافية للدلالة على المواقع المختلفة، فهي بمثابة العلامات من شأنها أن تميّز موقعا عن موقع وتستحضره في مخيّلة السامع، وهذا يدخل فيما يعرف بفلسفة الانسان(علم الـــ Onomastic) ومعرفة ما يحيط

---

[1]- محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي 515هـــ-686هـــ/1121م-1287م- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري- الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1996، ص: 35.

[2]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 166.

[3]- حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، 138هـــ-422هـــ/755م-1030م، مطبعة الحسين الاسلامية، القاهرة، 1414هـــ- 1994م، ط1، ص: 34.

به من مواقع، أو علم الـــToponomy الذي يبحث في الأعلام الجغرافية والمكانية[1]، ويرجع ذلك إلى التقسيم الإداري الذي عرفته بلاد الأندلس خلال العصر الإسلامي، حيث استعملت الكثير من المصطلحات التي ربّما تحمل معنى معيّن غير الّذي تحمله في بلاد المشرق، رغم أن الأندلس هي من صنيعة الوفود الإسلامية القادمة من هناك، لكنها حملت -الأندلس- خصائص جعلتها تتميز بذاتها جغرافيا وحضاريا عن غيرها من بقاع الإسلام.

وعليه فأهم المصطلحات أو المسميات الجغرافية في الأندلس والتي ربما ترد في موضوع الدراسة حسب الباحثين في هذا المجال كانت كالتالي:

أ- المدينة:

يشير حسين مؤنس أن الأساس الأول لتقسيم الأندلس كان الأساس الروماني والقوطي من بعده وهو نظام المدن ذات الحوز[2]، وهذا ملاحظ عند الكثير من الجغرافيين العرب لمّا يأتون على ذكر المواقع العمرانية التي لها أهمية ما، يطلقون عليها اسم المدينة، فإن قالوا مثلا مدينة طرطوشة، أرادوا بذلك "ولاية " واسعة منسوبة إلى طرطوشة، وقد استعمل هذا المصطلح ياقوت في قوله: **"طرطوشة مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية ولها ولاية واسعة.."**[3]، فالولاية هنا تعني أن لها أقاليم كثيرة تدخل في نطاقها الجغرافي الذي هو خاضع لسيادتها السياسية، وقد ترجم هذا المصطلح من اللفظ provincia وهذا قد أخذ بدوره من الولايات الدوقية الرومانية والتي كانت بحسب رتبة القائد الذي كان يتولاها، لأن التقسيمات الإدارية كانت عسكرية، سواءً في عهد الرومان أو

---

[1]- يحي جبر، الأعلام الجغرافية- دراسة في تكونها وفلسفتها، مجلة مجمع اللغة العربية، ج80، القسم الأول، القاهرة، 1417هـ-1996م، ص: 39، 40.(نقلا عن المعجم الجغرافي ليوسف توني).

[2]- حسين مؤنس، فجر الأندلس- دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711م-756م)، دار المناهل، بيروت لبنان، 1432هـ-2002م، ط1، ص: 589، 590.

[3]- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، مجلد4، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م، ص: 30.

القوط فكلهم كانوا محاربين لذلك لما قدم العرب وكانوا محاربين أيضا أخذوا التسمية بدون أي تردد[1].

ب- الكورة[2]:

وأما هذا المصطلح فلم يكن معروفا إلا بعد سنوات من الفتح الإسلامي، وأول ظهور كان حينما فرّق أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي للجند الشّامية إلى ستة كور، ولم يكن مصطلحا رسميا في التقسيم وإنما كان يذكر على سبيل التجوز لا غير، بحيث لم يكن يستعمل استعمالا دقيقا، وهذا ما يبينه مؤنس نقلا عن الحميري لما يأتي على ذكر مثلا: ألش من كور تدمير، أندة مدينة من كور بلنسية، حيث يؤكد أن هذا الاستعمال يحمل معنى الإقليم.

ولم يتم تعميم نظام الكور نحو الجنوب إلا في أيام عبد الرحمان الداخل"138هـ-172هـ/755م- 788م"، أين تم إضافة بعض الكور منها مثلا كورة تدمير التي هي محل الدراسة. وبهذا يكون العرب قد عدلوا بعض ما وجدوه من التنظيم الروماني بحسب ما اقتبسوه من نظم المشرق لكنهم تركوا نواحي الثغور مدنا عسكرية[3].

ج- الإقليم:

قال ياقوت أنه: "**الاصطلاح الثاني لأهل الأندلس خاصة، فإنهم يسمّون كل قرية كبيرة جامعة إقليما. وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا خواصّهم...فإذا قال الأندلسي: أنا من إقليم كذا، فإنما يعني بلدة أو رستاقا بعينه**"[4]، وهنا يتبين أن المقصود بالإقليم عند الأندلسيين القرية

---

[1]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 589، 590. أيضا: أبو المعاطي، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس-238هـ-488هـ/852م-1095م، ج2، (رسالة دكتوراه)، ص: 318، 319.

[2]- **الكورة**: يقول ياقوت الحموي في معجمه عن هذا المصطلح ما يلي: " ذكر حمزة الأصفهاني أن الكورة اسم فارسي بحت، يقع على قسم من أقسام الآستان، وقد استعارتها العرب وجعلتها اسما للآستان...فالكورة والآستان واحد. قلت أنا : الكورة كل صُقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة...(معجم البلدان، ج1، ص: 36، 37).

[3]- حسين مؤنس، نفسه، ص:591، 592.

[4]- نفسه، ص: 592.(نقلا عن ياقوت الحموي).

الكبيرة، وهذا على خلاف معناه عند أهل المشرق والذي يعنون به كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى، ولذلك فالإقليم في الأندلس بلدة تتبعها أرض بينما في المشرق أرض تتبعها بلاد. وهنا يبين مؤنس الفرق في الأصل بحيث أن في الأندلس اعتُمد الأساس الروماني وهو المدينة، أمّا في المشرق فإنهم اتّبعوا التنظيم الفارسي وهو الأرض، والنتيجة التي توصل إليها مؤنس أن الإقليم كان وحدة مالية في نظر الدولة[1]. ولذلك نجد أن كورة تدمير وكورة بلنسية Valencia تتبعهما أقاليم كثيرة وهي على الشكل التالي[2]:

الكورة	أقاليمها
كورة تدمير	لورقة، مرسية، العسكر، شنتجيالة، إلش، إيه، جبل بقصر القلعة، طيبالة، توتية، ابن الجايع، بقصر، مورة، بالش، بيرة، طوطانة، لقور، فرقصة، بلّس، بجانة.
كورة بلنسية	أندة، أولهيل، زناتة، سمح، شارقة، سلينة، شبرب، كنانة، لبابة، المنارة، بريانة.

د- الجزء: جاء ذكره عند ياقوت بأنه:" **يسمى كذلك لأن الإبل تجزأ فيه بالكلأ أيام الرّبيع فلا ترد الماء**"[3]، ولهذا فالأجزاء لا توجد إلا حيث تكثر المراعي، ولا تكون مملوكة لأحد وإنما مشاعا للجماعة كلها ولا يجنى عنها المال[4].

[1]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 592، 596. أيضا: أبو المعاطي، المكيات الزراعية، ص: 322 وما بعدها.

[2]- أحمد بن عمر بن أنس العذري، نصوص عن الأندلس، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ص: 20. أيضا: الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص: 29، 45، 52، 119. أبو المعاطي، نفسه، ص: 324، 325.

[3]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد2، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1995، ط2، ص: 131.

[4]- حسين مؤنس، نفسه، ص: 599.

هـــ- الحصون و المعاقل:

هناك فرق بين الحصن والمعقل فالحصن موضع محصن لا يوصل إلى جوفه[1]، وقد تتبعه حصون أخرى، أما إذا اتسع هذا الحصن أكثر فإنه يصبح "قلعة مدينة" ولذلك توجد الكثير من المدن الأندلسية تحمل اسم القلعة، مثل قلعة أيوب Calatajud، قلعة رباح Calatrava..الخ[2]، أما المعقل فليس سوى موضعا محصنا يلجأ إليه وقت الشدة مثل معقل روطة Roda بالقرب من سرقسطة.

وفي هذا الباب نجد كورة بلنسية Valencia تتبعها مجموعة من الأجزاء والقرى والحصون وهي[3]:

الأجزاء	الساحل، قلبيرة، الجزيرة، البيضاء، غلنار، الأسناد، فحص شاطبة، براكانة، مدينة التراب، مصمودة، بني غتيل، قسطانية فُقَيرة، مسل، مربيطر.
القرى	المنصف، بطرنة، ومنيطة، ألبونت، شون، قشتليون، وفريسة بقانة، أسيلة، بريانة، بنيول، بتة.
الحصون	أبيشة، وركانة، كواليه، شريون، شارقة ويقال لها قلعة الأشراف، طرنتة.

- أما حصون كورة تدمير Todmir فأهمها: حصن قَرِيلش، حصن رِينَة، حصن ايليار[4]، حصن بلفيق[5].

---

[1]- عبد المطلب جبار عبد الله، القلاع والحصون في المدن الاسلامية (دراسة تاريخية)، معهد الفنون الجميلة للبنات، دتا، ص: 4.

[2]- نفسه، ص: 601.

[3]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 20.أيضا: الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص: 28، 31، 52. أبو المعاطي، الملكيات الزراعية، ص: 330.

[4]- نفسه، ص: 20.

[5]- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، نشره عزت العطار، مكتبة الخانجي، مصر، 1955م ، ص: 202.

و- الضياع:

وأول ظهور لها كانت لما دخل المسلمون الأندلس وتحالفوا مع أبناء غيطشة فإنهم ضمنوا لهم ضياعهم والتي قدرت بثلاثة آلآف ضيعة[1]، ربّما في هذا التعداد مبالغة كبيرة، إذ لا يُعقل أن يتخلّى المسلمون عن هذا العدد من الضياع مقابل الخدمة التي قدّمها هؤلاء للمسلمين في فتحهم للجزيرة، مهما كان هؤلاء المسلمون يكافئون غيرهم على خدماتهم، ولكن في الأمر دلالة على وجود ما يسمّى بالضّيعة قبل دخول المسلمين المنطقة أو ربّما كانت ولكن مساحتها لم تكن مثل ما صارت عليه أيام الحكم الاسلامي، فالكثير من الضياع أصبحت تعادل مساحة قرية بكاملها ، وهي عكس المنية التي تكون حول قصر ريفي[2].

ي- الفحص:

قال ياقوت الحموي(ت627هـ-1229م) سألت بعض أهل الأندلس: ما تعنون به؟ فقال: كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا، بشرط أن يزرع فنسمّيه فحصا، ثم صار عَلَمًا لعدة مواضع، فالفحص ناحية كبيرة من أعمال طليطلة Toledo، والفحص أيضا إقليم من أقاليم أكشونبة Ocsonoba، والفحص من أقاليم اشبيلة Sevilla- فحص البلوط مثلا[3].

3- مظاهر السطح:

أ- التضاريس: تتنوع مظاهر السطح من ناحية التضاريس في منطقة شرق الأندلس من جبال وسهول وهضاب بالإضافة إلى مجاري المياه المختلفة:

أما **الجبال**: فأغلب مدن شرق الأندلس يحيط بها هذا المظهر التضاريسي، فطرطوشة Tortosa

---

[1]- ربما في الأمر مبالغة زادت على حد الوصف، خاصة وأن بعض الضيعات كانت في اتساع قرية بكاملها، وبالتالي فإن المساحة الاجمالية كبيرة جدا، إذا ما جمعنا كل تلك الضيعات فإنها قد تشكل لنا مساحة تستطيع هذه الأسرة أو غيرها أن تقيم إمارة مستقلة فالموقع الجغرافي الواسع له دور في الترعة الاستقلالية، وهذا أمر لا يمكن للسلطة الاسلامية أن تتركه هكذا.

[2]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 604، 605.

[3]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد4، ص: 236.

تحيط بها عن كثب[1] ولقنت Alicante تظللها عن بعد وأوريولة Orihuela تحميها من الأمام والخلف ولورقة Lorca تحفها من الغرب، ويغلب على ميورقة Mallorca الصفة الصخرية خاصة من أطرافها وهذه الأطراف عبارة عن هضاب تغلبها الجبال والربى، ويحتوي محيط الجزيرة على خلجان عديدة منها ما يصلح مرافئ بديعة لإيواء السفن، يحوطها على مدار الشاطئ سياج صخري أصفر وجبال ذات أكام متوسطة الارتفاع[2]. أما المرية Almeria فهي في ذاتها جبلان وعلى الواحد منها قصبتها المشهورة وعلى الثاني ربضها ويسمى جبل لاهم[3]، وهناك جبال رأس القبطة في الجنوب الشرقي من المدينة وجبل الحامة في الشمال الشرقي، كذلك في تلك الجهة الشرقية هناك جبال جادور"sierra gador" بينما التسمية العربية فهي" غُدُر" وهي متفرعة من جبل شلير "sierra nevada"، وقد لاحظ الإدريسي(ت560هـ-1165م) أن هذه المدينة لها موضع استدارت به صخور مكدسة وأحجار من التراب[4]، بالإضافة إلى جبل ميمون Maimon وآخر يدعى Almayro وهو مأخوذ من اللفظ العربي الذي يعني الطين الأحمر إشارة إلى لونه، أما مرسية فبها جبل Arabi وجبل طيبية Taibille وسلسلة جبال Mazarron قال عنه الطاهر مكي أن هذا الاسم ربما يكون عربيا في الأصل لكن من دون تحقق، وبين البسيط وبلنسية جبل يقال له المنصف Almansa ومعناه وسط الطريق، وفي تيروال هناك جبال بني رزين نسبة إلى أمراء المنطقة خلال عصر الطوائف، وبها أيضا جبل يدعى الحمراء Alfambra، كما أن هناك مصطلحات أوردها الباحث الطاهر مكي تدل في معناها على أسماء لسلاسل جبلية في المنطقة مثل الخابية Alfabia وهي سلسلة جبال شمال مدينة بلمة عاصمة جزيرة ميورقة حيث تخترق الجزيرة من

---

[1]- محمد عبدالله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال- دراسة تاريخية أثرية- مطبعة المدني، القاهرة، 1417هـ-1997م، ط2، ص: 120.

[2]- نفسه، ص: 120، 124.

[3]- محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996م، ص: 33.

[4]- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 14.(نقلا عن الإدريسي، نزهة المشتاق).

الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي، بالاضافة لفظة الغار Algar تدل على بعض الجبال في لقنت وميورقة وبلنسية[1].

وقد ذكر حسين مؤنس نقلا عن الرازي أن الأندلس بالكامل ليس فيها إلا ثلاث جبال تقطعه مستعرضة من البحر إلى البحر[2]،وهو بذلك يحدد الصفة التضاريسية الغالبة على الأندلس كلها ولذلك فكل المدن في شرق الأندلس تقريبا تقع على أو قريبة من امتداد هذه الجبال الثلاث الكبرى والتي يحصرها الرازي في: أولها جبال قرطبة "sierra morena" ومبتدأها من شرق الأندلس عند ساحل البحر الذي يتوسط الأرض مارا ببلنسية Valencia وباجة Beja وإقليم الجوف ومنتهاه عند البحر الغربي الكبير، أما الجبل الثاني فمبتدأه عند ساحل البحر الشرقي مقبلا من ناحية أربونة Narbonne وهو الفاصل بين الأندلس وبلاد الإفرنج، والجبل الثالث فمبتدأه عند ساحل البحر المجاور لطرطوشة Tortosa وينتهي عند البحر غربا على مقربة من لشبونة Lisbon[3].

أما **الهضاب** فكثيرا ما يرتبط وجودها بوجود الجبال لأنها في الغالب هي امتداد لها، ولذلك فكثير أيضا من مدن شرق الأندلس تحجبها التلال، مثل مدينة مرسية Murcia تحدها من الغرب والجنوب سلسلة من التلال العالية ونفس الصفة التضاريسية نجدها في شاطبة Jativa وقرطاجنة Cartina ولقنت Alicante[4].

بينما **السهول** فأشهرها تلك التي بين بلنسية Valencia وشاطبة Jativa متمثلة في بسيط خصب يغص بالحقول اليانعة وتنمو فيها المحاصيل المتنوعة، وعلى مقربة من دانية Denia هناك بسيط أخضر محصور بين جبال ويتسع كلما اقتربنا من المدينة، وتقع كل من مدينة لقنت

---

[1]- محمود علي مكي، محمود علي مكي، مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في اسبانيا، القسم 1، الجزء 80، القاهرة، 1417هـ-1996م، ص: 75 وما بعدها.

[2]- حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون- من البداية إلى الحجاري- مجلة معهد الدراسات الإسلامية، العددين 7-8، ص: 245.

[3]- نفسه، ص: 260.

[4]- عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص: 100، 120، 140.

Alicante وأوريولة Orihuela بين بسائط خضراء تغطيها الحقول والحدائق والبساتين النضرة[1]، ومن أخصب السهول وأشهرها في المنطقة سهل الفندون الممتد بين لورقة Lorca وقرطاجنة Cartina [2]، وتبقى جزر البليار Balearic Islas وما تتميز به تربتها من خصائص غير عادية وهي المناعة ضد أنواع التعفن والسموم[3].

ب- المجاري المائية:

تعتبر أرض الأندلس أرض الخيرات والبركات لِما فيها من جنّات وبساتين تملأ الأفق نضارتها ورونقها، وكل هذا لم يكن في أرض جرداء قاحلة أو صحراء جدباء مقفرة، وإنما مرد ذلك كله إلى عنصر حيوي هو الماء الجاري في كل اتجاه، خاصة في منطقة الدراسة والتي من شمالها إلى جنوبها وكل مدنها تخترقها أو تمر قريبا منها أنهار أو روافد ، بالإضافة إلى الأودية والآبار والعيون، وهذا ما انعكس على الجانب الاقتصادي للمنطقة ومن ثم الحياة الاجتماعية التي هي في الغالب نتاج لها سلبا كانت أم إيجابا، من توفر الغلات والمحاصيل المتنوعة، إلا بعض المناطق التي ربّما هي في حاجة إلى نهر أو رافد يلثم أعطافها، فيلجأ أهلها إلى نظام السقيا محاولة منهم تنظيم هذا المورد الهام حتى لا تركن أراضيهم إلى جدب أو مجاعة ما أدى إلى إيجاد ما يسمى بمحكمة المياه.

وابتداء من الشمال ووادي إبرة Ebro الذي يصب عند مدينة طرطوشة Tortosa "باب البحر" ويقول عنه صاحب المعجب: "**نهر عظيم ينصب من جبال هناك ثم يصب في البحر الرومي**"[4]، وفي الوسط يوجد وادي طورنة Torna وهو نهر بلنسية وفي أعلاه مدينة البونت Albuente وفي جنوبه وبحذائه يسير نهر شقر Xucar-Gen الذي يلتفّ حول جزيرة شقر Jucar وفي جنوبه المدينة شاطبة Jativa أما قونكة Coenca فتقع أعلاه[5]، وفي جنوب الساحل الشرقي يصب وادي شقورة

[1]- محمد عبدالله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، ص: 145، 148.

[2]- المؤلف نفسه، دولة الاسلام في الأندلس-عصر الموحدين- ص: 16.

[3]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 29.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص:303.

[5]- سعد زغلول، عملية الإنقاذ المرابطي، ندوة الأندلس-الدرس والتاريخ(2-1414/11/4ه-13-1994/4/15م)، مركز المؤتمرات بالشاطبي، الإسكندرية، ص: 213، 214.

segure الذي يتغذّى من وادي التين Guadatin أو Guadalentin[1] بينما عبد الواحد ذنون فقد حرف الترجمة إلى وادي الطين[2] وهو نهر مرسية " قاعدة تدمير" وفي الجنوب على النهر توجد مدينة أوريولة Orihuella[3].أما مدينة المرية Almeria فتقع على مصب نهر صغير هو وادي بجانة ذكر المقري(ت1041هـ/1631م) **"أن طوله أربعون ميلا في مثلها كلها بساتين بهجة وجنات نضرة وأنهار مطردة وطيور مغردة"**[4].وقرب المرية واديان صغيران يسميان رامبلاس ramblas والتسمية مشتقة من كلمة "رملة" والسبب في التسمية يرجع أن مجرى هذين الواديين هو أراض رملية رخوة[5].

أما الأودية فإلى جانب وادي المرية المذكور آنفا هناك وادي المنصور Guadalmanzor وهو نهر يجري في محافظة المرية Almeria وتقع على ضفته بلدة برشانة Purchena وبيرة Vera على مقربة من مصبه، والوادي الأبيض Guadalavariar وهذا ينبع من جبال بني رزين في تيروال[6]، بالإضافة إلى وادي الثمرات ويقع في مدينة لورقة Lorca، حيث تستخدم مياهه في الزراعة ما جعلها تتوفر على مختلف أنواع الثمار كالتفاح والتين والزيتون والتوت... وغيرها[7].

أما الآبار والعيون فقد أفاد منها أهل الأندلس إجماعا في السقي والشرب والتطبيب، ففي مدينة أرنيط Arnedo بئر عذبة قد بنيت بالحجر الصلد، وهناك بين بلنسية Valencia وطرطوشة Tortosa توجد بئر يقال عنها أن ماءها يزيد بزيادة القوافل والعساكر وينقص بنقصانها، كما

---

[1]- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص: 28.

[2]- عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال إفريقية والأندلس، دار المدار الاسلامي، بنغازي ليبيا، 2004، ط1، ص: 148.

[3]- عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص: 100.

[4]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 163.

[5]- أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص: 33.

[6]- محمود علي مكي، مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية، ص: 82، 83.

[7]- بيداء محمود حسن حميد القيسي، الزراعة والري في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة- 138- 422هـ/ 756-1030م، (رسالة الماجستير)، إشراف محمد بشير حسن العامري، كلية العلوم للبنات، بغداد، دتا، ص: 46، 47.

توجد أيضا آبار أخرى في بريانة Burriana وحصن ببشتر Bobastro، وتتوزع العيون في مناطق مختلفة من شرق الأندلس، ففي قرية أرطانة من قرى بلنسية Valencia عين ينبع ماؤها من غار، وفي مدينة لورقة "عين ملنحشة" ويجري مجراها نحو الشرق وفيها أيضا "عين تارة"[1]، وفي مدينة مرسية Murcia عين حلوة تستعمل للشرب، ومثلها في مدينة شقورة Segura عين تستعمل للسقي والشرب. وهناك بعض العيون تستخدم في التطبيب للشفاء من الأمراض المزمنة، فعلى أربعين ميلا من مرسية Murcia عين ماؤها عذب يستعملها كل من علق العلق بحلقه، وفي مدينة بجانة بالقرب من المرية Almeria حمة غزيرة يقصدها المرضى ويسكنون بها وأكثر من يواضب عليها يشفى من مرضه والباقي من مياهها تسقى به الزروع والأشجار[2]، ولقد وصفها الجغرافي الحميري(ق14م) وبين موقعها فوق ذلك الجبل الذي يبعد عن بجانة قرابة الثلاثة أميال، بقوله: "...**وفيه الحمة العجيبة الشأن، ليس لها نظير في الأندلس، في طيب مائها وعذوبته وصفائه وبذرقته، ونفعه وعموم بركته، يقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحي، فلا يكاد يخطئهم نفعها**..."، بل إن المدينة في حد ذاتها يضيف الحميري أن " **بجوفها حمة أخرى أغزر من الحمة الأولى، أنجع في الأسقام وأصلح للأبدان**"[3].

وإلى جانب هذا فقد حفر المسلمون القنوات لتنظيم توزيع المياه وتصريفها حتى لا تتحول الأراضي إلى مستنقعات وقد دعوها "سواق" خاصة في منطقة بلنسية Valencia التي كانت بها حوالي ثماني سواقي ولما سقطت المدينة في أيدي النصارى سنة 636هـ/1238م اختص الملك النصراني خايمي"1213م/ 1276م" بواحدة منها وعندما أباحها خليفته للمزارعين فإنه تقاضى منهم مبلغا كبيرا[4].

---

[1]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 1، 3.

[2]- نفسه، ص: 68 وما بعدها.

[3]- الروض المعطار، ص: 38، 39.

[4]- عبادة بن عبد الرحمان رضا كُحيلة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 1995، ط1، ص: 43.

ج- المناخ:

يظهر من خلال قول الرازي(ت344هـ-955م) أن الأندلس تحوي إقليمين مناخيين متمايزين كل له خصائصه ولكنهما غير مستقلين عن بعضهما، فلربّما بلغ تأثير أحدهما على الآخر والعكس، حيث يقول: "**الأندلس أندلسان في اختلاف هبوب رياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها: أندلس غربي وأندلس شرقي...والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى تجري أوديته إلى الشرق وأمطاره بالريح الشرقية وهو من حد جبل البشكنس هابطا مع وادي إبرة إلى بلد شنتمرية**"[1].ويضيف ابن النظام بعض الكلام لا يعدو شرحا لما سبق أعلاه حيث يقول:" **الأندلس عند علماء أهله أندلسان: فالأندلس الشرقي منه ما صبت أوديته إلى البحر الرومي المتوسط المتصاعد من أسفل أرض الأندلس إلى المشرق، وذلك ما بين مدينة تدمير إلى سرقسطة...يمطر بالريح الشرقية ويصلح عليها- وقسمته(بلد الأندلس) الأوائل جزأين، ذلك أنه مهما استحكمت الريح الغربية كثر مطر الأندلس الغربي وقحط الأندلس الشرقي، ومتى استحكمت الريح الشرقية مُطِر الأندلس الشرقي وقحط الغربي**"[2]،ويفهم من هذا الكلام أن وجود هذين الإقليمين مرتبط بوجود البحر لما له من تأثير على أي موقع جغرافي ما، فالجهة الغربية تتأثر بمياه المحيط أو بحر الظلمات حسب التسمية القديمة، أما اليوم فيطلق عليه "المناخ المحيطي" نسبة له. أما الإقليم الثاني وهو محل الدراسة فهو تلك الجهة الواقعة على مشارف البحر المتوسط نظرا لتأثير الأخير على هذا الموقع ويطلق عليه حاليا "بالمناخ المتوسطي". هذا إذا أخذنا برأي إبراهيم السامرائي الذي ميّز بين ثلاث أقاليم مناخية في الأندلس أحدها المناخ المتوسطي الذي يسود في الشرق وفي الجنوب الشرقي، إضافة إلى المناخ المتطرف الجاف في الوسط والمناخ الرطب في أعلى الساحل الشمالي الغربي[3]، ورغم ما يتميّز به المناخ المتوسطي من اعتدال، يسود الجفاف وندرة الأمطار بعض مناطقه خاصة في فصل الصيف، حيث يتأثر بالرياح الشمالية والشمالية

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1،ص: 132.

[2]- نفسه، ص: 132.

[3]- خليل إبراهيم صالح السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي- دراسة في أحواله السياسية 95هـ-316هـ/714م-928م- مطبعة أسعد، بغداد، 1976م، ص: 47.

الشرقية الجافة[1]، وهذا ما يبيّنه رضا كحيلة في حديثه عن الأقاليم المناخية في اسبانيا إذ يحددها في ثلاث هي المتوسطي والقاري والجاف وهذا التقسيم يعتبر الأقرب إلى الصواب هذا إذا نظرنا إلى الموقع الجغرافي للمنطقة الأندلسية ككل، والمناخ المتوسطي الذي يسود الشرق والجنوب فحتى وإن تميز بالاعتدال إلا أنه أدنى إلى الجفاف[2] للأسباب الواردة أعلاه.

ونظرا لتأثير البحر على المنطقة القريبة منه فإن الصفة الغالبة على مناخ شرق الأندلس هي"الاعتدال"، لذلك فأغلب مدنه تتميز بهذه الصفة، فمدينة بلنسية مثلا تتمتع بمناخ معتدل[3] يقول عنه ابن سعيد(ت685هـ-1286م) **"جوها صقيل أبدا وهواءها حسن لتمكنها من الإقليم الرابع"**[4]، أضف إلى ذلك مدينة المرية فتتميز بحرارة معتدلة وسماء صحو أغلب السنة، حيث تتعرض للرياح الشرقية الجافة[5].

أما جزر البليار فيسودها أيضا المناخ المعتدل نظرا لاعتدال درجة الحرارة 15م° شتاء و27م° صيفا، ما عدا جزيرة ميورقة فهي أقل اعتدالا وأمطارا عن بقية الجزر نظرا لتعرضها للرياح الشمالية الباردة[6].

4- مدن شرق الأندلس:

أ-كورة بلنسية valencia : وتشمل السواحل الشرقية وهي على حد قول الرازي(ت344هـ-955م)، كورة كبيرة جمعت البر والبحر والزرع والضرع، وأرضها سهلية خصبة تخترقها في بعض

[1]- محمد إبراهيم حسن، دراسات في جغرافية أوربا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، 1999، ص: 45.

[2]- رضا كُحيلة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ص: 36.

[3]- كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص:260.

[4]- علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ص: 297.

[5]- محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص: 33، 34.

[6]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 19، 25.

المواضع سلاسل جبلية [1]، وتضم كل من بلنسية valencia، وطرطوشة Tortosa، شاطبة jativa، مربيطر murviedro، دانية denia، جزيرة شقر jukcar، أندة[2] onda، بريانة[3] Burriana.

1- **مدينة بلنسية Valencia :**

وهي قاعدة الكورة أسسها الرومان عام 138ق م[4]، وتقع على بعد ثلاثة أميال من ساحل البحر المتوسط وسط سهل زراعي خصب، عامرة القطر كثيرة التجارة، وبها جنات وبساتين متصلة[5]، وقد أبدى ابن سعيد المغربي(ت685هـ-1286م) إعجابه بالمدينة وجغرافيتها في قوله:"**مطيب الأندلس ومطمح الأعين والأنفس، قد خصّها الله بأحسن مكان، وحفّها بالأنهار والجنان، فلا ترى إلا أنهارا تتفرع، ولا تسمع إلا أطيارا تسجع، ولا تستنشق إلا أزهارا تنفح..**"[6]، ونظرا لشهرتها الزراعية فقد أطلق عليها اسم "**مدينة التراب**"[7] لإتساع مزارعها وخصوبة أرضها، وأطلق عليها الأندلسيون"**مطيب الأندلس**" كما عرفت أيضا بـــ"**بستان الأندلس**"، وتمتاز بلنسية بمناخ رطب معتدل وبها الكثير من المنتزهات والبساتين على شتى أنواع أشجارها، وفيها أنواع التين لا نظير لها في الأندلس،كما تنوعت بها الفاكهة وفيها تُقَصّر الثياب الغالية من الكتّان وتنسج وينبت بها الزعفران ويزكو بها[8]، وأكثر بساتينها شهرة "منية الرّصافة" و"منية ابن أبي عامر"[9].

---

[1]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 281. أيضا: الحميري، الروض المعطار، ص: 97.

[2]- أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص: 36.

[3]- الحميري، نفسه، ص: 88.

[4]- نفسه.

[5]- نفسه، ص: 97.

[6]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص: 297.

[7]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 17. المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 179.

[8]- الزهري، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، الجيزة، مصر، دتا، ص: 102. أيضا: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت لبنان، دار صادر، د تا، ص: 513.

[9]- المقري، نفسه، ص: 179.

قال أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي في بلنسية:

هي الفردوس في الدُّنيا جَمَالاً لِساكِنِها وكارِهِها البَعُّوض

ويقول ابن سعيد(ت685هـ-1286م) عن والده عن مروان بن عبد العزيز:

كأنَّ بلنسية كاعِــــب ومَلَبسُها سُندسُ أخضَرُ

إذا جِئْتَها سَتَرت نفسَها بأكْمَامِهَا فَهِي لا تَظْهَرُ

وفيها يقول ابن الزقاق البلنسي(ت530هـ-1136م):

بلنسية إذَا فَكَّرتُ فِيْهــــا وفي آيَاتِهــا أَسْنى البِلاَدِ

وأعظَمُ شاهِدِي منها عليهَا وأنَّ جمــَالَها لِلعَينِ بَادي

كَسَاها رَبُّها دِيْبَــاج حُسْنٍ لَهُ عَلَمَانِ مِن بَحرٍ وَوَادِي

وقال الرّصافي(ت572هـ-1176م) في رصافتها:

ولاَ كالرُّصَافةِ مِن مَنزِلِ سَقَتْه السَّحَائِبُ صَوبَ الوَلِي

أَحِنُّ إِلَيهَا ومَن لِي بِها وأَيْن السَّرِي من المَوْصِــلِي[1]

وقال فيها أيضا:

بَلَنسيةُ تِلْكَ الزَّبَرْجَــدَة الَّتِي تَسِيلُ عَلَيهَــا كُلُّ لُــــؤلُــــؤةٍ نَهــرا

كأنَّ عَرُوسًا أَبْدَع الله حُسْنَها فَصَيَّر من شَرْخِ الشَّباب لها عُمرا[2]

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 179، 180.

[2]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص: 298، 299.

2- مدينة طرطوشة Tortosa:

تقع قرب البحر المتوسط على سفح جبل ويحيط بها سور حصين، تتوفر بها الأسواق والعمارات المتصلة[1]، وهي بذلك مدينة برية بحرية، مدينة داخل مدينة، توجد بها جميع أنواع الثمار والمروج الكثيرة والمياه والمراعي حسب رواية القزويني(ق6هـ)[2]،قال عنها ابن عذارى(كان حيا سنة 712هـ-1312م): **"مدينة سامية الذرى متسعة الساحة مشرقة البهجة كثيرة المرافق والنعمة"**[3]، وتشتهر المدينة هذه بصنع المراكب من أخشابها الصنوبرية التي لا نظير لها في الطول والغلظ، فمنها تتخذ الصواري والقرى، وهو خشب أحمر صافي البشرة دسم لا يتغير سريعا ولا يتسوس[4].

3 – شاطبة jativa:

تقع على بعد ثلاثين ميلا إلى الجنوب الغربي من بلنسية، وما تشتهر به أكثر هو حصنها الذي يضرب به المثل في الحسن والمنعة[5]، وهي مدينة أزلية فيها بنيان قديم من عمل الأُوَل يقال له صنم، وفيه يقول شاعرهم:

بَقِيَّةٌ من بَقَـــايَا الرُّومِ مُعْجَبَةٌ أَبْدى البُنَاةُ من أَمْرِها حكمَا

لم نَدْرِ ما أَضْمَرُوا فيها سِوَى أُمـــــمٌ من الأَوَائِلِ سَمَّوه لنا صَنَمَا

كَالُمبَرِّد الفذّ مَا أَخْـــطا مُشْبِهُهُ حقًا بَرَّد الأيَّــام والأُمَــما[1]

---

[1]- الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 103.

[2]- القزويني، آثار البلاد، ص: 544، 545.

[3]- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج3 ، دار الثقافة، بيروت، د تا، ص: 224.

[4]- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد2، عالم الكتب، بيروت، 1989، ط1، ص: 555. أيضا: الزهري، نفسه.

[5]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 19.

وبشاطبة البساتين الجميلة وفيها الزرع والثمر ومنها يتجهز التّجار بالأمتعة إلى بلاد غانة والسودان وإلى جميع بلاد المغرب[2] ويعمل بشاطبة الكاغد الذي لا نظير له في البلاد كلها[3].

ومن أعمالها قرية انشيان، وقرية منتيشة، وقرية انثيان، ومن متفرجاتها البطحاء والغدير والعين الكبيرة[4]، وإليها ينسب العالم الكبير الشيخ محمد بن سليمان المعافري الشاطبي[5].

4 – دانية denia:

مدينة حصينة ممتنعة على ساحل المتوسط، وهي على عمارة متصلة يتوفر بها التين الكثير والكروم[6]، بها أسس عبد الرحمان الثالث"الناصر"دار صناعة السفن[7]، وهي مدينة تسافر إليها السفن ومنها تخرج إلى المشرق بالتجارة، أو إلى الغزو في المناطق المجاورة[8]، وفي ذلك يقول ابن سعيد(ت685هـ/1286م)"..**كثرت إليها الأسفار وشدت نحوها الرِّحال من الأقطار، وامتلأت من العلماء والكتاب والشعراء، وهي على البحر كثيرة الخيرات...**"[9]

ومن أعمالها قسنطانية، وأندارة، وحصن بكيران، وحصن بيران[10].

---

[1]– الحميري، الروض المعطار، ص:337.

[2]– العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 19. أيضا: الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 103.

[3]– الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 281.

[4]– ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص: 380.

[5]– أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 40.

[6]– الإدريسي، نفسه، ص: 282. أيضا: العذري، نفسه، ص: 19.

[7]– أبو الفضل، نفسه، ص: 41. (نقلا عن ابن غالب).

[8]– الإدريسي، نفسه، ص: 282 . أيضا: الحميري، الروض المعطار، ص: 232. أيضا: ابن سعيد المغربي، نفسه، ص: 400.

[9]– ابن سعيد المغربي، نفسه، ص: 400.

[10]– أبو الفضل، نفسه، ص: 41. (نقلا عن ابن سعيد).

5- جزيرة شقر jukcar:

وتنسب التّسمية هذه جغرافيا إلى النهر الذي يسمى وادي شقر وهي جزيرة أحاط بها واديها من كل جهاتها و لم يبق لها إلا موضع يدخل منه إليها[1]، بينها وبين شاطبة اثنا عشر ميلا، وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلا، وهي جزيرة حسنة البقاع كثيرة الأشجار والثمار[2].ويقول عنها ابن سعيد(ت685هـ-1286م): "**عروس الأندلس المقلّدة من نهرها بسلك، المتلفّعة من جناها بسندس،روض بسّام ونهر كالحسام، وبلبل وحمام...**"[3].

قال فيها أبو اسحاق بن خفاجة:

سَقْيًا لها من بطاح أُنْسٍ وَدَوْحِ حُسْنٍ بها مُطِلِّ

فما ترى غير وَجْهِ نهرٍ أطلَّ فيه عـــذارُ ظِلِّ[4]

6- مربيطر murviedro:

من مدن الأندلس المشهورة في شرقه، وهي على بعد اثنا عشر ميلا من مدينة بلنسية قرب البحر المتوسط، وفيها آثار رومانية قديمة أهمها الملعب الذي أمام قصرها، وهو حسب رواية ابن سعيد(ت685هـ-1286م)"..**صنوبري الشكل، قد ارتقى بأحكم صنعة درجة درجة، إلى أن تكون الدرجة العليا للملك وحده...**"[5]، وهي بلدة تحيط بها الضياع وتكتنفها الغابات والأشجار[6].

[1]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 19.

[2]- الإدريسي، المغرب في حلي المغرب، ج2، ص: 281. أيضا: الحميري، الروض المعطار، ص: 281.

[3]- ابن سعيد المغربي، نفسه، ص: 363.

[4]- نفسه.

[5]- ابن سعيد المغربي، نفسه، ص: 375.

[6]- العذري، نفسه، ص: 19.

7- مدينة بريانة Burriana:

بينها وبين البحر ثلاثة أميال بالقرب من بلنسية إلى شماليها، وهي مدينة جليلة عامرة كثيرة الخصب والأشجار والكروم[1].

ب- كورة تدمير Tudmir:

وتنسب تسمية هذه المدينة إلى تدمير بن غندريس الذي كان في زمن عبد العزيز بن موسى بن نصير، حيث أرغمه الأخير بعد قتال بينهما وحصار على الصلح سنة 94هـ-703م، وبذلك فقد فتحت المنطقة صلحا وما تضمُّه من مدن مثل: مرسية Murcia أوريولة Orihuela، ولورقة Lorca، والمرية Almeria، ولقْنت Alicante[2].

وتقع هذه المنطقة جنوبي بلنسية، وهي أرض غنية بأطيب الفواكه لا سيما الكمثرى، والرمان والسفرجل..، فأرضها خصبة التربة وتسقى بنهرها الجاري نحو الشرق الذي تكثر به النواعير، وقد شُبِّهت المنطقة بمصر الذي يسقيها نهر النيل، كما تتوفر بساحل تدمير معادن الفضة والرصاص، وتكثر بها الخيول على كل لون، فهي" **متناهية في كرم البقعة وطيب الثمرة**.." على حد وصف العذري(ت478هـ-1085م)[3].ولقد لخص الرازي (ت344هـ-955م) مزاياها فقال:"**وهي تجمع بين مزايا البحر والبر، ففيها السهول الخصبة والمدن الرائعة، والمواضع الحصينة**"[4].

ومن مدنها:

1- مرسية Murcia: "مدينة يركب نهرها أرضها بخلاف اشبيلية التي تركب نهرها..فهي حاضرة عظيمة شريفة المكان كثيرة الإمكان"، هكذا ورد على لسان ابن سعيد(ت685هـ-

[1]- الحميري، الروض المعطار، ص: 88.

[2]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 4، 5. أيضا: الحميري، نفسه، ص:131، 132.

[3]- نفسه، ص: 1، 2.

[4]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 42 (نقلا عن الرازي).

1286م) [1]، ونظرا لخصوبة أرضها وحسن منظرها ووفرة مياهها، أحدقت بها الأشجار والبساتين من كل ناحية 12 ميلا[2]، فهي بذلك تتوفر على أنواع الفاكهة الطيبة والزروع والثمار والأعناب كالتين والكروم والقمح والشعير ولذلك سميت "بستان الأندلس"[3]، كما يتوفر بها معدن الفضة والحرير الطيب[4]، حيث تصنع بها البساط الرفيعة الشريفة[5]، ولها فضل في صناعة أصناف الحلل والديباج[6].وبهذه المدينة العمل الكثير والحصون والقرى المتصلة أزيد من 60 ميلا[7]، ومن متفرجاتها المشهورة: الرشاقة ، والزنقات، وجبل أيل وهو جبل شعبذات[8].

ومدينة مرسية Murcia مدينة محدثة بنيت أيام عبد الرحمان بن الحكم "206هـــ-233هــ/821م-848م"، حيث أشرف على بنائها جابر بن مالك بن لبيد، يوم 04 ربيع الأول210هـــ، وكان بناؤها تعويضا عن مدينة "**إله**" الحاضرة القديمة لكورة تدمير، هذه الأخيرة والتي أمر الأمير عبد الرحمان الداخل(ت171هــ-785م) بهدمها بسبب الفتنة التي نشبت بين العصبيتين المضرية واليمنية التي دامت إلى غاية 213هـــ-828م.وبعد تأسيس المدينة الجديدة اتخذت دارا للعمال وقرارا للقواد[9].

---

[1]- ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص: 245.

[2]- مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، ج1، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ، 1983، ص: 67.

[3]- ابن سعيد، نفسه، ص: 245.

[4]- مجهول، نفسه، ص: 67، 68. أيضا: الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 285. الحميري، الروض المعطار، ص: 539.

[5]- الحميري، نفسه، ص: 539.

[6]- ابن سعيد، نفسه.

[7]- مجهول، نفسه، ص: 68.

[8]- ابن سعيد، نفسه، ص: 247.

[9]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 6.

2- أوريولة Orihuela:

وتعني باللغة اللاتينية الذهبية[1]، حيث تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة مرسية Murcia التي تبعد عنها بـــ12ميلا[2]، وهي إحدى المدن التي صالح عليها عبد العزيز بن موسى بن نصير تدمير بن غندريس عند فتح منطقة تدمير[3]. ومدينة أوريولة Orihuela هذه فيما يروى أنها كانت قبل بناء مرسية قاعدة لكورة تدمير، حيث تقع على ضفة النهر الأبيض، وأشهر ما يميّز المنطقة القصبة التي في غاية الامتناع على قمة الجبل، كما توجد بها البساتين والجنات ومختلف الفواكه الطيبة والأسواق والضياع وأرضها أرض رخاء شامل[4]، وقد عبر عن جمالها ابن سعيد(ت685هـــ-1286م) بقوله: **"رأيتها في موضع كأنّه اقتطع من جنّة الخلود، نهر سائل، ودواليب نعارة، وطيور شادية، وأشجار متعانقة"**[5].

3- لقنت Alicante:

من أهم مراسي مرسية Murcia على ساحل البحر المتوسط فمنها يتوجه الناس نحو إفريقية[6]، كانت خلال العصر الإسلامي مدينة عامرة لها قصبة منيعة على قمة الجبل، كما كانت دارا لصناعة السفن خاصة المراكب السفرية والحراريق، وقد اشتهرت المدينة بكثرة الفواكه والبقل والتين والأعناب[7]، ومنها يتجهز بالحلفاء إلى جميع بلاد البحر[8].

---

[1]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 10.

[2]- الحميري ، الروض المعطار ، ص: 97.

[3]- نفسه، ص: 131، 132.

[4]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 283. أيضا: الحميري، نفسه، ص: 97.

[5]- ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج2، ص:286.

[6]- نفسه، ص:274.

[7]- الإدريسي، نفسه، ص: 283، 284.

[8]- نفسه. أيضا: الحميري، الروض المعطار، ص:512.

4- لورقة Lorca:

وتفسير اسمها باللاتينية "الدرع الحصين" وهذا الاسم وافق معناه، لأنها من المعاقل الحصينة وهي على نهر مجراه إلى الشرق وبه النواعير الكثيرة التي تسقي المزارع والبساتين المتصلة بالمدينة[1]، بينها وبين مرسية 40 ميلا، كما تتوفر بها معدن التربة الصفراء[2]، وأصناف الفواكه لا سيما الكمثرى والرمان والسفرجل والعنب[3]، ويمتدح ابن سعيد(ت685هـ-1286م)هذه المدينة خضرة وكثرة بساتينها وبهجة واديها ومنعة قصبتها[4].

5- المرية Almeria:

من بنيان معاوية بن محمد الأمين[5] وتقع على ساحل البحر وهي محدثة، متقنة البناء بديعة الشكل، بنى سورها عبد الرحمان الناصر"300هـ-350هـ/913م-962م" سنة 343هـ/955م[6]، وقيل بل بناها وليس سورها فقط[7]، وهي أشهر مراسي الأندلس وأعمرها ومن أجلّ أمصارها وأشهرها[8]، تقطع إليها المراكب من المشرق ومن الإسكندرية، تعد قيسارية الأندلس ودار صنعتها[9]، وقد قسّمت إلى قسمين فالواحد فيه المراكب الحربية والآلة والعدة، والثاني فيه القيسارية، ورتّبت كل صناعة منها على حدى على حسب ما تشاكلها[10]، ففيها كان يعمل

---

[1]- الحميري، الروض المعطار، ص: 512.

[2]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص:288. الحميري، نفسه، ص:512.

[3]- القزويني، آثار البلاد، ص: 555. الحميري، نفسه، ص:512.

[4]- ابن سعيد، المغرب في حلي المغرب، ج2، ص: 275.

[5]- الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 101.

[6]- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007، ط1، ص: 138.

[7]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 162.

[8]- الحميري، نفسه، ص: 537.

[9]- الزهري، نفسه، ص: 101. أيضا: الإدريسي، نفسه، ص: 289.

[10]- مجهول، نفسه، ص: 138.

الديباج المحكم المعروفة بالعداديات، وثياب السندس الأبيض وهو ديباج أبيض وفيها استنبطت ثياب المعمّة المعروفة بالخلدي، كما يصنع فيها كل شيء حسن من الأثاث، ومن جميع الأشياء المحكمة[1].ولقد ألف فيها أبو جعفر بن خاتمة تاريخا حافلا سمَّاه بـــ:" مزية المرية، على غيرها من البلاد الأندلسية" وهو مجلد ضخم على حد قول المقري(ت1041هـــ/1631م)[2].

ج- جزر البليار islas baleàrer:

أطلق اليونانيون على هذه الجزر اسم بليارس baliares وهو مشتق من كلمة بالين ballein اليونانية والتي تعني" ألقى ورمى" وذلك لما تميز به سكانها القدماء من براءة في رمي الحجارة بالمقلاع، إلا أن البعض ينسب التسمية لبعض القبائل تدعى" بلاري balari " التي قيل أنها من كانت تسكن المنطقة منذ العصر الحجري الحديث، نظرا لما وجد من آثار تعود إلى تلك الحقبة القديمة[3]، ويقيت التسمية نفسها خلال العهد الروماني، وأطلق عليها الفاتحون العرب اسم "الجزائر الشرقية" باعتبارها جزءا من الأندلس.

وتمثل هذه الجزر أرخبيلا تصل مساحتها الإجمالية حاليا حوالي 4900كم2، أهمها خمس جزر رئيسية وهي ميورقة mallorca، ومنورقة minorca، ويابسة ibiza، فرمنتيرا formentera، وقبريرة cabrira، بالإضافة إلى 100 جزيرة صغيرة وكتل صخرية متناثرة حول هذه الجزر الكبرى[4].

ونظرا للموقع الاستراتيجي الذي تحتله هذه الجزر بين سواحل شرق الأندلس وجنوب فرنسا وغرب ايطاليا وجزيرة سردينيا وشمال سواحل بلاد المغرب[5]، فقد وقع ذلك الصراع والتنافس الشديدين بين قوى منطقة الحوض الغربي للمتوسط من أجل فرض السيطرة عليها.

---

[1]- الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 105. أيضا: المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 162 .

[2]- المقري، نفسه، ص: 163.

[3]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 16.

[4]- نفسه، ص: 15.

[5]- نفسه.

ومن أهم جزرها الرئيسية:

1- جزيرة ميورقة mallorca:

اشتق اسمها من اللاتينية majorica أي الكبرى وقد أطلقت عليها هذه التسمية لأنها أكبر الجزر البليارية[1]، مساحتها حوالي 3640كم2، وبذلك فهي تشغل ثلاثة أرباع المساحة الإجمالية لكل الجزر[2]، كما يتباين بُعد المسافة بين بعضها البعض فخمسون ميلا بين ميورقة ومنورقة، بينما يفصل بين ميورقة ويابسة سبعون ميلا، وجزيرة ميورقة هذه ذات شكل مسطح يخلو من المرتفعات، يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب سبعون ميلا وعرضها خمسون ميلا[3] ، تتوسطها بحيرة محيطها تسعة أميال، وقد اهتم أمراؤها بتحصينها، ولذلك يحيط بها سوران أحدهما مرتفع يتقدمه آخر أمامي أقل ارتفاعا بينهما خندق، بينما المدينة ففي وسطها مسجدها الجامع وإلى يساره قيسارية العطارين، ودار صناعتها تقع قريبا من البحر[4].

اشتهرت ميورقة في العصر الإسلامي بوفرة خيراتها ومزروعاتها[5]، فهي من أخصب بقاع الأندلس تربة، وحاضرة ميورقة مدينة بلمة، وتتوزع حولها القرى العديدة وأشهرها قرية قطين"، قال عنها صاحب المعجب: " **أخصب الجزر أرضا وأعدلها هواء وأصفاها جوا**"[6]، ولما لها من مسحة جمالية فقد أبهرت الكثير من الأدباء والرحالة، قال عنها الزهري(كان حيا سنة 541هـ-1154م): " **جزيرة طيّبة الهواء والماء..**"[7]، وقد أجاد ذكرها ابن اللبانة(ت507هـ-1113م) لما زارها بقوله:

---

[1]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 278.

[2]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 19.

[3]- الحميري، الروض المعطار، ص: 188.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، الجزر الشرقية- دائرة المعارف- ص: 87.

[5]- المقري، نفح الطيب، ج4، ص: 217.

[6]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 224.

[7]- الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 129.

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس

وكأنما تلك المياه مدامة وكأن ساحات الديار كؤوس[1]

وقد وصفها الألماني كليرمان بأنها لوحة شعرية من حجارة أسطورية تولدت عبر قرون من حضارة رائعة متفوقة توحي بالعظمة والتبجيل[2].

2- جزيرة منورقة minorca:

ثاني أكبر جزر البليار مساحة حوالي 700كم2، طولها 30 ميل ومتوسط عرضها 10 أميال[3]، وهي أكثر الجزر بعدا عن ساحل البحر المتوسط في أقصى الشمال الشرقي من مجموعة جزر البليار، قبالة الساحل الممتد من طرطوشة Tortosa في الشمال إلى قسطلونة Castellon جنوبا، يتوسطها حصن مانع[4]، ومن أشهر مدنها ماهون mahon وثيوداديلا ciudadela[5]، تدعى هذه الجزيرة حاليا بـــ" جزيرة الرياح والحجارة" نظرا لشدة الرياح التي تهب عليها في فصل الشتاء ولوجود أيضا الحجارة وتناثرها على سطحها، خاصة في الأجزاء الغربية والجنوبية منها[6]، قال عنها الزهري(كان حيا سنة 541هـــ-1154م): "...**جزيرة صغيرة كثيرة الزرع والكرم وليس في معمور الأرض أطيب من لحم بقرها**"[7].

---

[1]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 366.

[2]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 20.

[3]- نفسه، ص: 25.

[4]- ابن سعيد، نفسه، ص: 469.

[5]- زيبولد، مادة جزر البليار، دائرة المعارف، ج1، ص: 617.

[6]- عصام سالم سيسالم، نفسه، ص: 26.

[7]- الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 129.

3- جزيرة يابسة Ibiza :

ثالث الجزر مساحة التي تبلغ 541كم2 أقصى طول لها 40كم وأوسع عرض21كم[1]، وأقرب منطقة برية على ساحل البحر من هذه الجزيرة مدينة دانية Denia بينهما مائة ميل[2]، وقد لعبت طبيعة سواحل هذه الجزيرة دورا تجاريا مهمّا من خلال توفّر وتعدّد مراسيها الصّالحة للملاحة ، فالحميري (ت بعد 710هـ/1310) يذكر أنه كان بها عشرة مراسي، وبها أنهار جارية وقرى كثيرة وعمائر متصلة وينبت بها شجر الصنوبر الجيد العود الصالح لبناء السفن، وتتصل بجزيرة يابسة من الجنوب جزيرتان بينها وبينهما مجازات تسمى الأبواب[3]، وإحداهما جزيرة فرمنتيرة formentera التي تشكل معها ما يسمى"جزر الصنوبر" لأن جبالها تغطيها غابات الصنوبر التي أعطت لها شهرة واسعة منذ القديم[4]، وقد عُرفت بكثرة كرومها وأعنابها[5]، ولذلك فاسم الجزيرة معاكس لمعناه فهي كثيرة الخصب والشجر[6]. قال عنها الزهري(كان حيا سنة 541هـ-1154م) جزيرة كثيرة الثمار والزرع، وأكثر كسب سكانها للماعز، والغنم قليل بها[7]، وقال عنها القزويني(ق6هـ-12م):"...**جزيرة كثيرة الفواكه والأعناب وزبيبها في غاية الحسن...**"[8]. وأقدم مدنها إيبوسوس Iebusuz المستعمرة القرطاجية والتي تعود إلى عام 654 ق.م[9]

---

[1]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 28.

[2]- الحميري، الروض المعطار، ص: 198.

[3]- نفسه.

[4]- عصام سالم سيسالم، نفسه، ص: 28.

[5]- الإدريسي، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، ص: 307.

[6]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 47.

[7]- الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 128.

[8]- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص: 282.

[9]- عصام سالم سيسالم، نفسه، ص: 28.

د- لماذا جزر البليار من إقليم شرق الأندلس؟

ربما يتبادر إلى ذهن الكثيرين تساؤل حول ما إذا تعتبر جزر البليار جزء من شرق الأندلس أم لا، لم يكن اعتبارها كذلك إلا لأن أغلب المؤرخين أكدوا هذا وفق دلائل منطقية توفرت فيها، وأهمها:

أولا: من الناحية الجغرافية فموقع هذه الجزر بالقرب من شرق الأندلس جعل لها ارتباطا جغرافيا واضح المعالم، خاصة ووقوع كليهما على الجهة الغربية للبحر المتوسط جعل لهما أيضا نفس الخصائص والمِيِّزات المناخية والبيئية، لأنهما تتأثران بمناخ واحد هو مناخ البحر المتوسط، فهذا محمد بن أبي نصر الحميدي(ت488هـ-1095م) يصف هذه الجزر وهو من ميورقة بقوله: "**جزائر خصب وسعة في شرق الأندلس**"[1].

ثانيا: من الناحية التاريخية فتاريخ المنطقة مرتبط بتاريخ الأندلس بحكم القرب الجغرافي، فكل ما يحدث في هذه الجزر له تأثير يصل منطقة شرق الأندلس والعكس، استعمارا كان أم غزوا سواء كان من الشرق أو من الغرب منذ أقدم العصور.

ولهذا تأثرت منطقة الجزر واعتبرت جزءا من شرق الأندلس خاصة بعد الفتح العربي الإسلامي نهائيا سنة 290هـ/903م وأصبحت تابعة إقليميا لحكومة قرطبة.

ثالثا: هناك سبب آخر هو العامل الاجتماعي، فالمهاجرون المسلمون عربا كانوا أم بربر امتزجوا بالسكان المحليين ومع مرور الزمن أصبح للمنطقة مجتمعا شبيه جدا بمجتمع شرق الأندلس نظرا للتأثيرات الاجتماعية المتواصلة والمستمرة، وهذا ما يؤكده الزهري(كان حيا سنة 541هـ-1154م) في قوله: "**وهذه الجزر...تضاف إلى بلاد الأندلس لأن أخلاق أهلها وطبائعهم كطبائع أهل الأندلس وأمزجتهم واحدة...**"[2].

---

[1]- أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1966، دط، ص: 353.

[2]- الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 130.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

أولا- الزراعة

ثانيا- الصناعة

ثالثا- التجارة:

أولا- الزراعة والفلاحة:

وهذه الصنعة من فروع الطبيعيات، تقوم على إثارة الأرض وزراعتها ومعالجة نباتها وتعهدها بالسقي والتنمية، وهي "**من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو ولذلك لا تجد ينتحله أحد من أهل الحضر في الغالب، ولا من المترفين ويختص منتحله بالمذلة**"، كما قال ابن خلدون(ت808هـ-1406م)[1]، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن هذا النشاط قليل الأهمية بل بالعكس من ذلك تماما، ربّما يقصد صاحب القول أن من يمارسها هم من الفئة المغلوبة على أمرها نظرا لاحتياجها للمعاش خاصة من أهل البادية، أما مالكوها فالكثير منهم كان من أصحاب المال والنفوذ والسلطة والقوة، وإنما يستعملون في ذلك عمالا لها نيابة عنهم تجنبا لمشقتها، وإلا فإن هذا النشاط هو "**قوام الحياة وقوت النفوس**"، مثلما ورد على لسان الطغنري(عاش في القرن 5هـ و 6هـ/11م-12م[2]، أو مثلما ذهب إليه ابن عبدون (ت525هـ-1131م) في رسالته أن: "**الفلاحة هي العمران ومنها العيش كله، والصلاح جله، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد الحوال، وينحل كل نظام**"[3]، وعلى الجملة فالفلاحة أهنى المكاسب[4]، ويبدو أنها مصدر لكلمة "فلاح" و"فلاحون"، التي لم تظهر إلا بعد سبعة قرون من تأسيس الثقافة الاسلامية على مستوى الكتاب والسنة[5].

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة،ج2، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، 1425هـ-2004م، ط1، ص: 82، 102.

[2]- إكسبراثيون غارثيا سانشيز، الزراعة في اسبانيا المسلمة، (الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، ج2)، ص: 1367، 1368.(نقلا عن الطغنري).

[3]- محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، رسالة في الحسبة (ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب)، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص: 03.

[4]-Ebn Awam Sevilano, Lebro de Agricultura, Tomo Primero, Traducido Al Castellano, Josef Antonio Banqueri, de Orden Superior Y A Expensas de la Real Biblioteca, Madrid, 1802, p: 5.

[5]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 773.

وعليه فتاريخ الزراعة في منطقة شرق الأندلس يعود إلى زمن القرطاجيين الذين أسسوا مراكز ومدن تجارية على سواحلها، فمنهم تعلم أهل البلاد الأساليب الفلاحية وفن الغراسة لمختلف الأشجار، ومن بعدهم أتى الرومان الذين طوروا المدن التي أسسوها وأقاموا الطرق والجسور والقناطر، ليأتي الجرمان خاصة الوندال ومن بعدهم القوط الذين عرفوا بتشريعاتهم السياسية والقانونية. إلا أن قدوم العرب مستندين إلى القرآن والأحاديث النبوية التي تدعوا إلى خدمة الأرض وزراعتها، جعلهم يحدثون ثورة زراعية خاصة ما تعلق بفنون الزراعة والري واستصلاح الأراضي وتقديم التسهيلات للفلاحين من أجل تحسين الإنتاج وتوفيره[1]، بل إن الكثير من علماء الفلاحة اشتغلوا بالبحث عن أنواع النباتات والمغروسات والأزهار، كما أقاموا القرى الفلاحية والمنيات والبساتين والجنات في المدن والقصور، حتى صارت آية من آيات تطور الفلاحة وعلوم الأزهار والأشجار وما تعلق بها من أحوالها في حالات الأمراض التي تتعرض لها[2].

ومن هنا فإن تميز منطقة مجال الدراسة عن غيرها بحسن البقعة وطيب التربة واعتدال المناخ ووفرة المياه، جعلها بحق منطقة زراعية من الطراز الأول، حتى سميت بخزان الأندلس لتوفرها على كل أنواع المحاصيل خاصة في الأوقات العصيبة والمجاعات[3]، وقد ازدهر هذا النشاط خلال العهد المرابطي وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى اهتمام السلطة الحاكمة به وتشجيع ممارسيه حتى انعكس ذلك على مختلف الأنشطة الاقتصادية الأخرى من جهة وعلى الحياة الاجتماعية من جهة أخرى.

أ- أنواع الأراضي:

يتحكم اختلاف مواسم سقوط الأمطار في تنوع الأراضي الزراعية، حيث يظهر للعيان أنها **تنقسم قسمين بعلا وسقيا** [4].

[1]- العبادي، الزراعة في الأندلس، ندوة الأندلس، ص: 108.

[2]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 775، 776.

[3]- صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ص: 99.

[4]-Ebn Awam, Lebro de Agricultura, p ; 5

1- الأرض البعلية: وهي التي تعتمد بالأساس على مياه الأمطار في سقياها[1]، وقد كانت هذه الأراضي في شرق الأندلس تزرع مرتين كل ثلاث سنوات وتترك مرة على الأقل لمدة عام دون زراعة، وذلك لإراحتها ومن ثم تطلق فيها السائمة لتنقيتها من الأعشاب الضعيفة حتى يعاد زراعتها من جديد وهكذا دواليك[2].

2- أرض السقيا: وهذا النوع قال عنه ابن العوام(ت539هـ-1146م) أنه قسمان، أما الأول **"أحمدهما عاقبة وأضمنهما سلامة السقي بالعيون أو من الأنهار بالسواقي، والقسم الثاني شاق متعب وهو السقي بالآلات من النواعير والسواقي والدلا التي تدور بها الابل والحمر والبغال..."**[3]

ولقد اعتمد ابن العوام(ت539هـ-1146م)[4] في تأليف كتابه حول الفلاحة على ما كتبه حكماء الفلاحة من يونانيين ومسلمين، ولذلك فقد تحدّث عن أنواع الترب التي تصلح للزراعة والغراسة، فمنها الجيد والوسط والدون، ومنها التي لا تصلح أصلا لذلك وهي الأرض المهملة[5]، وكل نوع منها إلا ويختص بنوع من الزراعة معينة، كما بيَّن هو وغيره من علماء الأرض والغراسة في الأندلس كلها أن الأرض يمكن معالجتها بمختلف أنواع الزبول، أضف إلى ذلك مهارة الأندلسيين وخبرتهم الرائدة في هذا المجال جعلتهم على دراية تامة بأوقات الغراسة وكل نوع منها مرتبط بزمن معين وظروف خاصة، كأحوال الجو من حرارة وبرودة ورياح ...وغيرها.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حذق أهل المنطقة ومهارتهم مضافة إليها شغفهم الكبير بأعمال الفلاحة وما تعلق بها، محاولين بذلك الابداع والتفنن، فقد عرف عنهم عدم التكاسل وحب العمل.

---

[1]- Ebn Awam, Lebro de Agricultura, p ; 5.

[2]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 261.

[3]- Ibid, p : 5.

[4]- ولقد قسّم كتابه سفرين الأول خاص بمعرفة اختيار الأرض والزبول والمياه وصفة العمل في الغراسة والتركيب وما يتصل بذلك، والثاني خاص بالزراعة وفلاحة الحيوان، (أنظر: Ebn Awam, Lebro de Agricultura, p : 12).

[5]- Ibid, p : 12.

ب- الملكيات الزراعية:

1- أنواعها:

1.1- ملكية العين: وهي ملك ذات الشيء العقار أو المنقول من الأموال وهي غير قابلة للإسقاط[1]، ويكون هذا في حال وجود الدولة ذات النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي، أما في حال انعدام سلطة الدولة أو في حالة الحروب والصراعات فإنها حتما تنتقل للغالب والمنتصر.

1.2- ملكية المنفعة: وهي ملك حق الانتفاع والاستفادة من الشيء المملوك كالإجارة والإعارة، وهي قابلة للإسقاط[2].

أما الملكية من حيث التبعية لأصحابها نجد هناك الملكية العامة والملكية الخاصة:

أ- الملكية العامة: لقد ترك الإسلام للجماعة حقوقا في التملك والمنفعة لا تجوز للتملك الخاص، فهي مهيأة لمصلحة الجماعة كالأنهار والطرق والجسور، إذن فمالكها هو مجموع الأمة دون النظر للأفراد[3].

ب- الملكية الخاصة: وأما هذه فقد أثبتها الفقهاء، إذا كان اكتسابها بطريق شرعي، وللمالك حق الاستعمال والاستغلال والتصرف من خلال ما خصّصوه في قسم المعاملات أبوابا للبيع والإيجار والقرض والعارية والشفعة والشركة...وغيرها.

ولذلك فالملكيات الخاصة للأراضي الزراعية في منطقة الدراسة كانت هي الأخرى قسمين:

ب.1- الملكيات الكبرى: وتشمل الضياع والمنيات والقرى، حيث وجد هناك من يملك ثلث قرية وآخر نصفها أو جزء منها، وهناك من نسبت إليه القرية بالكامل من أهل البيوت مثلا: منزل طيء في جنوب مرسية Murcia[4]، كما اشتهرت المنطقة أيضا بوجود المنيات وهي الحديقة

[1]- أبو المعاطي، الملكيات الزراعية، ص: 04.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه.

[4]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 416، 418.

الواسعة تقع في وسطها دور فاخرة، وتكون خارج المدن، حيث يتردد عليها أصحابها من كبار الملاك في أوقات معينة ويتركون فيها وكلاؤهم[1]، قال عنها ابن خاقان(ت529هـ-1133م): **"دور فخمة تحف بها بساتين"**[2] وغالبا ما تكون للنزهة والراحة، فحتى الفقهاء قد أصابوا من الملكيات الكبرى خلال عصر المرابطين ما جعل بعضهم يلزم أرضه للإعتناء بها وترك كل ما سواها، فهذ الفقيه محمد بن العاصي الأسدي الذي كان من أعيان مدينة مربيطر Murviedro، تذكر النوازل أنه إلتزم بعد تأدية فريضة الحج على **"تثمير عقاره، والنظر فيه بما ينمي غلته، وانتشر عنه في بلده الذكر سعة الحال ووفور ناض(أي الأموال النقدية)"**[3].

ب.2- الملكيات الصغرى: وأغلب مالكيها هم الفلاحون الذين لا عمل لهم إلا الزراعة يستغلون الأرض بأنفسهم بمساعدة أولادهم، وكان هذا النوع بعضه في مدينة مرسية Murcia [4].

2- استغلال الملكيات:

أما من حيث استغلال هذه الملكيات – الكبرى والصغرى- فقد اختلفت من فترة زمنية إلى أخرى وحسب سياسة الدولة القائمة لضبط أمور هذا النشاط، فكانت هناك استغلاليات الولاة والأمراء وباقي الأفراد، واستغلاليات الأحباس والأوقاف، بالإضافة إلى استغلاليات الجند أو ما يسمى بالإقطاع العسكري، وهذا النظام الذي تم إلغاؤه من قبل المنصور بن أبي عامر(367هـ-987م/391هـ-1001م) قبل المائة الخامسة، أعاده المرابطون لمّا دخلوا المنطقة لكونه في نظرهم دعامة القوة لدفع الخطر الخارجي، ما دام الجند في أيديهم ما يملكون من أراضي تدرّ عليهم أرباحا مقابل خدماتهم العسكرية لمّا ينادي منادي الجهاد[5].وهذا ما أكّده الطرطوشي(ت520هـ-1126م) في سراجه إذ يقول: **"وسمعت بعض شيوخ الأندلس من الأجناد يقولون: ما زال أهل**

[1]- أبو المعاطي، الملكيات الزراعية، ص: 5، 6، ص: 23 وما بعدها.

[2]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 223 وما بعدها. (نقلا عن ابن خاقان).

[3]- المؤلف نفسه، دراسات في التاريخ والحضارة، ص: 12، 13. (نقلا عن ابن رشد).

[4]- أبو المعاطي، نفسه، ص: 62.

[5]- العبادي، الزراعة في الأندلس، ص: 111.

الإسلام ظاهرين على عدوهم، وأمر العدو في ضعف وانتقاص، لما كانت الأراضي مقطعة في أيدي الأجناد، فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويُرَبُّونهم كما يُربي التّاجر تجارته، وكانت الأرض عامرة، والأموال وافرة، والأجناد متوافرين، والكُرَاع والسّلاح فوق ما يُحتاج إليه، إلى أن كان الأمر في آخر أيام ابن عامر، فردّ عطايا الجند مشاهرة بقبض الأموال على النطع، وقدم على الأرض جُباةً يَجبونها، فأكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم، واستضعفوهم فتهاونت الرعايا وضَعُفُوا عن العمارة، فقلّت الجبايات المرتفعة إلى السلطان، وضعُفت الأجناد، وقوي العدو على بلاد المسلمين...إلى أن دخلها المتلثّمون (أي المرابطون)فردّوا الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم"[1].

ولقد تعامل المرابطون مع الأراضي الزراعية وفق سياسة خاصة تقوم على ملكية الدولة أو ما يسمى "**بالمستخلص**" أو "**أرض المخزن**"، ويشرف على هذه الأراضي ديوان يعرف بـــ" **ديوان المستخلص**" حيث يتم من خلاله تدوين أسماء جميع مالكي الاقطاعات ومساحات الأراضي التي أقطعت لهم مع بلدان تواجدهم، يتولاه "**صاحب المستخلص**"[2]، ومهمّته استحصال أموال الدولة وحصّتها من الناتج الزراعي الذي تنتجه تلك الاقطاعات، كما كان له حق انتزاع أي اقطاع من صاحبه إذا ظهرت عليه تُهمة تسيء للخليفة أو للدولة[3].

كما انتهجوا في سياستهم الزراعية التخميس والإقطاع وفي الكثير من الأحيان بيع أراضي بيت المال، إلا أن هذه الظاهرة والتي لقيت إقبالا كبيرا من الناس خلال فترة الاستقرار، أفقدت الدولة الكثير من أراضيها، ما جعل الأمير علي بن يوسف(500هــ-537هــ/1106م-1142م) عام 515هــ-1221م، يعمل على زيادة أراضي الدولة وذلك بمصادرة أملاك الأمراء المغضوب عليهم

---

[1]- أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، سراج الملوك، المجلد الأول، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1414هــ-1994م، ط1، ص: 498، 499. أيضا: حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس- عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ط1، ص: 238.

[2]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص: 73.

[3]- أكرم حسين غضبان، الاقطاع في عهد الموحدين، مجلة آداب البصرة، العدد 51، كلية الآداب، البصرة، 2010، ص: 118.

وحاشيتهم، كما قام أيضا بمراجعة الملكيات العامة منذ زمن ابن أبي عامر التي آلت إلى ملكيات خاصة، إلى جانب ذلك قام بضم أحباس الكنائس وبيع المعاهدين الفارين[1].

وفي نهاية عهد المرابطين واضطراب الأحوال أثرت هذه الظروف بشكل مباشر على وضعية الأراضي الزراعية، حيث كثر التعدي عليها من أجل التأثير على الأعداء وذلك بإضعافهم من الناحية الاقتصادية أولا ثم الاجهاز عليهم، **"فإذا الزارعون عجزوا عن عمارة الأرضين، فيتركونها فتخرب، ويهرب الزراع، فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الأجناد"**[2]، ولما ملك ابن مردنيش المنطقة كانت أيّامه كلها حروب بينه وبين الموحدين، وهذا ما أثر بشكل كبير على النشاط الزراعي، بل إن ابن مردنيش مدّ يده دون حدود شرعية أو غيرها على أراضي وأملاك الناس، بل إنه أقطع الإقطاعات الكبرى لحلفائه النصارى، بل مدنا بأكملها، فهذا "بيدرو أتاجرا Pedro" أقطعه مدينة شنتمرية ابن رزين Albarracin مع سائر مرافقها وأراضيها[3].

ولما تولى الموحدون سيادة المنطقة بعد القضاء على المنتزي بها ابن مردنيش بعد سنة 567هـ-1171م، وبعد استيلائهم على أراضي الأمراء المرابطين وجندهم وحلفائهم، قاموا بمصادرة أراضي الثائرين عليهم تأديبا لهم، وبهذه السياسة زادت أملاك الدولة للأراضي والتي حملت نفس ما كانت عليه أيام المرابطين حيث أطلق عليها **"أراضي المستخلص"** أو **"المختص"** كما وجد ما يُعرف بـــ**"ديوان الضياع"**، ويشرف صاحبه على أراضي المخزن **مزارعة ومساقاة،** وربّما تمتع بحرية التصرف خاصة وقد اتسعت سلطته على أراضي الأحباس وإصلاح أحوال المدن وترميمها[4].كما استعمل الموحدون نظام الإقطاع المعروف زمن المرابطين لكنه عرف تغيُّرا نوعا ما، فقط أطلق عليه

---

[1]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 155 وما بعدها.

[2]- الطرطوشي، سراج الملوك، المجلد الأول، ص: 497.

[3]- دندش، نفسه، ص: 160.

[4]- نفسه، ص: 158 وما بعدها.

تسمية **"أسهم أو السّهام"**، حيث كان هذا النظام في البداية **تمليكا**[1] وذلك بمنح بعض القبائل اقطاعات مقابل خدماتهم التي قدّموها للدولة خاصة المعارك التي انتصروا فيها على أعدائهم[2]، لكن بعد استقرار الأمور أصبحت مشاركة الدولة لصاحب الإقطاع سواءً كان مالكا أصليا أو صاحب المخزن شراكة إقطاعية، حتى تُغطّي الدولة ما تحتاج إليه من دفع الرواتب أو تقديم الهبات لقاء خدمة ما، ومن جهة أخرى فإن سياسة الدولة بلغت حتى أموال وأراضي الأحباس والأوقاف فضُمّت للمخزن[3].

ج- المزارعة والمغارسة:

والمزارعة كما ذهب إليه ابن جزي(ت741هـ-1340م) هي **"الشركة في الزرع وتجوز بشرطين عند ابن القاسم، أحدهما: السلامة من كراء الأرض بما تنبت، والثاني: تكافؤ الشريكين فيما يخرجان، وأجازها عيسى بن دينار وإن لم يتكافئا، وبه جرى العمل بالأندلس"**[4]، والمراد من ذلك هو **"أن يدفع أحدهما أرضه لآخر لمدة معينة، بشرط خدمتها حرثا وزراعة وحصادا ودرسا وذروا وتصفية، مقاسمة بينه وبين صاحب الأرض نصفين، وتكون عقدا في نسختين تقييدا للتاريخ شهرا وسنة، وفق شروط معينة"**[5].

أما المغارسة فهي أن يدفع الرجل أرضه لمن يغرس فيها شجرا وهي على ثلاثة أوجه، **الأول:** إجارة أي يغرس له بإجرة معلومة. **والثاني:** جُعل وهو أن يغرس له شجر على أن يكون له نصيب

---

[1]- **اقطاع تمليك:** هو أحد أصناف الاقطاع يكون للمقطع حق التصرف في الأرض وما ينتج منها بعد استثمارها والاستفادة من مواردها، وتنقسم الأرض ضمن هذا الصنف إلى ثلاثة أقسام: موات وعامر ومعدن(أنظر: أكرم حسين غضبان، الاقطاع في عهد الموحدين، ص: 116).

[2]- أكرم حسين غضبان، نفسه، ص: 116.

[3]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 158 وما بعدها.

[4]- القوانين الفقهية، ص: 185.

[5]- عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين- وثيقة المزارعة، تحقيق حسين مؤنس، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1997م، ط1، ص: 532.

فيما ينبت منها خاصة. **والثالث** متردد بين الاجارة والجعل وهو أن يغرس له على أن يكون له نصيب منها كلها ومن الأرض"[1].

د- المحاصيل الزراعية:

تنوعت المنتوجات الزراعية في منطقة شرق الأندلس كمّا ونوعا، وهذا طبيعي جدا في أرض اعتبرت خزانا للأندلس كلها خاصة أيام الشدائد، نظرا للظروف الطبيعية الملائمة من جهة ومن أخرى تقدم الدراسات العلمية في فن الفلاحة والغراسة كيف لا وقد ظهرت خلال فترة الدراسة ما يعرف بـــ**"المدرسة الزراعية الأندلسية"**[2]، وبروز ألمع علماء الفلاحة وأمهرهم بكل ما تعلق بالنبات.

وأهم هذه المحاصيل نجد الغلال وعلى رأسها القمح والشعير والذرة والأرز، فأما القمح فيشكل المحصول الرئيسي باعتباره مادة غذائية رئيسية وقد امتدت زراعته لمسافات بعيدة خاصة في مرسية Murcia وشبرب ولورقة Lorca والمرية Almeria وقسطيلية Castelano حاضرة إلبيرة Elvira حيث شبهت الأخيرة بغوطة دمشق وذلك لوفرة زراعتها، كما عرفت المنطقة أنواعا كثيرة من القمح، منها ما يطلق عليه "الدرمك" Darmek وهو الأجود في الأنواع كلها حيث يعطي دقيقا

---

[1]- ابن جزي، القوانين الفقهية، ص: 185.

[2]- **المدرسة الزراعية الأندلسية:** كانت بدايتها مع مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهي الفترة التي بدأ فيها علماء الأندلس بتقديم اضافات علمية أصيلة، وقد أضافت أوج تطورها إبان القرنين التاليين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، والكثير من الآراء تعتبر أبا القاسم خلف بن عباس الزهراوي(ت هـــ)، طبيب البلاط أيام الحكم الثاني (350هـــ-367هـــ /961م-976م) والمنصور(367هـــ -391هـــ/-976م-1001م)، وذلك لتأليفه مصنفا مهما جدا في هذا الميدان وهو "مختصر كتاب الفلاحة"، ويعود ظهور هذه المدرسة إلى عامل آخر ذو أهمية بالغة وهو الحدائق النباتية أو الحدائق التجريبية، التي جرى العمل فيها على أقلمة نباتات جديدة أو على تحسين أنواع نباتات معروفة أخرى في تربة شبه الجزيرة، وأشهر علماء هذه المدرسة ابن وافد وابن بصال وأبي الخير والطغنري وابن العوام، لأن رسائلهم في هذا المجال تعتبر أكبر وأهم نواة الرسائل الزراعية، ويعد الطغنري من أهم هؤلاء العلماء في منطقة الدراسة بحكم انتقاله إلى مدينة المرية التي أجرى بها معظم تجاربه الزراعية، حيث استفادت منه منطقة شرق الأندلس في المجال الزراعي أكثر من غيرها، قبل انتقاله إلى اشبيلية وانضمامه إلى إلى مدرسة الزراعة تحت مظلة ابن بصال.(آسبيراثيون غارثيا سانشيز، الزراعة في اسبانيا، ترجمة أكرم ذا النون، الحضارة العربية في اسبانيا، ج2، ص: 1368 وما بعدها).

ناصع البياض، وهناك ما يسمى " المدهون" Almodon وهو أقل جودة من الأول[1]، وإلى جانب هذين النوعين هناك أيضا القمح ريون Ruyun المعروف بـــ Rubio نسبة إلى لونه الأحمر الذهبي، وأيضا القمح اطرحال Trechal وهو نوع من القمح الربيعي[2].

وإلى جانب محصول القمح نجد الأرز الذي كانت له مكانة مميزة في الطبخ، وقد كان إنتاجه بكميات كبيرة نظرا لملاءمة بيئة المنطقة كدفء المناخ ووفرة المياه، حيث اشتهرت به مدينة بلنسية Valencia لذلك عرفت بمستودع الأرز في اسبانيا كلها إذ يحمل إلى جميع بلاد الأندلس[3]، أما الشعير فقد اختصت به مدينة مرسية Murcia وشبرب من إقليم بلنسية Valencia. ويبقى الزيتون الذي وازت أهميتة القمح نظرا لأهمية زيته المستخدم في كل الأطعمة وانتشرت زراعته في إقليم دانية Denia ومربيطر Murviedro، بالإضافة إلى الكروم التي لم يعدم وجودها في مربيطر Murviedro وبريانة Burriana ومرسية Murcia ودانية Denia ولقنت Alicante وجزيرة يابسة Ivica[4].

ولقد اختصت مدينة إلبيرة Elvira بزراعة الموز وقصب السكر عن غيرها بمدن الشرق، إلى جانبها انتشرت زراعة أشجار التوت خاصة في بجانة من إقليم المرية Almeria وذلك لتربية دود الحرير، وهذا ما انعكس على المنطقة برمتها فقد عرفت بكثرة إنتاجها للملابس الحريرية، وهذا ما أشار إليه الإدريسي (ت560هـــ) أن مدينة بجانة تحفها جنات التوت وبساتين ومنتزهات وكروم وأموال كثيرة لأهل المرية Almeria [5].

---

[1]- العبادي، الزراعة في الأندلس، ص: 114. أيضا: أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 259. دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 165.

[2]- وثائق المرابطين والموحدين، باب السلم والعقد فيه، ص: 283. أيضا: العبادي، نفسه، ص: 114. أبو الفضل، نفسه. دندش، نفسه، ص: 165.

[3]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 261. أيضا: العبادي، نفسه، ص: 115. أبو الفضل، نفسه، ص: 259.

[4]- أبو الفضل، نفسه، ص: 260. أيضا: العبادي، نفسه، ص: 115.

[5]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 293. أيضا: العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 86.

أما مختلف الفواكه ونظرا لكون المنطقة غنية بالتربة الخصبة والمياه الوفيرة ساعدها المناخ المعتدل هذا من جهة ومن أخرى اهتمام السكان بغراسة مختلف الثمار وحبهم لها جعلها من الوفرة بمكان، كالرمان والتفاح والخوخ والبرتقال والسفرجل والعنب، فقد كانت منتشرة في أغلب مناطق شرق الأندلس كبلنسية Valencia ومرسية Murcia ولا سيما تينها الذي تغنى به الشعراء ودانية Denia ولقنت Alicante وحتى جزر البليار Balearic Islas، حيث جمعت بين قوة الإنتاج وحلاوة الطعم، بالإضافة إلى البطيخ بنوعيه السكري والسندي وحب الملوك[1].

كما انتشرت زراعة الخضروات التي أدخلها العرب إلى المنطقة، حتى أصبحت تحمل أسماءها الأصلية بالاسبانية مثل الخرشوف Alcorchofas والسلق Acelgas والباذنجان Berengenas[2].

لم يترك أهل المنطقة نوعا من مختلف النباتات إلا وتفننوا في غرسه حتى بلغ اهتمامهم بها أن زرعوا الكثير من أنواع الأفاويه والتي بلغت خمسة وعشرون نوعا، منها السنبل والقرنفل والصندل والقرفة والعود والزعفران، حيث كانت مستغلات النوع الأخير كثيرة جدا خاصة في منطقة بياسة Baeza[3].

لكن الظروف السياسية التي مرت بها المنطقة ما بين نهاية حكم المرابطين وبداية الموحدين، أثرت بشكل كبير على النشاط الزراعي، حيث أصبحت الزراعة تسير نحو التدهور بسبب مهاجمة الموحدين إمارة ابن مردنيش، والتي كانت تشمل منطقة الشرق بالكامل ما عدا مدينة المرية التي أصبحت في أيديهم بعد سنة 552هـ/1157م، فاجتاحوا الكثير من الأراضي الزراعية، وتتبعوا تلك الأصقاع بالتدمير والغارة على جنباتها، واستاقوا نعم أهلها وتحكموا بالتطاول في سهلها ووعرها مدة أيام كثيرة[4]، إلا أن اهتمام السلطة الموحدية بالأرض والنشاط الزراعي، جعل هذا الأخير يستعيد مكانته بين مختلف النشاطات الاقتصادية الأخرى، إذ لا يمكن لأية دولة أن تقوم

---

[1]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 282.

[2]- العبادي، الزراعة في الأندلس، ص: 128.

[3]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 168.

[4]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 200.

دونه، ويظهر ذلك من خلال إعادة تنظيم الأراضي كإقطاعات[1] كما رأينا، ودخول الدولة شريكا زراعيا مع أصحاب الأراضي[2]، لكن لما دب الضعف في أوصال الدولة وعودة الصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة من جهة، واشتعال فتيل الثورات والتمردات من جهة ثانية، ومن أخرى ثالثة اشتداد المد النصراني على الأراضي الاسلامية، كل هذه الظروف وأخرى، كانت عاملا أساسيا في تدهور النشاط الزراعي بالمنطقة، ما أدى في الكثير من الأحيان إلى ارتفاع الأسعار ووقوع المجاعات[3].

هـــ- الري، وسائله وأنظمته:

طبيعي جدا من خلال ما رأينا سلفا من تنوع الأراضي الزراعية بين البعلية وأرض السقيا، ما يوحي لنا أن القسم الأخير لا يمكن زراعته ولا يمكن أن يقدم مردودا وفيرا إلا إذا خضع لعملية الري والسقي التي يتحكم فيها المزارع بشكل أو بآخر، ولهذا قام نظام الري في المنطقة مجال الدراسة على توفر المياه سواءا كانت الأنهار والوديان والعيون المنتشرة هنا وهناك، أو الآبار والسواقي التي أوجدها المزارعون، وقد تمايزت جهات منطقة الدراسة عن بعضها البعض من حيث الترتيبات الادارية لتوزيع المياه والري والسقاية، فالمناطق المتوفرة على الأنهار كان بها التوزيع على نطاق واسع كبلنسية ومرسية، أما المناطق التي كانت تكثر بها العيون والينابيع مثل إلش ولقنت كان بها التوزيع أقل كثافة وبالطرق البسيطة في غالب الأحيان عن طريق الأقنية[4]، وعلى الجملة كان بالأندلس دوائر سقوية تباينت بين الكبرى والمتوسطة والصغرى[1].

---

[1]- أكرم حسين غضبان، الاقطاع في عهد الموحدين، ص: 116.

[2]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 158 وما بعدها.

[3]- عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار الشروق، بيروت، 1403هـ-1983م، ط1، ص: 98 وما بعدها. ص: 113.

[4]- دونالد ر. هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الاسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا، سلسلة عالم المعرفة، العدد305، مطابع السياسة، الكويت، جمادى الأولى1425هـ-يوليو2004م، ص: 224.

1– أنظمة الري:

أ– أنظمة الري الكبرى:

وهذه بدورها تقوم على منشآت الري الكبرى احداها طبيعية متمثلة في الأنهار وأحواضها، والأخريين كانت يد الانسان عاملا مهما في انشائهما ألا وهما القنوات الكبرى والسدود[2].

فأما الأحواض النهرية والتي غالبا ما كانت الأنهار في حد ذاتها سببا في تخصيب تربة السهول الممتدة على ضفافها[3]، ولما كانت هذه الأخيرة تتوفر بها كميات كبيرة من المياه، صار لزاما الوصول إلى تقنيات تعمل على استخراج تلك المياه بنسبة تغطي احتياجات النشاط الزراعي، ومن هنا وجدت القنوات الكبرى والسدود، بل أقيمت على أنهار الوادي الأبيض وإبرة وشقر أو غيرها، أعداد لا تحصى من النواعير[4]. كانت هذه الوسائل تتركز عند أطراف الأنهار حتى يتم استخراج المياه ومن ثم توزيعها إلى مختلف الجهات، فالحميري لما تحدث عن نهر لورقة مثلا، قال بأن له "مجريان أحدهما أعلى من الثاني، فإذا أحتيج إلى السقي به عولي بالسداد حتى يرقى المجرى الأعلى فيسقى به". ثم يضيف بأن "على هذا النهر نواعير في مواضع مختلفة تسقى بها البساتين، ويخرج منه الجداول العظيمة، يسقي الجدول عشرة فراسخ وأكثر"[5]، ما كان يقصد في كلامه حسب ما ذهب إليه صاحب كتاب "**لغز الماء في الأندلس**"[6]، سوى أن هذا السد هو "قنطرة أسكابة" La contraparada ، وأما الجدولين أو القناتين فهما الساقيتان المعروفتان بالقناة الجوفية

---

[1]– توماس ف. غليك، التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس، (الحضارة العربية، ج2)، ص: 1351 وما بعدها). أيضا: سعيد بنحمادة، الماء والانسان في الأندلس خلال القرنين 7هـ و8هـ/13م و14م- إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2007م، ط1، ص: 48 وما بعدها.

[2]– سعيد بنحمادة، الماء والانسان في الأندلس، ص: 48 وما بعدها.

[3]– نفسه، ص: 49.

[4]– العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 18.

[5]– الحميري، الروض المعطار، ص: 172.

[6]–شريف عبد الرحمن جاه، لغز الماء في الأندلس ترجمة زينب بنياية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات العربية المتحدة، 1435هـ-2014م، ط1.

La Aljufia أو ساقية الشمال و"القبلة المرسية" La Alquibla أوساقية الجنوب، وهما على التوالي من ضفتي النهر الأبيض "نهر شقورة"[1]، وبالتالي كانتا تلك الساقيتان أساس الري في المنطقة، ونظرا لميزة الطول الغالبة على بعض السواقي والذي يصل أحيانا إلى 28 ميلا كما هو الحال بالنسبة لساقية أورويلة التي تربط بينها وبين كاترال Catral كانت تتفرع عنهما مجموعة من السواقي الصغيرة ومنها تتفرع مصارف التي تكون منها قنوات السقاية[2].

وأما السدود "فهي أحد المصطلحات التقنية التي تعكس التأثير الأندلسي في التكنولوجيا الهيدرولية لاسبانيا المسيحية، ورغم اختلاف ألفاظها بين azud أو azut أو açut فكلها ترجع إلى أصلها العربي المذكور"[3]، وتكمن وظيفتها في توفير الحماية من الفياضانات الناشئة عن ارتفاع منسوب مياه الأنهار، بالإضافة إلى إدارة النواعير والأرحاء[4]، كما تختلف السدود بين سدود التخزين والاحتفاظ بالمياه لمدة معينة تستعمل عند الاحتياج وبين سدود تحويل المياه عند مباشرة عملية السقي، إلا أن أغلبها كان مصمما لتحويل مياه التيار أكثر منها لتخزين الماء[5].

ومن أهم الأنهار التي تتواجد بها السدود في منطقة الدراسة نجد نهر توريا[6]، حيث اشتمل على ثمانية سدود، وأشهرها سد ميستيلا Mestélla الذي بلغ طوله 240 قدما وارتفاعه7 أقدام وعرضه 5.4 قدما وسمك قاعدته 18 قدما، وجانبه الداخلي الملاصق للماء عمودي والخارجي مدرج، أما مادة بنائه الأساسية فكانت الحجارة[7]، ما كان هذا السد إلا أنموذجا من السدود

---

[1]- شريف عبد الرحمن جاه، لغز الماء في الأندلس، ص: 131.

[2]- نفسه، ص: 132. أيضا: يوسف نكادي، الزراعة في الأندلس، ص: 247 وما بعدها.

[3]- سعيد بنحمادة، الماء والانسان في الأندلس، ص: 52.

[4]- نفسه، ص: 53.

[5]- شريف عبد الرحمن جاه، نفسه، ص: 161.

[6]- **نهر توريا turia**: هو الجزء الأخير من نهر الوادي الأبيض Guadalaviar الذي ينبع من جبال بني رزين sierra de Albarracin في تيروال ويصب في البحر المتوسط، وعلى مصبه تقع مدينة بلنسية.(دونالد ر. هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الاسلامية، هامش صفحة 213).

[7]- دونالد ر. هيل، نفسه، ص: 213. أيضا: سعيد بنحمادة، نفسه، ص: 53.

الثمانية الباقية، والتي على ما يبدو مشتركة في مادة البناء الحجرية، ولم يمنع ذلك من استعمال القوائم الخشبية كركائز للبناء الذي يمتد في قاع النهر لمسافة 15 قدما تقريبا، وإذا أضيفت له تلك القوائم صار العمق يتراوح ما بين 20 و25 قدما، لم يكن هذا الانشاء وفق ذلك التصميم إلا لطبيعة ذلك النهر الذي يبلغ فيضانه أحيانا 20 قدما[1].

إلى جانب هذا المثال التقني في تصريف مياه الأنهار، هناك أيضا في مرسية والتي احتوى نهرها على سد أوريهويلا، وقد تم بناءً على طبيعة هذا النهر(نهر شقورة segura) الذي يجري في قناة عميقة، ومن ثم كان الحل للري من مائه إقامة سد واحد فقط بخلاف ما رأينا من نهر توريا الذي كان يتطلب عددا كبيرا من السدود، ولذلك تم اختيار موقعا مناسبا يجمع بين أعلى النهر والبعد بدرجة كافية عن مصعده عند مستوى أعلى من المنطقة المراد ريها، بالإضافة إلى اعتبار آخر يتعلق بطول ومسار قنوات الامداد، أما من حيث أطواله فقد بلغ الجسم الرئيس 420 قدما والارتفاع 25 قدما والسمك عند القاعدة لمسافة تبلغ ثلاثة أرباع طوله 160 قدما ينقص إلى 125 قدما للربع الباقي[2].

وبالتالي فقد أفاد المسلمون في منطقة الدراسة من السدود باعتبارها مصادر للطاقة المائية من خلال تشغيل الطواحين وآلات رفع المياه[3]، مثل الدواليب أو النواعير وتكون مقسّمة إلى أجزاء مستقلة تقوم برفع الماء من جدول وتفرغه في قناة مرتفعة[4].

ب- أنظمة الري المتوسطة والصغرى:

ويستعمل هذا النظام في عملية الري التقنيات المتوسطة الأحجام والصغرى مثل الينابيع وخزانات المياه والنواعير والخطارات...وغيرها، وقد ميّز الباحث غليك بين نظامين من الحجم المتوسط، قال بأن الأول يتألف من ينبوع وخزانين للمياه وقنوات، حيث كان هذا النظام يروي

---

[1]- دونالد ر. هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الاسلامية، ص: 215.

[2]- نفسه، ص: 216، 217.

[3]- نفسه.

[4]- غليك، التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس، ص: 1355.

حوالي 09 هكتارات مثلا في احدى القرى، أما الثاني فكانت تستعمل فيه العيون دون الاستغناء عن سدود التخزين والتي منها يتم توزيع المياه إلى المناطق المروية[1]، بالإضافة إلى الصهاريج والأحواض لتوفير المياه بكميات كبيرة، خاصة عند زراعة بعض المحاصيل التي تتطلب مزيدا من الماء كنبات الحناء مثلا، حيث يتم انشاء هذه الخزانات وفق دراسات هندسية تراعى فيها نسبة انحدار السطوح التي تقام عليها حتى يكون ضخ الماء بسهولة لري المحاصيل[2].

لقد كان هذا النوع من الأنظمة منتشرا في أغلب جهات منطقة الشرق، بل وُجد في منطقة بني البوفار في جزيرة ميورقة mallorca التي عرفت هي الأخرى مساحاتها المروية والتي قدرت بحوالي 60 هكتارا، عملية السقي بواسطة قناة يتم توزيعها في خزانات أو صهاريج ذات نوعين مكشوف ومغطى، ومنها يتم إيصال المياه لري البساتين والحقول في نوبات أسبوعية، والملاحظ من خلال بعض الدراسات أن التوزيع بالأدوار الأسبوعية، إنما هي عادة يمنية جنوبي الجزيرة العربية وتركزت في هذه المنطقة أكثر إبان حكم بني غانية في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[3].

أما نظام الري الأصغر فغالبا ما كان مشاعا في المزارع الأسرية المروية بواسطة ناعورة تشتغل بقدرة الحيوان أو خطارات تستلزم جهدا يدويا وتكاليف مالية ما، ويكون المصدر الأساسي للماء في هذه الحالات في الكثير من الأحيان الآبار، وبعض منها تشق لها أنفاق أفقية وعمودية، ونظرا للاستعمال الكثيف للناعورات اشتهرت المنطقة خاصة بلنسية بهذه الصناعة التي كان الانتاج منها في السنة يبلغ آلاف الوحدات، ويعود استعمال هذه الأخيرة على مزرعة الأسرة بالوفرة في انتاجها[4]، هذا إذا كانت تتوفر على كميات كبيرة من المياه خاصة إذا استعملت عند الأنهار، أما المناطق التي تتميز بتذبذب مواردها المائية فإن الدورة السقوية بها لا توفر حاجة المزروعات

---

[1]- غليك، التكنولوجيا الهيدرولية في الأندلس، ص: 1355.

[2]- سعيد بنحمادة، الماء والانسان في الأندلس، ص: 58.

[3]- غليك، نفسه، ص: 1356.

[4]- نفسه، ص: 1358، 1359.

الأساسية من كمية الماء المطلوبة، وبالتالي لها تأثير مباشر على انتاجها ما يجعلها زراعة معاشية مقلالة[1].

إن الوصول إلى فنيّات الري والسقيا في المنطقة لم تكن وليدة الظرف فحسب، بل يعود ذلك لمعرفة العرب وبراعتهم في فن الغراسة والفلاحة، فقد استوحوا الكثير من النظم الزراعية من بلاد اليمن وأرض السواد، هذا كله بعد ما استعملوا بعض ما خلّفه الرومان والقوط في هذا المجال، فقد عملوا على تطويره باستكمال نقص أو إبداع في كل جديد، كما أوجدوا نظام المصارف والقنوات الذي من شأنه يقوم بري البساتين والحدائق وتزويد السكان بمياه الشرب، بل إنهم توصلوا إلى بعض الطرق لقياس منسوب المياه أو ما يعرف بهندسة الري، وبالإضافة إلى إقامة السواقي التي أبدعوا في إنشائها[2]، حتى وإن انكر بعض المستشرقين أي إبداع عربي في هذا المجال[3].

وإلى جانب تعدد وسائل الري في المنطقة حسب مصادر المياه، بين شق القنوات وحفر المصارف وإقامة النواعير والسواقي، كان هناك ما يعرف باسم **"الريافة"** وهي كلمة مشتقة من الريف والذي هو ما قارب الماء من الأرض والجمع أرياف، إذ يتم الكشف عن المياه الباطنية بالطرق المعروفة كالفراسة في شم التراب أو السماع بالأذن أو البحث عن أنواع معينة من النباتات يكون الماء تحتها[4]، وهذا ما فرض استخدام وسائل هندسية معينة لرفع الماء إلى السطح أو ما يعرف **"بعلم الريافة"** وهو حسب رأي حاجي خليفة: **"العلم الذي يعرف به كيفية استنباط الماء من الأرض بواسطة الآمارات الدالة على وجوده فيعرف بعده وقربه بشم التراب أو بالنبابتات فيه أو بحركة حيوان"**[5]، إضافة إلى هذا فقد ابتكر أهل المنطقة وسيلة الري بواسطة الجرار الصغيرة المثبتة بجذوع الأشجار أو ما يعرف بـــ**"السقي بالتنقيط"**، ويبقى أبرز مثال على الإبداع العربي في

---

[1]- سعيد بنحمادة، الماء والانسان في الأندلس، ص: 56.

[2]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 257.

[3]- ج.س.كولان، الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب، بيروت، 1980م، ط1، ص: 100.

[4]- العبادي، الزراعة في الأندلس، ص: 119، 120.

[5]- مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، دتا، ص: 939.

هندسة الري هو تقسيم مياه الأنهار، وذلك بتوزيعها عبر جداول وسواقي لري البساتين بطريقة عادلة تقوم على التناوب بين جميع المزارعين تحت إشراف الهيئة المذكورة لاحقا-محكمة المياه- والتي تعود جذورها إلى وكالة الساقية زمن الفتيان العامريين مبارك ومظفر قبل توليهما إمارة بلنسية في القرن 05هـ/ 11م[1].

2- التسيير الاداري للماء أو محكمة المياه:

اشتهرت منطقة شرق الأندلس خاصة بلنسية بالزراعة المروية التي تعتمد على الري، وهذا ما فرض على أهل المنطقة الاجتهاد في الوصول إلى تقنيات هيدرولية من شأنها تعمل على قيام نشاط زراعي ذو انتاج وفير، وهذا ما تحقق فعلا في المنطقة حتى اشتهرت بعض مدنها بألقاب تدل على الخصوبة والنماء، كمطيب الأندلس أو مدينة التراب أو بستان الأندلس- بلنسية-، والزرع الخصيب-لورقة-....وغيرهما. إلا أن توزيع المياه لري المحاصيل كان سببا في اختلاف المزارعين فيما بينهم، هذا الاختلاف ولكثرة وقوعه أدى إلى ايجاد تدابير وتشريعات قانونية لا دارة السقي، وتجسد ذلك في هيئة قضائية عرفت بـــ **"محكمة المياه"**، وهي عبارة عن هيئة مراقبة وتنفيذ قوانين ادارة السقي بين مستحقيها من الملاك والمزارعين، كما تفصل في المنازعات المائية الحاصلة حول الحصص والأدوار السقوية، إذ مثّلت بذلك "أنموذجا للتشريعات المتعلقة بالتدبير القانوني والاداري للسقي"[2].

وعليه فإن هذا الجهاز القضائي تطلب هو الآخر موظفون يسهرون على مراقبة وتنفيذ القوانين، ولعل المتتبع لهيئة هذه المحكمة يكتشف أنها تتألف من ثمانية قضاة، وهؤلاء هم وكلاء السواقي الثمانية وهم المسؤولون عن توزيع الماء على المستفيدين، ويتم اختيارهم من بين "المزارعين الشرفاء ذوي الصيت الطيّب"[3]، الذين لهم خبرة في الممارسة الزراعية جعلتهم متخصصون في هذا المجال

[1]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 83.العبادي، الزراعة في الأندلس، ص: 121.

[2]- سعيد بنحمادة، الماء والانسان في الأندلس، ص: 41.

[3]- شريف عبد الرحمن جاه، لغز الماء في الأندلس، ص: 154.

يعرفون دواخله وتفاصيله وأساليب الحيل والمخادعات فيه[1]، لم يكن تحديد عدد القضاة الثمانية في بلنسية إلا لكون هذه المدينة قد اتخذت من حوض نهرها "توريا"، منطقة زراعية بامتياز، وذلك بإقامة قنوات أو جداول السقي الكبرى الثمانية التي تتفرع عن هذا النهر، وهي: مونكادة Moncada، وترموس Tormos، ومستالة Mestalla أو ميستيلا Mestélla، ورسكانة Rescana، ووكوارت Cuart، ومسلاتة Mislata، وفبارة Fabara نسبة للقبيلة البربرية هوارة، وروبلة Rovella. وتبلغ مساحة الأراضي التي ترويها هذه الجداول حوالي 9227 هكتارا[2]. كما كان لكل ساقية من هذه السواقي مسؤول عنها يعرف بـــ"صاحب الساقية" El zabacequia أو موزع الماء ورتبته تماثل رتبة صاحب السوق، حيث كان يشرف على حل العديد من النزاعات بين أصحاب الحق في الري، بالإضافة إلى مراقبة أدوار توزيع الماء والحرص على نظافة السواقي، كما كان يصدر أوامره إلى ملاك الأرض والمزارعين القاضية بإصلاحها إن كان بها خلل وترميم الجسور التي فوقها، وأحكامه شفهية شأنها شأن أي حكم قضائي[3].

كانت المحكمة تعقد جلستها كل خميس من الأسبوع عند منتصف النهار أمام باب المسجد الجامع في بلنسية، وكان يترأسها أحد القضاة الثمانية بمساعدة بعض الموثقين ذوي النزاهة والكفاءة، أما المسائل التي يجب النظر فيها غالبا ما كانت حول عدم احترام المزارعين للحصص الزمنية أو تلويث المياه وتبذيرها، حيث يتم استدعاء المتهم شفهيا مرتين والثالثة تحرر مذكرة كتابية، فإن لم تكن الاستجابة بحضوره كان الحكم عليه غيابيا، ومن بين الاجراءات التي تدل على نزاهة الأحكام القضائية، أن الجلسة الخاصة بمنازعات الضفة اليسرى يشرف عليها قاض من الضفة اليمنى، وفيما يخص الأخيرة فإن الجلسة يشرف عليها نائب الرئيس الذي ينتمي للضفة اليسرى،

---

[1]- محمد إلهامي، محكمة المياه في بلنسية، مجلة الوعي الاسلامي، الكويت، مقال ضمن الموقع الالكتروني للمجلة www.alwaei.gov.kw .

[2]- سعيد بنحمادة، الماء والانسان في الأندلس، ص: 41.

[3]- شريف عبد الرحمن جاه، لغز الماء في الأندلس، ص: 151، 154.

أما الأحكام الصادرة فكانت في الغالب غرامات مالية، وفي حال رفض المحكوم عليه ذلك فإنه يحرم من الماء حتى يخضع للأمر[1].

ثانيا- الصناعة:

عرفت منطقة الدراسة النشاط الصناعي منذ وقت مبكر، نظرا للضرورة الملحة في ذلك، فهذا النشاط تقوم عليه الكثير من مناحي الحياة المختلفة، الاجتماعية والعسكرية والمالية للدولة، إذ تنوعت المنتوجات الصناعية واختلفت بين مدن المنطقة، بل إن الكثير من تلك المدن إلا واشتهرت الواحدة عن الأخرى بصناعة معينة، ومن ثم كان التكامل الصناعي من سمات إقليم منطقة الدراسة.

1-أهم المصنوعات:

أ- النسيج: ساهمت عوامل كثيرة في رواج هذه الصناعة أهمها:

* توفر المواد الأولية اللازمة لها كالكتان والجلود والصوف والقطن بالإضافة إلى مواد الصباغة وأهمها الزعفران[2]، وأهم مادة اشتهرت بها المنطقة ليس إقليميا فحسب، بل دوليا أيضا ألا وهي الحرير نظرا لوجود زراعة أشجار التوت وكثافتها والتي كان الهدف الأساسي منها هو تربية الدود لإنتاج هذه المادة الأخيرة[3].

* حذق ومهارة السكان في هذه الصنعة ودليل ذلك هو تنوع مختلف المنسوجات الحريرية والكتانية الغالية الثمن العجيبة الشكل والمعروفة في المغرب والمشرق وحتى أوربا، وذلك بشهادة الإدريسي(ت560هـ-1165م)، والزهري(منتصف ق06هـ)[4] وغيره من كتاب العصر مؤرخون وجغرافيون وأدباء، خاصة في مدينة المرية Almeria عاصمة الحرير.

---

[1]- سعيد بنحمادة، الماء والانسان في الأندلس، ص: 42، 43.

[2]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 265.

[3]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 240.

[4]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 289.أيضا: الزهري، الجعرافية، ص: 101، 102.

* تشجيع السلطة الحاكمة خاصة المرابطون لهذه الصنعة، بل كانت هناك مراكز صناعية مِلك للدولة أو ما يعرف بـــ **"المناسج الحكومية"**[1].

* الموقع الجغرافي على الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط، جعل للمنطقة مجالا مفتوحا على بقاع العالم القديم، حيث كان شرق الأندلس محطَّة لكل جديد قادم من المشرق أو إفريقيا أو أوربا، ما جعل المنطقة من جهة أخرى على إطلاع بأحوال الأمم الأخرى، وانعكس ذلك عليها بأن استفادت الكثير خاصة في صناعة الحرير المشرقية فنقلتها وطورتها وأضافت لها الإبداع الذي نافست به غيرها في هذا المجال.

ونظرا لهذه العوامل وغيرها فقد بلغت صناعة النسيج في عهد المرابطين درجة كبيرة من التقدم والفخامة والإتقان من توفر الإنتاج كما ونوعا[2]، وقد حافظت الدولة على هذه الصناعة طيلة عهدها بالأندلس، خاصة في مدينة المرية Almeria التي كانت بحق عاصمة الحرير إنتاجا وتسويقا، فقد أشار الزهري(منتصف ق06هـــ)، إلى ما كان يصنع في المرية Almeria من منسوجات، فيذكر أنه كان بها: " **يُعمل الديباج المحكم الصنعة مثل المرنجات المعروفة بالعداديات وثياب السندس الأبيض وهو ديباج أبيض كله، لا يخفى على أحد من صناعته شيء، وفيها استنبطت ثياب المعمة العروفة بالخُلدي، ليس في ثياب الحرير كلها أتم منها مجالا ولا جمالا...وأهلها كلهم رجالا ونساء صناع بأيديهم وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير في سومه، وأكثر صناعة رجالهم الحياكة"**[3]، ويؤكد جغرافي العصر الإدريسي (ت560هـــ-1165م)، ذلك أنه كان أيام المرابطين في المرية:" **من طرز الحرير ثمانمائة طراز يعمل لها الحلل والديباج والسقلاطون والاصبهاني والجرجاني، والستور المكللة، والثياب المعينة، والخُمر والعتّابي،**

---

[1]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 265.

[2]- سحر سالم عبد العزيز، ملابس الرجال في الأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مجلد 27، مدريد، ص:161.

[3]- الزهري، الجعرافية، ص: 101، 102.

والمعاجر وصنوف أنواع الحرير"[1]-[2]، ومن خلال هذا يتضح للعيان أن المدينة لم تكن تنتج السلع المحلية فحسب، بل برعت في الكثير من المنسوجات المشرقية واليونانية كالسقلاطون Ciclaton مثلا وهو نسيج من الحرير مطرز بالذهب، كان معروفا عند اليونان ثم انتقلت صناعته إلى العرب فحذقوه، ويقال أنه مشتق من كلمة Cycle وهو اسم كان يطلق في أوربا كلها على نسيج من الحرير مطرز بالذهب، كما يرجح عند الكثير من الباحثين أن هذا الاسم أطلق على هذا النوع من النسيج بسبب رسومات الدوائر التي تحملها المنسوجات البيزنطية والساسانية والعربية[3].

والملاحظ في هذا أن صناعة النسيج وخاصة الحرير في المرية Almeria قد تأثرت إلى حد كبير بصناعته في المشرق، إلا أن هذه الصناعة عرفت تراجعا كبيرا بسبب موقف الموحدين تجاهها وتورعهم عن ارتداء الحرير، حيث يقول ابن خلدون (ت808هــ-1405م)عنهم: " **ولما جاءت دولة الموحدين في أول المائة السادسة، لم يأخذوا بذلك أول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة، التي لقنوها عن إمامهم محمد بن تومرت المهدي، وكانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم...**"[4]، حيث سقطت وظيفة صاحب الطراز الذي كان أيام المرابطين يتولى مهمّة الإشراف على المناسج الحكومية ورعايتها ومتابعتها في كل مراحل الإنتاج والتسويق، وبالتالي بلغ التأثير السلبي على النشاط التجاري في هذا المجال وفي المدينة

[1]- وأما **الحلل** فهي نسيج حريري تُحلّى بخيوط الذهب وتعرف بالحلل الموشية، **والدّيباج** كان معروفا في المشرق قبل الإسلام وهو من المنسوجات الحريرية السميكة وكان يصنع من خيوط الحرير، وقد تدخل في نسجه خيوط الذهب، **والاصبهاني والجرجاني** نوعان من النسيج شاعا في اصبهان وجرجان، **والسّتور المكلّلة** وهي أقمشة من الحرير الخفيف الرقيق تزدان بزخارف نباتية وأزهار تشبه الأكاليل، **والثياب المعينة** نسيج من الكتان او القطن مزين بترابيع صغيرة على شكل معينات، وقيل سميت كذلك لأنها تشبه العيون، أما **الخُمُر** فهي أقمشة حريرية تغطي بها النساء رؤوسهن وتنسدل على الوجه فتغطيه، **والعتّابي** نوع من نسيج الحرير أيضا اختصت بصناعته بغداد ونسب إلى محلتها المعروفة باسم " العتابية" وذكر ابن جبير أنها حرير وقطن مختلفات الألوان، **والمعاجر** هي قماش من الحرير الشفاف كانت تتخذه النساء لتغطية وجوههن أو شد رؤوسهن.(أنظر: دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، 185).

[2]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 289.

[3]- دندش، نفسه، ص: 184.

[4]- ابن خلدون، المقدمة، ص:267.

المرية Almeria [1]، التي كانت قد خضعت إلى الاحتلال النصراني لمدة قاربت العشر سنوات "542هـ-552هـ/1147م-1157م"، حيث تعتبر هذه المدة التي سبقت الموحدين بداية الانتكاسة لهذه الصناعة في المدينة هذه، وحتى وإن استدرك المتأخرون من الموحدين بعض الشيء منها إلا أنها لم تعد لها المكانة السابقة زمن المرابطين.

وعليه لم تكن المرية Almeria متفردة في الصناعة النسيجية على اختلاف أنواعها، فقد اختصت مالقة Malaga ومرسية Murcia بالحرير الموشى بالذهب الذي نال إعجاب أهل المشرق بشهادة ابن الخطيب(ت776هـ-1374م) والذي يقول عن مدينة أندرش **"حريرها ذهب وتربها تبر منتهب"**[2]، كما اشتهرت جنجالة Chinchilla وقونكة Cuenca بصناعة المنسوجات والبسط ووطاء الصوف، واشتهرت بسطة Baza بنوع من الثياب يعرف بالملبد المختم له أنواع عجيبة، بالإضافة إلى الوطاء البسطي من الديباج الذي لا يعرف له نظير، كما يصنع بها أيضا نوعا من اللبود المشمع لمنع ماء المطر من الوصول إلى لابسه، وأما تنتالة Tentillo من أعمال مرسية Murcia فقد عرفت بالبسط الغالية الثمن والتي تصدر إلى المشرق، كما بلغت صناعة الأسرة المرصعة والحصر الفتانة أوجها في المدينة مرسية Murcia[3]، بالإضافة إلى هذا كله نجد الثياب البيض الرقيقة من الكتان والقطن والتي تشبه الكاغد لرقتها وبياضها وهي غالية الثمن، حيث اختص حصن بكيران بهذا النسيج[4].

أما من حيث الصور الجمالية المضافة إلى المنسوجات المختلفة في منطقة شرق الأندلس، هو إضافة الزخارف الهندسية والنباتية القائمة على تشابكات ومربعات ووريدات مع كتابات سخية، ويبدو أنها تميزت عن غيرها لكون عدم تفضيل الصور الحيوانية الموضوعة في دوائر والتي كانت من خصائص المنسوجات في المرية[5].

---

[1]- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 159.

[2]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 184.(نقلا عن معيار الاختيار لابن الخطيب).

[3]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 201.

[4]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 282.

[5]- عبد العزيز سالم، نفسه، ص: 160.

ومما يدل دلالة واضحة على ازدهار الصناعة النسيجية زمن المرابطين ثم الموحدين في إقليم الشرق، تلك البقايا النسيجية التي لا زالت تحتفظ بها متاحف وكنائس أوربا إلى اليوم، ومثال ذلك ثوب القداس الذي كان يرتديه القديس خوان ذي أورتيجا المحفوظ الآن بكنيسة أورثونيو(برغش)، والذي يحمل اسم علي بن يوسف، وهذا ما يؤكد ازدهار صناعة المنسوجات الحريرية خاصة المصنوعة زمن علي بن يوسف(500هـ-537هـ/1106م-1143م)[1].

ب- صناعة السفن:

كان للخطر البحري الخارجي دور فعال على دفع السلطة في الأندلس كلها إلى إيجاد وقاء حربي لابد منه، يكون حاجزا لرد عادية البحر، تمثل أساسا في إنشاء الأساطيل على طول الشريط الساحلي[2]، ولما كانت البلاد من جهة الشرق تتمتع بساحل له من الاتساع والطول بمكان، اتخذت الكثير من مدنه قواعد ومراكز لإنشاء وبناء السفن، حيث لعبت دورين مهمين، فبالإضافة إلى الدفاع عن البلاد ودرع الخطر، كان أيضا للتجارة دور هو الآخر من شأنه يعمل على حفظ اقتصاد البلاد وتطويره، ولهذا فإنشاء السفن في شرق الأندلس لم يكن وليد عصري المرابطين والموحدين فحسب، بل منذ أيام الإمارة الأموية وعلاقاتها الخارجية ومكانتها من بين القوى العالمية المعاصرة لها. ولهذا فمدن المنطقة مجال الدراسة وعلى الخصوص كطرطوشة Tortosa وبلنسية Valencia ودانية Denia والمرية Almeria ومرسية Murcia وقرطاجنة وجزر البليار Balearic Islas. وغيرها عمل المرابطون على تطويرها من خلال المحافظة بل ورعاية هذا النوع من الصناعات بها، فهي عمود أمن واقتصاد البلاد.

ولقد ساعد على تطوير السفن وإنشائها توفر خامات الخشب والحديد والقطران، فقد اشتهرت طرطوشة Tortosa بغابات الصنوبر الذي يتميز بلونه الأحمر الصافي القشرة والذي لا يتغير ولا يتسوس[3]، حيث مهر أهلها في صناعة المراكب الكبار، ومثلها مدينة دانية Denia التي اشتهرت

---

[1]- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري لتاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص: 354، 355.

[2]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 262.

[3]- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد2، ص: 555. أيضا: الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 103.

أكثر من غيرها بدار صناعة السفن خاصة وأنها كانت ميناءا ومرسى مهما، فقد كان يجلب إليها الخشب من قلصة من أعمال مرسية Murcia ، بينما تحمل إلى بلنسية Valencia الأخشاب العريضة التي تستخدم في البناء، كما نشأت في مدينة لقنت Alicante صناعة المراكب السفرية والحراريق[1].

وقد واصلت دانية Denia إنتاجها طيلة العهد المرابطي بل وحتى عصر الموحدين، ويظهر ذلك من خلال ما كان يقوم به الجيش من عمليات عسكرية في شرق الأندلس، خاصة ما تعلق بالغزو البحري نحو جزر البليار Balearic Islas وما وراءها، ومن ثم الذود عن حدود شرق الأندلس كلّها بما فيها تلك الجزر ضد الهجومات الصليبية خاصة القطلونية، فأصبحت بذلك قاعدة تنطلق منها السفن للغزو ومباشرة العمليات الحربية[2].

ج- الفخار والخزف:

- **الفخار**: وهو ما يصنع من الطين فقط دون تزجيج.

وكانت مادته الأساسية هي ما توفرت عليه منطقة الشرق من طمي الذي منه تُحول عجينته ومن ثم تُصنع منه مختلف الأواني الفخارية، خاصة في مدينة بلنسية Valencia وما اشتهرت به من الطمي الأبيض الذي يعطي رونقا خاصا بهذه الصنعة، لأن أغلب ما عثر عليه في هذه النواحي كان الأخير هو مادة الصنع الأساسية، وقد أضيفت عليها زخارف سوداء بدون تزجيج كما تميزت بخشونتها وهي غير مصقولة[3].

- أما **الخزف** فهو ذلك التزجيج الذي يضاف على الأواني الفخارية فتصبح في شكلها وصلابتها مثل الزجاج، وقد اشتهرت به الكثير من مناطق شرق الأندلس وأهمها بطرنة Paterna ومنيشة، وهذه الأخيرة التي كانت تتوفر بها مادة الصلصال الضروري لصناعة الفخار، وما يدل دلالة واضحة على وجود هذه الصناعة بل وتطورها هو وجود أنواع كثيرة منه، أهمها: الخزف الملون

---

[1]- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد2، ص: 284.

[2]- نفسه، ص: 282. أيضا: الحميري، الروض المعطار، ص: 76.

[3]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 266، 267.

المزين بأكسيد المنجنيز والمزين والمنقوش بمادة الأنجوبي البيضاء، بالإضافة إلى الخزف المكشوط والخزف المخصب والمطلي بطلاء القصدير، وما يوحي بتأثير الطبيعة على هذه الصناعة من وجهين:

* إضافة المواد المعدنية المختلفة كأكسيد المنجنيز والنحاس والقصدير، بل وحتى الذهب وذلك في صناعة الغضار المذهّب الذي يتميز بزخارفه الزرقاء ذات البريق المعدني[1]، حيث أعطت هذه المواد مظهرا جماليا يعكس لنا ما توصل إليه أهل المنطقة من فن في هذا المجال.

* الشكل الخارجي لمختلف المصنوعات الخزفية كان يتنوع بين الصور الحيوانية من طيور وأرانب والصور النباتية مختلفة الأشكال والألوان.

كما اشتهرت صناعة القراميد الخزفية (الزليج) الذي يستخدم في تزيين جدران الحمامات والقصور، حيث بلغت بلنسية Valencia مراتب راقية في هذه الصناعة، فقد كشفت الحفائر في مدينة الفسطاط والإسكندرية على وجود قطع من الخزف البلنسي، بالإضافة إلى ما هو محفوظ في متحف اللوفر في فرنسا La france من بعض الصحون التي صنعت في مدينة بطرنة Paterna، كذلك فقد عثر في مدينة بواتيه Boitei على بناء أثري مزدان بقراميد خزفية من صنع خزاف بلنسي يدعى جيهان البلنسي jehan de valence ، كما وجدت هذه الصناعة في مدينة شاطبة Jativa، حيث أصدر ملك أرغون خايمي الأول Jaime I (ق14م) بعد استيلائه على هذه المدينة قانونا سنة 1248م يمنح فيه صناع الخزف من المسلمين حق الاستمرار في مزاولة أعمالهم[2].

د- صناعات أخرى:

تنوعت الصناعات في أغلب مناطق شرق الأندلس، فبالإضافة إلى الصناعات الكبرى التي لاقت رواجا عالميا، هناك صناعات أخرى إلى جانبها منها: صناعة التحف المعدنية ومختلف الآلات كالسكاكين والأمقاص الذهبية والزجاج، ويعود ذلك إلى توفر المواد الخام الضرورية، فحجر المغناطيس الجاذب للحديد في كورة تدمير Tudmir والرصاص الحديد بأندة Onda والمرية

---

[1]- أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص: 266 وما بعدها.

[2]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 267.

Almeria، كما وجد بلورقة Lorca حجر اللازورد اللازم للترصيع والحلي والبللور وهذه مواد أساسية لصناعة التحف، بالإضافة إلى الفضة في منطقة تدمير Tudmir أيضا[1]، حيث تعتبر هذه الأخيرة أكثر المدن شهرة في صناعة التحف الفضية[2].

ومن جهة أخرى كان لتوفر مادة الرخام دور في صناعة الكثير من الأحواض و اللوحات المنشورية الشكل وشواهد القبور، وقد أدى التفنن في هذه الصناعة إلى حد أن حتى هذه الشواهد ازدانت بنقوش على شكل محاريب عقودها متجاوزة منكسرة تحملها عمد على مناكب، ويدور بالعقود طرز مستطيلة الشكل تعلوها أفاريز وتحفها نقوش كتابية، ويغطي المحاريب المنقوشة كتابات جنائزية متمثلة في ذكر المتوفى وتاريخ وفاته وبعض الآيات القرآنية. ونظرا لكون مدينة المرية Almeria اشتهرت بهذا النوع من الصناعة أطلق عليها بشواهد المرية las estelas almerienses، كما امتازت أيضا بجمال الخط الكوفي المنقوش عليها وأناقته، وكل هذه الآثار تعود إلى عصر المرابطين، وهذا ما أدى إلى رواج تجارة الأحواض الرخامية وخاصة نحو بلاد المغرب[3].

ثالثا– التجارة:

وهذه الصنعة إنما هي نتاج ما توفرت عليه البلاد من إمكانيات عملت على حركيتها وازدهارها، متمثلة أساسا في سمعة الدولة المرابطية على تطبيق مبادئ الشريعة السمحة فلا مكوس ولا ضرائب جائرة، والدولة حريصة على تأمين التجارة والطرق[4]، ضف إلى ذلك وفرة المحاصيل الزراعية والصناعية بالدرجة الأولى، ومن أجل تسويق هذه الأخيرة استدعى وجود الطرق بنوعيها البرية والبحرية بالإضافة إلى الأنهار، التي من شأنها أوجدت وسائل النقل المختلفة حسب كل نوع من الطرق، ضف إلى ذلك ضرورة وجود أماكن التسويق ونعني بها هنا الأسواق ومراكز التجارة.

---

[1]– المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 169. مجهول، تاريخ الأندلس، ص: 53.

[2]– عبد العزيز سالم، نماذج من التحف الفضية والتماثيل البرونزية، ندوة الأندلس، ص: 163.

[3]– المؤلف نفسه، تاريخ مدينة المرية، ص: 163 وما بعدها.

[4]– سلامة محمد سلمان الهرفي، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين(رسالة ماجستير)، إشراف أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1402هـ–1982م، ص: 311.

أ- الطرق التجارية:

ساهم تنوع شبكة الطرق المتصلة ببعضها في تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية على السواء، والمتمثلة في الطرق البرية والنهرية نظرا لغنى المنطقة بالأنهار الداخلية التي تعتبر رابطة بين المدن الأندلسية ككل بما فيها منطقة الدراسة، بالإضافة إلى الطرق البحرية والرابطة بين الساحل الشرقي كله ومختلف بقاع العالم القديم إفريقيا وآسيا وأوربا.

1- الطرق البرية:

ويعود وجود بعض هذه الطرق في منطقة الدراسة إلى العصر الروماني الذي اشتهر ببروز ظاهرة انتشار الطرق عبر أقاليم الإمبراطورية، وهذا لا يعني بالضرورة أن الطرق بقيت على حالها التي كانت عليها منذ ذلك التاريخ، لأنه حتما ستتعرض للتلف، إلا أن خطوط سيرها ولا بد تبقى ماثلة للعيان ما يستدعي بالضرورة إعادة إنشائها من جديد، كما تؤكد المصادر الجغرافية أن هناك طرق كبرى كانت تربط عاصمة الدولة الإسلامية في الأندلس-قرطبة Cordova- بمختلف مدن الشرق تدعى بالمحجة الكبرى، التي تنطلق من العاصمة مرورا بغرناطة Granadaومالقة Malaga ومرسية Murcia ومن ثم نحو بلنسية Valencia ثم طرطوشةTurtosa[1] ومنها نحو قطلونية"برشلونة"Barcelona وما وراءها من البقاع. ويذكر العذري(ت478هـ-1085م) أن هناك طريق رابط ما بين قرطبة Cordova والمرية Almeria، حيث يأخذ مساره بحاضرة جيان Jaen ووادي آش Guadix ثم بجانة ومن ثم إلى المرية Almeria [2]، وهناك أيضا طرقا تربط ما بين مدن الشرق خاصة ما بين مرسية Murcia إلى بلنسية Valencia، حيث يجتاز هذا الطريق مجموعة من المدن والقرى تعتبر محلات والمحلة هي المكان الذي يستريح فيه المسافر حتى يواصل سيره من جديد، خاصة إذا كان محملا بالبضائع، يقول العذري(ت478هـ-1085م) في هذا الصدد يبين الطريق من مرسيةMurcia إلى بلنسية Valencia : **"من مدينة مرسية إلى مدينة أوريولة محلة، إلى قرية عصف محلة، إلى بيار محلة، إلى مدينة شاطبة محلة، إلى جزيرة شقر محلة، إلى مدينة بلنسية**

---

[1]- أبو مصطفى، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، ص: 59.

[2]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 89.

محلة"[1]. وبالتالي فإن المنطقة ونظرا لقرب القرى إلى بعضها البعض فإنك لا تكاد تبتعد عن مدينة أو قرية حتى تقترب من أخرى ما يدل على وجود شبكة من الطرق وفي كل الاتجاهات.

2- الطرق البحرية:

إن الموقع الجغرافي الساحلي ووفرة مختلف المنتجات الزراعية والصناعية، ساعد على تنشيط حركة النقل والتجارة بين الواجهة الغربية للبحر المتوسط ومختلف بقاع العالم القديم، خاصة وأن أغلب مدن الساحل كانت عامرة بالتجارات زمن المرابطين أهمها: طرطوشة Turtosaوبلنسية Valencia ودانية Denia والمرية Almeria ومرسية Murcia ، فكلها كانت مراكز تجارية، بالإضافة إلى هذه المدن الكبرى، هناك أيضا مراكز تجارية تابعة لها منها قرطاجنة الحلفاء وهي فرضة مرسية Murcia كثيرة الخصب والرخاء ولقنت Alicante ولورقة Lorca وأوريولة Orihuela وبريانة Burriana وشاطبة Jativa..وغيرها كثير[2]. وبالتالي كانت المدن الساحلية في أغلبها إما بها دار صناعة السفن أو تملك مرافئ ومراسي لها خطوط بحرية مباشرة مع الكثير من مدن المغرب ومصر وبلاد الشام وأوربا خاصة ايطاليا وجنوب فرنسا.

أما بالنسبة إلى الأنهار والتي استعملت كطرق في نقل البضائع ما بين مدن منطقة الدراسة، وأهمها وادي طورنة ونهر شقر Xucar-Gen ونهر إبرةEbro ونهر مرسية وغيرها، حيث كان يتم نقل البضائع الضخمة عبر مياهها الجارية كنهر شقر الذي تلقى فيه الأخشاب فتأخذها المياه نحو حصن قليبرة ثم تحمل إلى دانية Denia وبلنسية Valencia ، بالإضافة إلى الملاحة النهرية حيث تتنقل الكثير من السفن الصغيرة عبر هذه الأنهار من مدينة إلى أخرى، فالمنطقة تتوفر بها أو من اختصاصها صناعة السفن بكل أنواعها[3].

---

[1]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 17.

[2]- محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ص: 156. أيضا: أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 277.

[3]- أبو الفضل، نفسه، ص: 275، 276.

ب- التجارة الداخلية:

لعبت منطقة شرق الأندلس دورا كبيرا في التجارة الداخلية، ويعود ذلك بالأساس إلى كون معظم مدنها عامرة بالتجارات متمرسة على هذا النشاط[1]، وقد شجع ذلك أهلها تنوع الثروات الزراعية والصناعية في كل صقع من الأندلس كلها، الأمر الذي أوجد تكاملا اقتصاديا بين جل مدن المنطقة[2]، بما فيها مدن غرب وجنوب الأندلس التي كانت تدفع ببضائعها إلى مدن الشرق وموانئه كالقطن والعصفر وزيت الزيتون من اشبيلية، وجلد النسر العجيب من الجزيرة الخضراء، والمراسي الحديدية من شلطيش، والزعفران من وادي الحجارة والغضار المذهب من قلعة أيوب والزبيب الشاطي والقصاع والمخابي والأطباق الخشبية من حصن قيشانة والزئبق من شمال قرطبة[3]، أي أن هذه المدن ساهمت في تكوين قوة اقتصادية من حيث التبادل التجاري لمختلف السلع المتوفرة، والتي من شأنها انعكست على الحياة الاجتماعية برمتها، إلا أن منطقة الدراسة قد تأثرت نوعا ما إلى ظاهرة حلت بالأندلس كلها نتيجة الأوضاع السياسية التي وجدها المرابطون في البلاد، والتي أفرزت ما يعرف باللصوصية وانقطاع السبل، فحتى وإن سعى المرابطون جهدهم في توفير الأمن، إلا أن ذلك لم يحد من هذه الظاهرة، لأن بلاد الأندلس في حد ذاتها كانت بمثابة دار للجهاد، وبالتالي ولا بد كان للخوف واضطراب المسالك وجود ولو في المناطق البعيدة عن أنظار السلطة، فكثيرا ما شكا التجار من تعرضهم للأعمال النهب والسرقة من طرف اللصوص وسلبت أموالهم[4]فالشاعران ابن خفاجة تقوم دليلا على ذلك، حيث لما كان في طريقه بين لورقة والمرية رفقة الشاعر عبد الجليل بن وهبون الذي قال شعرا يهدئ به روع وخوف صاحبه من اللصوص، حينما **"مرّا بمشهدين وعليهما رأسان باديان، وكأنهما بالتحذير لهما متناديان"،** فقال ابن خفاجة: ويا ربّ رأس لا تزاور بينه وبين أخيه والمزار قريب

[1]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 03 وما بعدها. الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 279 وما بعدها.

[2]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 277.

[3]- نفسه، ص: 279.

[4]- أحمد الطاهري، التجارة والمبادلات بالأندلس ميلاد الرأسمالية بالبلاد المغربية، Graficas Moreno.s.l.Bormujos (sevilla) ,2015، ص: 177 وما بعدها.

وقال ابن وهبون: يقولون حذارا لا إغترارا فطالما أناخ قتيل بي ومرّ سليب[1]

وفعلا وقعا ما كان على سبيل المزاح، فقد قُتل ابن وهبون وسُلب من ابن خفاجة ما كان معه من متاع، ضف إلى ذلك فابن عبدون صاحب الحسبة كثيرا ما تحدّث في رسائله عن السّراق والذعرة، حيث طلب من السلطة أن تكثف من عدد الجند في تلك المناطق[2].

ج- التجارة الخارجية:

وفي هذا المجال لعب تجار الإسكندرية دورا كبيرا في التبادل التجاري، فقد أكدت المصادر الجغرافية وجود صلات تجارية بين الإسكندرية وموانئ الأندلس خاصة دانية Denia والمرية Almeria ومرسية Murcia ، ومما تشهد به وثائق الجنيزة على أن سفن الإسكندرية الفاطمية كانت تتجه مباشرة إلى المرية Almeria في عصر المرابطين، كما تؤكد شواهد بعض القبور التي عثر عليها في هذه المدينة تعود لتجار من الإسكندرية توفوا خاصة في الفترة 519هـ-527هـ-540هـ/1125م-1133م-1145م، تؤكد على حضور تجاري قوي في النصف الأول من القرن 6هـ/12م[3]. ولهذا تميزت هذه المدينة عن مثيلاتها بالنشاط التجاري حتى أصبحت قبلة التجار من شتى أنحاء العالم، يقول عنها الإدريسي(ت560هـ-1165م): **"ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ولا أتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وادخارا"** ويضيف: **"...والمدينة في ذاتها كبيرة كثيرة التجارات، والمسافرون إليها كثيرون، وكان أهلها مياسير، ولم يكن في بلاد الأندلس أحضر من أهلها نقدا، وعدد فنادقها...ألف فندق إلا ثلاثون..."**[4]. إن كثرة الفنادق التي تحدث عنها الإدريسي دليل على كثرة التجار بالمدينة خاصة الأجانب من المدن الايطالية التجارية جنوا وبيزا والبندقية، حيث استلزم وجود ديوان للنصارى يشرف على إقامة

---

[1]- ابن خاقان، قلائد العقيان، ص: 741 وما بعدها.

[2]- رسالة في الحسبة، ص: 15، 16، 52.

[3]- كمال السيد أبو مصطفى، شخصيات سكندرانية في الأندلس، ص: 409، 410.أيضا: أوليفار ريمي كونستبل، المسلمون في تجارة الأندلس الدولية، (الجيوسي، الحضارة العربية، ج2)، ص: 1075، 1076.

[4]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 289، 290.

الفنادق والوكالات التجارية لهم في المدينة، فقد كانت تمنح للنصارى امتيازات وتقدم لهم خدمات كل ذلك من أجل المصلحة الاقتصادية العامة، وذلك بفرض ضريبة التعتيب على الفنادق، وهذا ما انعكس على خزينة الدولة التي أصبحت لها مداخيل مالية معتبرة. إلا أن المدينة عرفت انتكاسة في كل المجالات خلال الفترة التي وقعت في يد النصارى ما بين"542هـ-552هـ/1247م-1257م، وهذا ما أثر بالفعل على النشاط التجاري بها، هذا يخص بالذات التجارة والتجار المسلمون، أما الأجانب فقد ساعدهم الوضع أكثر من أي وقت مضى، كيف لا والمدينة التجارية الأولى في الشرق في أيديهم وتحت تصرفهم الخاص....

وقد كانت تلك الفنادق في مدينة المرية Almeria خاصة زمن المرابطين تؤدي وظيفتين في آن واحد، فهي مستودع لتخزين السلع ثم توزيعها بعد ذلك بالجملة، والثانية إيواء التجار الوافدين فهي مترل أهل المشرق والمغرب وأوربا، قال عنها ابن سعيد(ت685هـ- 1286م): **"فهي باب الشرق ومفتاح والرزق"**[1]، وربما الذي ساعد على هذا الرخاء التجاري هو توفر المراكب والسفن لكون هذه المدينة بها أشهر دور بناء السفن من جهة، ومن أخرى امتلاكها لمرسى مناسب لكل أنواع المراكب القادمة من الإسكندرية والشام وإفريقية ومختلف بقاع أوربا خاصة ايطاليا، ففي هذا الصدد يقول ياقوت الحموي(ت626هـ-1229م): **"منها يركب التجار، وفيها تحل مراكب التجار، وفيها مرفأ للسفن والمراكب"**[2].

أما بالنسبة للبضائع المصدرة فقد تنوعت المنتجات المتنقلة بين مدن شرق الأندلس بين الصناعية والزراعية، حيث كان يحمل الأرز من بلنسية Valencia ، ومن شاطبة Jativa الكاغد الجيد ومن لقنت Alicante الحلفاء، ومن جنجالة Chinchilla الأوطية الصوفية ومن مرسية Murcia الأسرة المرصعة والحصر الفتانة وآلات الحديد من السكاكين والأقماص الذهبية ومن المرية Almeria المنسوجات الحريرية والمصنوعات الرخامية والأواني الخزفية والتحف المعدنية[3].

---

[1]- المغرب، ج2، ص: 193. أيضا: أبي الفداء، تقويم البلدان، ص: 177.

[2]- معجم البلدان، ج5، ص: 119.أيضا: الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 289، عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص:168، 169، عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 349، 350.

[3]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 278.

ونفس هذه البضائع وغيرها من المنتوجات كالتين المالقي وزيت الزيتون والغضار المذهب والمنسوجات الحريرية ذات الجودة العالية، كانت تجد لها طريقا إلى ما وراء البحر.

وعليه لم تكن موانئ شرق الأندلس تصدر المنتجات الزراعية والصناعية المحلية فحسب، بل كانت مستودع كل البضائع القادمة من مختلف البلاد جنوب وغرب الأندلس والشمال النصراني، ومن ثم يحملها التجار كل حسب وجهته التجارية أو بلاده الأصلية، وهنا يتضح بشكل جلي أن هذه الموانئ خاصة في النصف الأول من القرن الهجري السادس، لعبت دور الوساطة والتوزيع في تجارة غرب البحر المتوسط[1].

لم تكن الإسكندرية وحدها في مجال التجارة الخارجية للمنطقة، وإنما كان الحضور التجاري لمناطق عديدة، حيث حافظت المنطقة على نشاطها التجاري رغم ما عرفته الأخيرة من أحداث الفتنة نهاية المرابطين، فبمجرد أن تحكم الموحدون في مصيرها السياسي حتى استمر ذلك النشاط، فهذه مدينة سلا وغيرها من المدن المغربية الساحلية على الخاصة، كانت لهم صلات تجارية مع موانئ الشرق وبالتحديد مدينة المرية Almeria [2]، حيث كانت السفن ترتاد ثغر هذه المدينة وثغور وهران وبجاية وجزائر بني مزغنة وتنس وسبتة وتونس[3]، وهذه مدينة شاطبة Jativa يتجهز منها التجار بالأمتعة إلى غانة وبلاد السودان[4]، كما أن التجار الأندلسيون كانوا أيضا يتنقلون بتجاراتهم سواءا نحو الإسكندرية أو بلاد الشام أو المغرب، فقد كانوا يُشاهَدون في أسواق الإسكندرية وبعضهم كان يتنقل حتى إلى العراق وأصفهان، ويذكر ابن الأبار(ت658ه)، أن خمسة من التجار

---

[1]- أوليفار ريمي كونستبل، المسلمون في تجارة الأندلس الدولية، ص: 1079.

[2]- نفسه، ص: 1076.

[3]- إيمان بنت دخيل الله العصيمي، العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة -201هـ-897هـ/817م-1492م- (رسالة ماجستير)، إشراف وفاء عبد الله المزروع، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430هـ-2009م، ص: 80.

[4]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 19.

العلماء الأندلسيون توفوا في الإسكندرية بين عامي 580ه-642ه/1184م-1245م، منهم اثنان من بلنسية Valencia [1].

وفي المقابل من ذلك كانت القوافل التجارية أول ما تصل بلاد الأندلس تحط رحالها في موانئ الشرق، وبالتالي تُفرِغ حمولتها المتنوعة من مختلف منتجات الآفاق، لتوزع بعدها إلى باقي مدن الأندلس، فتجار المشرق خاصة الإسكندرية كثيرا ما كانت موادهم الأساسية في التجارة التوابل علاوة على مختلف أنواع العطور والبخور والأعشاب الطبية ومواد الصباغة والأقمشة الكتانية والمنسوجات الموشاة بخيوط الذهب والفضة[2].كما كانت المنطقة تستورد من صقلية الثياب المقصورة الجيدة ومن افريقية زيت الفستق واللوز والبرقوق والمزاود والأنطاع والقرب، ومن فاس التمور ومن الهند عن طريق عرب الجزيرة المسك والكافور والعود[3].

د- الأسواق:

كانت مدن شرق الأندلس تعج بالأسواق الكثيرة التي تحوي كل أصناف التجارات والبضائع، منها المرية Almeria ومرسية Murcia وبلنسية Valencia ولورقة Lorca، وغالبا ما كانت تقام قريبا من المساجد الجامعة، خاصة القيساريات، وكثيرا أيضا ما كانت تقام عند أبواب الأسورا أو في الأرباض الخارجة عن المدينة[4]، بحيث كانت البضائع والسلع في جميع مدن المنطقة لها تنظيم يقوم على ترتيب هذه السلع، كل نوع في جهة معينة، وذلك من أجل تسهيل العملية التجارية سواءا على البائع أو على المشتري، وربما يكون بذلك تسهيل عمل المحتسب الذي يشرف على مراقبة السلع والأسعار، حتى أصبح كل سوق يسمى بحسب نوع السلعة التي به كسوق العطارين والصباغين والوراقين والدباغين والطوابين والنحاسين، وسوق الخضر والفواكه وسوق الدواب وسوق بائعي الفحم...وغيرها[5]، ولكل منها نظام خاص، كأن لا تباع الأطعمة في الأماكن التي

[1]- أوليفار ريمي كونستبل، المسلمون في تجارة الأندلس الدولية، ص: 1076، (نقلا عن ابن الأبار).

[2]- أبو مصطفى، شخصيات سكندرانية في الأندلس، ص: 410.

[3]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 278.

[4]- إيمان بنت دخيل الله العصيمي، العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس، ص: 85.

[5]- ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص: 53.

يكثر بها الغبار، أو أن لا تقف الدواب في الأسواق وإنما تخصص لها أماكن بعيدة عن ذلك[1]، بل أكثر من ذلك، هناك تصرفات للبيع يجب أن تكون وفق ما فيه مصلحة للناس كافة وأن لا يلحق الضرر بالعامة، كالنهي مثلا عن المشي باللحم في الأسواق إلا أن تقطع رؤوس الضأن، فدمها قد يصيب ثياب الناس عند الازدحام، كما يجب أن لا يرفع الجزارون الموازين للحم فوق رؤوسهم[2]، ضف إلى ذلك التعامل مع فئات المجتمع المختلفة، فمثلا أن لا يباع من اليهود ولا من النصارى كتاب إلى من كان على شريعتهم، خوفا من التغيير الذي يحدثونه على أصل تلك الكتب كنسبتها إلى أهلهم وأساقفتهم خاصة الكتب المترجمة[3].

هـ- العملة:

لقد أنشأت الدولة المرابطية عشرات دور الضرب في أنحاء البلاد، فكانت المدن الرئيسية في منطقة الدراسة لها نصيب من تلك الدور، واختارت الدولة المشرف عليها أن تتوفر فيه الأمانة والنزاهة والمعرفة الدقيقة بالعملات وتمييزها بين الصحيح والسقيم[4]، وذلك من أجل توفير العدد الكافي من النقود التي تتناسب مع حجم المبادلات التجارية، خاصة إذا علمنا أن أهم مراكز التجارة في الدولة المرابطية كانت في شرق الأندلس، بل إنها اكتست الصفة العالمية، ومن أهم تلك المدن: المرية Almeria ومرسية Murcia وبلنسية Valencia وشاطبة Jativa ودانية Denia، بل إن تلك الدور ومن أجل تحقيق مرونة العمليات التجارية قامت بسك أجزاء صغيرة من الدينار والدرهم، فقُسِّم الدينار إلى أنصاف وأرباع، وقُسِّم الدرهم إلى وحدات صغيرة منها القيراط والقطع الثمنية والقطع الثلثية[5]، ولقد أشاد الكثير من المستشرقين بالعملة المرابطية وقيمتها الرفيعة

1- ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص: 53. أيضا: عيسى بن ذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين-دراسة اجتماعية اقتصادية 480هـ-540هـ/1056م-1145م،(أطروحة دكتزراه)، إشراف أحمد شريفي، 1429هـ-1430هـ/2008م-2009م، جامعة الجزائر، ص: 365.

2- نفسه.

3- نفسه، ص: 56.

4- عيسى بن ذيب، نفسه، ص: 379.

5- سلامة محمد سلمان الهرفي، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين، ص: 321 وما بعدها.

بين عملات العالم خلال تلك الفترة، وعلى رأسهم كوديرا الذي قال بأن سياسة المرابطين المالية والاقتصادية كانت أعلى مستوى حضاري من سياسة كل الحكومات التي سبقتهم، مستدلا في ذلك بقطع العملة النقدية التي فاقت في جمالها وهيأتها كل قطع عملة من سبقهم[1]، حيث كان الدينار المرابطي يزن قريبا من أربعة غرامات حوالي3.960 غراما[2].

وأول عملة صكها المرابطون في الأندلس كانت سنة 484هـ-1191م في مدينة مرسية Murcia بعد دخولهم إليها مباشرة، حيث كتب على الوجه الأول اسم الخليفة العباسي في الوسط[3] وتحيط به الحلقة وفيها الآية 85 من سورة آل عمران [**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الاسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَة مِنَ الخَاسِرِيْن**]، أما الوجه الثاني ففيه لفظ التوحيد وفي أسفله اسم الأمير المرابطي وحلقة الوجه فيها تاريخ ومكان ضرب السكة[4]:

الوجه الأول:	**الوجه الثاني:**
الامام	لا إله إلا الله
عبد الله	محمد رسول الله
أمير المؤمنين	أمير المسلمين يوسف
	بن تاشفين

حلقة الوجه الأول، الآية: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الاسْلَام دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَة مِنَ الخَاسِرِيْن.

حلقة الوجه الثاني: بسم الله ضرب هذا الدينار بمرسية سنة أربع وثمانين وأربعمائة.

---

[1]- العامري، دراسات حضارية، ص: 478 (نقلا عن كوديرا).

[2]- حسن علي حسن، الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس، ص: 227.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ج4، ص: 46.

[4]- Tawfic Ibrahim, Dinares Almoravides, en la Coleccion De Improntas Del I.V.D.J No Ricogidos Por Hazard, gcita Numismatica, 93, bacelona, 1988, p: 28.

الوجه 2 الوجه 1



وبقيت العملة على نفس الشكل طيلة مدة حكم يوسف بن تاشفين(ت500هـ/1106م)، وهذا ما بيّنته عملة مدينة مرسية Murcia سنة 488هـ-1094م[1]، وعملة سنة 491هـ/1097م[2]، وعملة سنة 505هـ-1109م و مرسية سنة 508هـ- 1114م[3] وعملة مدينة المرية سنة 490هـ-1097م، فقد أضيف حرف-ك- أسفل اسم الخليفة العباسي[4]م، أما في سنة 491هـ-1098م[5] وسنة 493هـ/ 1099م[6]، وسنة 521هـ-1127م وسنة 522هـ-1128م[7] فيبدو أن حرف الكاف لم يعد موجودا، أما في عهد علي بن يوسف(500هـ-537هـ/ 1106م -1143م)، فقد تغير اسم أمير المسلمين، هذا في الوجه الأول، أما الوجه الثاني فقد أضيف حرف -س- أسفل اسم الخليفة، بالإضافة إلى تغير الآية من 85 إلى 87 دائما من سورة آل عمران

---

[1]-Tawfic Ibrahim, El dinar andalusi .Nuevas aportaciones, IV Jariqe de numismatica Andalusi, 2000, p: 45. (أنظر الملحق رقم 14)

[2]- Tawfic Ibrahim, Dinares Almoravides, , p: 29. (أنظر الملحق رقم 14)

[3]- Tawfic Ibrahim y Esteban collantes perez-arda, Dinar Inedito Del Amir Almoravide Ali Ibn Yusuf(500/537 h=1106/1142 d.x),Asociacio Numismatica Espnola, n: 90, bacelona, 3. 1988, p: 37,38 (أنظر الملحق رقم 14)

[4]-Tawfic Ibrahim, El dinar andalusi .Nuevas aportaciones, IV Jariqe de numismatica Andalusi, 2000, p: 45. (أنظر الملحق رقم 15)

[5]- ipid. (أنظر الملحق رقم 15)

[6]- Tawfic Ibrahim, Dinares Almoravides, , p: 29. (أنظر الملحق رقم 15)

[7]- Tawfic Ibrahim y Esteban collantes perez-arda, Dinar Inedito Del Amir Almoravide Ali Ibn Yusuf(500/537 h=1106/1142 d.x), p: 37, 40. (أنظر الملحق رقم 15)

[أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم أَنَّ عَلَيهِم لَعنَةَ اللهِ والمَلاَئِكَة والنَّاس أَجْمَعِين]، ويظهر ذلك على عملة مدينة بلنسية عام 503هـ-1109م[1].

أما عملة مدينة بلنسية فيبدو من أشكال القطع المتوفرة لدينا لسنوات 504هـ-1108م، 505هـ-1109م، 512هـ-1118م، أنه لا فرق بينها وبين عملة مدينة مرسية الصادرة أيام علي بن يوسف(ت537هـ 1142م)[2]، وذلك من حيث الكتابة الظاهرة على وجهيها.

ولما خضعت المنطقة لسيادة ابن مردنيش أنشأ هو الآخر عملة خاصة به، مظهرا بذلك ولاءه للعباسيين، وذلك من خلال ذكر اسم الخليفة العباسي على أحد وجهي عملته، والدائرة التي تحيط به يكتب بها تاريخ ومكان ضرب السكة، أما الوجه الآخر فيكتب به لفظ التوحيد واسم الأمير، والحلقة التي تحيط به يكتب بداخلها الآية 85 من سورة آل عمران **[وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الاسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَة مِنَ الخَاسِرِيْن]**[3]، وهذه عملة سنة 546هـ-1151م:

الوجه الأول	الوجه الثاني
الامام	لا إله إلا الله
عبد الله	محمد رسول الله
أمير المؤمنين	صلى الله عليه وسلم
	الأمير أبو عبد الله
	محمد بن سعد

حلقة الوجه الأول: بسم الله الرحمان الرحيم ضرب هذا الدينار بمدينة مرسية سنة ست وأربعين خمسماية.

حلقة الوجه الثاني: ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

---

[1]- Tawfic Ibrahim y Esteban collantes perez-arda, Dinar Inedito Del Amir Almoravide Ali Ibn Yusuf, p:33.

[2]-Tawfic Ibrahim, Dinares Almoravides, p: 36, 37, 38, 39. (أنظر الملحق رقم 13)

[3]- juan jose rodriguez y Tawfik Ibrahim, numismatica de Ceuta Musulmana, p: 179.

الوجه 2 الوجه 1



ويبدو أن ابن مردنيش بقي يصدر عملته الدرهم إلى غاية أواخر سني حكمه لشرق الأندلس، كما أن دار السكة في مرسية عاصمته بقي تزاول نشاطها، وهذا ما تبينه العملة الصادرة عنها في سنة 564هـ–1179م، وفيها يظهر الاختلاف بينها وبين عملة سنة 546هـ–1151م، المذكورة أعلاه، وذلك لتغير الكتابة التي على وجهيها، فالوجه الذي كان مكتوبا به اسم الخليفة العباسي يختفي وفي هذا الاختفاء يكون أيضا اختفاء الولاء للسلطة العباسية، وكتبت في مكانه لفظة التوحيد، أما الوجه الثاني فتختفي به أيضا الصلاة على النبي ويضاف إلى اسم الأمير اسم ولي عهده "هلال"[1].

أما بنو غانية في جزيرة ميورقة فإنهم لم يخضعوا للسلطة الموحدية، وبالتالي كان استقلالهم بجزر البليار دافعا لإصدار عملتهم التي بها تتواصل الحركة التجارية داخل وخارج تلك الجزر، ولذلك كانت عملتهم "الدرهم" تحمل دلالات الاستقلال من خلال ما كتب عليها من عبارات خاصة بهم، لكنهم أبقوا على ما يشير لولائهم للمرابطين وذلك بكتابة اللقب العام للإمارة وهي عبارة "أمير المسلمين"[2]، ففي الوجه الأول اكتفى الأمير بكتابة لفظ التوحيد أم الوجه الثاني فيحمل عبارة أمير المسلمين مع ذكر اسم الأمير وهذا ما ظهر في عملة الأمير علي بن محمد بن اسحاق بن علي الذي حكم الجزر ما بين سنتي "581هـ–584هـ/1185م–1188م[3]:

---

[1]-Tawfic Ibrahim, UN DIRHEM INEDITO DE MUHAMMAD IBN SA’D, “IBN MADRNIS”, Asociacio Numismatica Espnola, n: 100, bacelona, 1991, p: 43.

[2]- juan jose rodriguez y Tawfik Ibrahim, numismatica de Ceuta Musulmana, p: 180.

[3]- ipid.

الوجه الأول:	الوجه الثاني
لا إله	امير المسلمين
إلا الله محمد	علي ابن اسحاق
رسول الله	ابن محمد ابن علي

ويظهر من خلال هذا أن كلا الوجهين لم تكن بهما الحلقة الموجودة في باقي عملات المنطقة في فترة الدراسة.

أما في عصر الموحدين فيبدو أن الكثير من دور السكة في منطقة الدراسة لم تعد تمارس نشاطها، وإن كانت لم تكن كما كانت أيام المرابطين.

ولما تقاسمت الطوائف الدولة الموحدية، أنشأ محمد بن نصر عملة خاصة به فكانت مدينة مرسية Murcia هي الأخرى محافظة على دار السكة التي أنشئت بها منذ عصر الطوائف الأول، ولذلك واصلت إصدار العملات للسلطة السياسية التي تحكم المنطقة فكانت على الشكل التالي[1]:

الوجه الأول:	الوجه الثاني
بسم الله الرحمان الرحيم	لا إله إلا الله
وصلى الله على محمد وآله	محمد رسول الله
ولا غالب إلا الله	المهدي إمام الأمة
	مدينة مرسية

حلقة الوجه الأول:	حلقة الوجه الثاني:
وإلهكم- إله واحد	أمير المسلمين- الغالب بالله
لا إله إلا هو- الرحمان الرحيم	محمد بن يوسف- بن نصر أيده الله

[1]- juan jose rodriguez y Tawfik Ibrahim, numismatica de Ceuta Musulmana, p: 181

الوجه الأول الوجه الثاني



ما يلاحظ هنا هو أن أوجه العملة قد عرفت تغيرا عما كانت عليه، بحيث غابت هذه المرة صورة الولاء للدولة العباسية من الوجه الأول، واكتفت بذكر البسملة والصلاة على النبي مع ذكر الآية **[وَلَا غَالِبَ إِلَّا اللهِ]**، أما حلقة الوجه فكانت الآية **[وَإِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِد لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيْم]**، أما الوجه الثاني ففيه لفظ التوحيد مع إضافة المهدي إمام الأمة ثم مدينة مرسية، وتبقى الحلقة وفيها ذكر اسم الأمير ابن نصر[1].

---

[1]- juan jose rodriguez y Tawfik Ibrahim, numismatica de Ceuta Musulmana, p: 181.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية

أولا– عناصر المجتمع

ثانيا– التمايز الاجتماعي

ثالثا– مظاهر الحياة الاجتماعية

أولا- عناصر المجتمع:

لقد عرف المجتمع في الأندلس خلال العصر الإسلامي، ذلك التنوع والتمازج بين العناصر الوافدة وأهل البلاد، ما أفرز عناصر سكانية جديدة لا يقل دورها في تاريخ المنطقة عن العناصر الأولى سواءً من الناحية السياسية والعسكرية أو الاقتصادية وحتى الفكرية والعلمية. وغالبا ما انصب اهتمام الكتاب والباحثين على العنصر الأساس -العرب- ثم البربر، اللّذين كانا لهما دور بارز في تغير الوضع الاجتماعي في المنطقة تبعا للوضع السياسي، فهم السبب الصانع والمحرك لكل الأحداث، حيث يحتل العنصر العربي والبربري الصدراة في مجال الدراسات الاجتماعية في الأندلس دائما، ثم تأتي العناصر الباقية المكونة للمجتمع خلال العصر الإسلامي، من مولدين ومسالمة ويهود.

أ- العرب:

عرفت بلاد الأندلس موجات متتابعة من الوافدين العرب مع حركة الفتح الإسلامي، وجل المؤرخين ذهبوا إلى أنّ أولى دفعات العرب التي دخلت الأندلس كانت مع القائد موسى بن نصير"88هـ-95هـ/707م- 714م"، وبلغ تعدادها ثمانية عشر ألفا[1]، منهم اثنا عشر ألف من العرب أغلبهم من القيسية واليمنية والموالي، وفي رواية أخرى للمقري(ت1041هـ/1631م)نقلا عن الرازي(ت344هـ-955م)، تقول أن العدد الذي دخل به موسى بن نصير الأندلس كان عشرة آلاف وذلك سنة 93هـ/712م [2]، ربما لكثرتهم وتأثيرهم على الواقع كان ذلك الاهتمام، ولكن لا يمكن إغفال تلك المجموعة التي دخلت مع طارق بن زياد والتي قدرها المقري بحوالي ثلثمائة نفس[3]، ثم تلتها طوالع أخرى مثل طالعة الحر بن يوسف الثقفي في ذي الحجة سنة 97هـ/716م، وقدرت بحوالي أربعمائة، والعنصر الغالب في هاتين الطالعتين العرب اليمنية الذين أطلق عليهم البلديين أو أهل البلد، وتلتها أخرى ثالثة مع بلج بن بشر القيسي سنة 123هـ/741م[4]، وقدر عددها حوالي

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 269.

[2]- نفسه، ص: 270.

[3]- نفسه، ص: 233.

[4]- نفسه، ص: 400، 401.

عشرة آلاف منهم ثمانية آلاف من العرب القيسية وسميوا بالشاميين أو الوافدين تمييزا لهم عن البلديين[1]، وأما الطالعة الرابعة فكانت مع أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي.

هذا ما ورد في جميع المصادر، ويضيف مؤنس أن القبائل العدنانية التي دخلت الأندلس بصفة عامة كانت حوالي 42 قبيلة، بينما القحطانية أو اليمنية فكانت 52 قبيلة. وهو في هذه الحالة يعطي تفسيرا لكثرة الأخيرة على الأولى من وجهين:

1- إما أن تكون القبائل اليمنية الداخلة فعلا أكثر من العدنانية.

2- أو أن يكون الجم الغفير من العرب الداخلين، قد زعموا لأنفسهم أنسابا أنصارية، اِلتماسا للمكانة والمترلة وقد يكون الأمران قد حدثا معا[2].

وعليه لا يمكن التطرق لعناصر السكان في البلاد كلها، لأن طبيعة الدراسة تفرض التقيد بالموقع الجغرافي والواقع الاجتماعي لهذا الموقع. ولذلك تعرضنا للبدايات الأولى للوجود العربي في الأندلس، حتى نستطيع تحديد أهم القبائل العربية التي تركزت في منطقة الدراسة- شرق الأندلس- مع ذكر إن أمكن الأسر البارزة في بعض مناطقه أي التي كان لها دور فعال وفي أي مجال.

ولهذا فقد رصدت لنا المصادر العربية أماكن تواجد قبائل وبطون العرب ومناطق استقرارهم في شرق الأندلس[3].

بينما حسين مؤنس يفصل بين القبائل العدنانية والقحطانية وأماكن تواجدها بشرق الأندلس، ويؤكد أن أكثر القبائل التي سكنت المنطقة كانت من القحطانية، ففي منطقة تدمير لم يكن فيها من العدنانية سوى ربيعة، بينما القحطانية فمنهم جذام ودوس وغافق والحضارمة، أما منطقة رية

---

[1]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص: 29، 30.أيضا: لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص: 102.

[2]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 412.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.تا. ملحق 01 و 02، ص: 248 وما بعدها. أيضا: يحي أبو المعاطي محمد عباسي، الملكيات الزراعية، ص: 595 وما بعدها.(انظر: الملحق رقم18).

ففيها من القحطانية: جزيلة وخزرج وذو رغين[1]، وفي الجمهرة يحدد من الخزرج بنو مالك بن النجار وليس من العدنانية إلا فهد[2].

أما المناطق التي لم يسكنها إلا العدنانيون في شرق الأندلس فمنهم ملكان وأفصى في مرسية، وعوف في طلبيرة وهوازن في بلنسية، ومنهم من أنشأوا قرى بالكامل ظلت تحمل أسماء أصحابها، مثلا: مترل طيء في جنوب مرسية[3].

إن كل ما ورد أعلاه يبين فقط العناصر العربية التي دخلت الأندلس مع الفتح العربي الإسلامي للمنطقة، وشتان بين نهاية القرن الأول وبدايات القرن الثاني للهجرة وبين فترة موضوع الدراسة ما بين نهاية القرن الخامس والنصف الأول من القرن السابع، فإن البون شاسع- الزمني طبعا- عرفت فيه البلاد تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق: هل توقفت الهجرة العربية إلى الأندلس واكتفت البلاد بما دخلها من عناصر في هذه الموجات؟ أم التروح العربي استمر في التدفق نحو الجزيرة لكن ليس في شكل جماعات رسمية؟

وفي هذا الباب يتحدث القادري بوتشيش مؤكدا أنه لم تحدث هجرات عربية تذكر، مستثنيا في ذلك وفود بعض العناصر القليلة من عرب بني هلال للمساهمة في عمليات الجهاد بالأندلس، ما جعله يؤكد مرة أخرى أن البارز خلال فترة المرابطين هو ذلك الامتزاج بين العرب والبربر[4].

وهنا يمكن القول أن هجرة الطوالع كانت هجرة منظمة أي أن أغلب العرب الذين دخلوا من خلالها كانوا جزءًا من الجيش الإسلامي، لذلك انصب اهتمام المؤرخين على ما هو رسمي، لكن الواقع أن الحركة الاجتماعية لا تعرف التوقف على مرّ الزمن، وإنما تلعب الظروف السياسية دورا مُهمّا في توجيهها إما سلبا أو إيجابا، إما تعميرا أو خرابا.

---

[1]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 415.

[2]- أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1983، ط1، ص: 247، 248.

[3]- حسين مؤنس، نفسه، ص: 416، 418.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 36، 37.

ولهذا لا يمكن الاعتماد بشكل كلي على ما كان يشكل المجتمع من عناصر في السنوات الأولى من الفتح، لأن الخريطة الديموغرافية قد تغيرت بشكل أكيد، ومن أهم أسباب هذا التغيير منها:

1- ظهور عناصر اجتماعية جديدة وأهمها فئة المولدين، فقد أصبحوا يمثلون عنصرا فعالا في المجتمع، وذلك ما أدى إلى ظهور مجتمع جديد وهو ما يعرف بالمجتمع الأندلسي .

2- أن الكثير من المدن الأندلسية خلال فترة الدراسة سقطت في أيدي النصارى، عرفت هذه المدن إخلاء نستطيع القول أنه كان شبه كلي، والهجرة إما إلى مدن إسلامية قريبة منها، وإما الهجرة إلى المغرب وإما إلى المشرق، ربما نجد الفئة التي لها تأثير من بين الفئات المهاجرة، هي تلك التي اتجهت نحو المدن القريبة وهي الغالبة، وذلك أنها أحدثت حركة اجتماعية كان لها دور اقتصادي وفكري بالدرجة الأولى، فكل العلماء والفقهاء والفلاحين والحرفيين يجيدون لأنفسهم مكانا معينا في الوسط الجديد، بحيث لا يمكن أن يخفى أثرهم على الحياة الاقتصادية والفكرية.

3- ضرورة الوقوف في وجه الخطر النصراني وهذا يعمل بشكل غير مباشر تماما على تناسي الأنساب والافتخار بها، أي انتقال الشعور القومي من عصبية الجنس إلى عصبية المنشأ والأرض والمصلحة، وهنا نلاحظ زوال أهمية النسب على خلاف ما كان زمن الولاة والدولة الأموية، وربما الكثير من كان قد صنع لنفسه نسبا عربيا حتى يحصل على الشرف اللازم، لم يعد له الآن أهمية في ظل تغير الأوضاع والظروف خاصة السياسية.

ب- البربر:

لا يخفى على أي متتبع للأحداث خلال الفتح الإسلامي للأندلس أن كثيرا من أفراد الجيش الإسلامي كانوا من البربر، وبالتالي فإن العنصر كان له مركزه في البلاد المفتوحة خلال السنوات الأولى للفتح والاستقرار، لذلك لم تكن منطقة شرق الأندلس تخلو منهم، ورغم ما ذهب إليه بعض الباحثين وعلى رأسهم أبو الفضل ، في كتابه **"شرق الأندلس في العصر الإسلامي"** نقلا عن عبد العزيز سالم ، أن هذه المنطقة كانت أقل مناطق اسبانيا التي نزلها البربر ويقدم تعليلا سياسيا عنصريا مفاده: " **...أن سياسة الولاة العرب كانت تستهدف إنزالهم في المناطق الوعرة وإقصائهم عن المناطق الخصبة التي استأثرت بها القبائل العربية، وهذا يفسر ندرة أسماء القبائل**

البربرية في هذه المنطقة ما عدا قبيلة نفزة التي استقرت بشاطبة..."[1]، كان لزاما على صاحب القول أو على من سبقه في رأيه هذا، أن يقدم تعليلا علميا أو دليلا تاريخيا مقنعا، خاصة وأن الكاتب يشيد بسياسة التسامح التي انتهجها الفاتحون المسلمون مع المغلوبين خاصة الإسبان، والمعلوم أن المقصود بالفاتحين هم قادة الجيش وهؤلاء كانوا من العرب، لذلك وقع تضارب بين رأيين متقابلين هما:

* سياسة اقصاء البربر المسلمين.

* سياسة التسامح مع المغلوبين النصارى.

والسؤال هنا: – هل فعلا أن الفاتحين المسلمين كانت لهم ازدواجية المعاملة ؟

إذ كيف يتسامح هؤلاء العرب مع الاسبان النصارى ولا يتسامحون مع إخوانهم البربر الذين هم مسلمون أيضا، بل أكثر من ذلك كانوا أعوانا لهم في تحقيق النقلة على نحو تجاوز كل تقدير في الحسبان، والكاتب نفسه يقول بهذا نقلا عن مؤنس[2].

إن هذه الآراء المتقابلة لا تقوم على دليل منطقي أو منطق تاريخي يكشف حقيقة الواقع.

ولذا فالبربر كعنصر مسلم كان لهم وجود في كل المناطق التي لحقها الفتح الإسلامي، خاصة مثل ما ورد آنفا أن الكثير من هؤلاء كانوا ضمن الجيش الفاتح، فبعضهم نزل السهول والبعض نزل المناطق الجبلية بل قل أن طبيعة البربر كانت تحملهم على أن يفضلوا المناطق الجبلية القريبة من السهول، حيث يستغلون كِلا الموضعين في حياتهم البدوية في التنقل بينهما خلال فصول السنة، وهذا ما ذهب إليه محمد حقي نقلا عن صاحب الاستبصار قوله: "**وهو جبل فازاز جبل كبير تسكنه أمم كثيرة من البربر ويطردهم الثلج عنه فيتزلون إلى ريف البحر الغربي، وهم أهل كسب من الغنم والبقر والخيل**..."[3]، وليس لسبب إكراه العرب لهم لأنه ببساطة كما يقول

---

[1]– أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 233.

[2]– نفسه، ص: 234.

[3]– محمد حقي، البربر في الأندلس– دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية 92هـ– 422هـ/ 711م– 1031م، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 1422هـ/2001م، ص: 62.

السعيد الدغلي أن العرب كانوا أقل من البربر[1]، فحتى وإن قام مؤنس ببعض الإحصاءات البسيطة التي تدل على ارتفاع نسبة العرب تدريجيا، فإنه يؤكد على أن المناطق التي احتلها العرب والمناطق التي احتلها البربر كانت بها الكفتين متعادلتين[2]، بل ربما يكون الوجود البربري في المنطقة أكثر من العرب وهذا ما يؤكده غيشار حينما يتحدث عن المجتمع الأندلسي وتركيبته السكانية[3].

هناك بعض الدراسات الحديثة أثبتت فعلا أن البربر كان لهم استقرار في شرق الأندلس، فقد كانت بعض من زناتة في لقنت وفي حصن نوبة من أعمال وشقة، بل إن وجود البربر في بلنسية أدى إلى تسمية أحد أقاليمها بزناتة نسبة إلى القبيلة البربرية زناتة، والتي رجح البعض أنها استقرت في هذه المنطقة زمن المرابطين، وبالتالي فالتسمية مستحدثة في زمن الأخيرين[4]، ويثبت صاحب الملكيات الزراعية أن: " **هذه البطون كانت أغلبها تعمل في الجندية وأقطعت لهم الحصون والقرى والمدن...**"[5].

بل هناك من كانت لهم ملكيات زراعية مثل: بنو الخروبي وهم من زناتة وأصلهم من لقنت[6]، ومن هذه الأسرة من تولى خططا كثيرة لدى حكومة قرطبة، مثل محمد بن عبد الله الخروبي (ت214هـ/ 926م)، و تولى ابنه عبد الله السكة للخليفة الناصر(ت350هـ-961م)[7].

---

[1]- محمد السعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي ، دار أسامة، د م ط، 1404هـ-1984م، ط1، ص: 15.

[2]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 412.

[3]- بيير غيشار، التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين(من بداية القرن 08 إلى بداية القرن 13م) دراسة شاملة، (الجيوسي، الحضارة العربية ، ج2)، ص: 967 وما بعدها.

[4]- محمد حقي، البربر في الأندلس، ص: 76 وما بعدها. (انظر الملحق رقم 19).

[5]- أبو المعاطي، الملكيات الزراعية، ص: 649.

[6]- ابن حزم، الجمهرة، ص: 499.

[7]- نفسه، ص:652.

كما استقر النفزاويون في نواحي بلنسية وشاطبة وقد وقع تضارب بين المؤرخين حول نسب أسرة بني عميرة المشهورة، فمنهم من قال أنهم عرب ينتمون إلى بني مخزوم ومنهم من قال أنهم ينتمون إلى نفزة البربرية[1]، وبنو القاسم في البونت بل إنهم تولوا حكمها، واستقر في مصلاتة جماعات من بربر هوارة وإليهم تنسب عقبة الهواريين، كذلك من أقاليم بلنسية "إقليم مصمودة"[2]، وما زالت أسماء بربرية متداولة في مدينة بلنسية كما يقول أبو مصطفى، مما يوحي أن أغلب سكانها كانوا من البربر، كالشأن مثلا في elumusafes الواقعة قريبا من شقر ويبدو كما يقول الأخير نقلا عن آسين بلاثيوس أنه مشتق من لفظ مسوفة، وهي قبيلة بربرية استقرت بشرق الأندلس. هذا وقد نزل بنو رزين بالسهلة وإليهم تنسب بلدة albracin المشتقة من اسمهم[3]، حتى وإن لم يستقر البربر بشكل كبير في الحواضر والمدن، فقد كانوا ينتشرون في البوادي والمناطق الزراعية ويعملون في الفلاحة، سواء كانت ملكياتهم الخاصة أو أراضي الكثير من العرب الذين كانوا يستخدمون عمالا في أراضيهم والكثير منهم كانوا بربرا، وبقيت هذه حالهم خلال عصر المرابطين، فلا يمكن إغفال أن المرابطين الذين قدموا المنطقة وحتى الموحدين فيما بعد، كانوا بربرا بالأساس يمثلون الأغلبية الساحقة من أفراد الجيش، وهذا ما يؤكده القادري بوتشيش بقوله: **"وحسبنا أنهم تعاطوا فلاحة الأرض في البوادي، أو احترفوا الجندية والأعمال المهنية في المدن"**[4].

---

[1]- يرجع ابن حزم نسب بنو عميرة إلى ألهاصة وهي من نفزة، لكن هناك تضارب صريح في نسب هذه الأسرة المشهورة، وذلك بإضافة الكثير من المؤرخين النسبة **"المخزومي"** إلى هذه الأسرة باعتبارها من الأسر العربية العريقة والتي تنتمي إلى بني مخزوم (أنظر: ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 173، المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 315، ابن سعيد المغربي، المغرب، ج2، ص: 363، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص: 499). وينفرد ابن عبد الملك بروايته التي تنفي مخزومية أبو المطرف بن عميرة، وقال أنه ليس بمخزومي لأن جده أو أباه كان لقيطا لرجل من آل عميرة الشقريين، الذين قال عنهم أنهم يهود، إلا أنه يضيف في الأخير لفظة **"الله أعلم"** ما يدل على عدم تثبته في ما يرمي إليه، وبالتالي من خلال روايته هذه فإنه يوحي من جهة أخرى أن الرجل لم يكن عربيا مثل ما ذهب إليه أغلب المؤرخين ولا بربريا مثل ما ذهب إليه ابن حزم. وعليه ليس هناك خبر قطعي الدلالة في إثبات أي الروايات أقرب إلى الحقيقة.(ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج1، ص: 151).

[2]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 20، 21. أيضا: محمد حقي، البربر في الأندلس، ص: 76.

[3]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 236، 237.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 34. أيضا: أبو مصطفى، نفسه، ص: 236.

لم ينقطع البربر عن الأندلس إلى غاية سقوطها، وبالتالي فإن هذه الفئة حتما بلغها ذلك التغير الاجتماعي عبر مراحل الزمن المتتابعة، وتشير الدراسات الحديثة أن البربر عرفوا هجرات عديدة لبلاد الأندلس[1]، كان فيها التمازج بين أفرادها ظاهرا لا يمكن إخفاؤه، يمكن حصرها في أربع ، أحصتها دندش في ثلاث وأضاف إليها بوتشيش واحدة نقلا عن ابن عذارى وهي:

الأولى: المجموعة التي دخلت الأندلس مع الفتح الإسلامي وانصهرت مع باقي الشرائح الاجتماعية، فحملة طارق بن زياد خلال دخوله الأندلس كان معه حوالي 12 ألف من البربر[2]، وهذا العدد ليس بالهيّن على الاطلاق إن كان هذا الاحصاء صحيحا، لأن ابن عبد الحكم(ت257هـ-871م) ينكر ذلك ولا يعتد به[3].

الثانية: وهي تلك المجموعة التي جلبها المنصور بن أبي عامر للخدمة في الجيش.

الثالثة: وتمثلت في صنهاجة اللثام الذين تم استدعاؤهم لردع الخطر النصراني، فأنزلوا قبائلهم في المدن والثغور، وقاموا بأعمال التجارة والزراعة والصناعة[4].

الرابعة: تألفت من بربر العدوة الذين تدفقوا على الأندلس خلال عصر المرابطين في ظروف غامضة، وقد جاءت هذه الأخيرة عبر مرحلتين متباعدتين. حدثت أولاها سنة 515هـ/1121م، والدليل الذي أتى به بوتشيش هو أن أهل قرطبة استفتوا القاضي ابن رشد حول "برابر العدوة" القادمين عليهم في السنة المذكورة.

---

[1]- محمد حقي، البربر في الأندلس، ص: 59 وما بعدها.

[2]- الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ-1994م، ط1، ص: 53.

[3]- فتوح مصر والمغرب، ج1، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دتا، ص: 276.

[4]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين، ص: 260، 261. أيضا: إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 35.

والثانية كانت سنة 535هـ/1150م، وتميزت بكثافة عدد المهاجرين، فقد وصفهم ابن عذارى(كان حيا سنة 712هـ) بالانجلاء العظيم[1]، وسبب هذه الهجرة يعود إلى انعدام الأمن والمجاعة التي حلت بالمنطقة خلال هذه السنوات، فقد اشتدت الفتنة بين المرابطين والموحدين والخارجين عليهم[2].

وعليه فإن البربر خلال عهد المرابطين قد ازداد عددهم بسبب هجراتهم المستمرة، واستقرارهم هناك، فمنهم من سكن البادية واشتغل بالزراعة وتربية الحيوانات ومنهم من سكن المدن واشتغل بالتجارة ومختلف الحرف[3].هذا على عموم الذكر، وليس بعيدا أن منطقة شرق الأندلس التي لها من الأهمية بمكان، في خضم الأحداث الراهنة لفترة الدراسة، فقد كانت مجالا مفتوحا أمام كل التأثيرات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي تحدث في الأندلس كلها، والدليل على ذلك هو اهتمام كل من المرابطين ومن بعدهم الموحدين والعناية بها.

ج- المولدون والمسالمة:

وهاتين الفئتين لم يكن لهما وجود سابق ولم تعرف التروح نحو الجزيرة كالعرب والبربر، وإنما وجدت بتلاقي الفئات المهاجرة بالسكان المحليين، وبعد الاختلاط سواء عن طريق الزواج أو غيرها من العلاقات الاجتماعية الأخرى كانوا هم نتاج ذلك، فالمسالمة هم السكان الأصليون وقد أطلق عليهم في البداية عجم الذمة أو أهل الذمة لكن من أسلم منهم فهم المسالمة ومفرده مسالم أو أسالمة ومفردها أسلمي[4]، أما المولدون فآباؤهم مسلمون وأمهاتهم اسبانيات بغض النظر عن أصولهن فمنهم الروم والجلالقة والقشتاليين والأرغونيين[5]، سواءً كنّ مسيحيات أو مسالمة، إذ نشأ أبناؤهم على الإسلام، حتى أصبحوا يمثلون فئة سكانية كبيرة، فمنهم من سكن البادية ومارس تربية الحيوانات والزراعة، ومنهم من سكن المدن واحترف الدباغة والحياكة والحدادة ومختلف المهن

[1]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج4، ص: 98.

[2]- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 35.

[3]- نفسه.

[4]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 460.

[5]- القادري بوتشيش، نفسه، ص: 43. أيضا: محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس، ص: 16.

الحرة[1]، إلا أن هذه الفئة تلاشت نوعا ما مثل باقي الفئات الأخرى منذ القرن الثالث هجري، لأنه ببساطة ظهر ما يعرف بالمجتمع الأندلسي كما ورد سابقا[2].

د- المستعربون (النصارى المعاهدون) Mozarabes:

وهذه الفئة من السكان المحليين الذين بقوا على ديانتهم النصرانية في ظل الحكم الإسلامي، وقد عُرفوا بـــ "عجم الأندلس أو أهل الذمة"، وأطلق عليهم اسم المعاهدة أو المعاهدون، وقد عاشوا مع المسلمين فتأثروا بهم، يتكلمون لغتهم ويصطنعون ثقافتهم مع احتفاظهم بدينهم وحرية إقامة شعائرهم وطقوسهم التي كانت تعرف بـــ El Rito Mozarabe، حيث كان لهم رجال دين خاصون بهم يقيمون صلواتهم، وبالتالي "كانوا مستعربين ثقافة ولسانا وأسلوب حياة"[3]، وهذا بطبيعة الحال راجع إلى سياسة التسامح التي انتهجتها السلطة السياسية في الأندلس كلها، وقد كان تعدادهم في البداية هو الغالب على السكان إلا أنهم تناقصوا تدريجيا نظرا لانتشار الإسلام بين أوساطهم من جهة وهجرة الكثير منهم نحو الشمال من جهة ثانية، وهذا ما يبينه غيتشار في قوله: **" وتبقى المشكلة الأساسية المطروحة في تاريخ الطائفة من الستعربين هي معدل النقص في حجمها الناتج عن اعتناق الإسلام والهجرة نحو شمال شبه الجزيرة..."**[4]، وذلك منذ القرن التاسع الميلادي، ويبدو أن الكاتب متأسف جدا لهذا النقص في تعداد المستعربين بسبب الإسلام والهجرة، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنهم أصبحوا فئة قليلة جدا، لأن الأحداث التالية لهذا القرن تبين خاصة في فترة الدراسة، أنهم وجدوا في بلنسية لما وقعت في يد السيد القنبيطور، ضف إلى ذلك أنهم كانوا سببا في غزوة ملك أرغون ألفونسو المحارب Alphonso Batallador سنة 519هـــ-520هـــ/1125- 1126م على منطقة شرق الأندلس، ويظهر ذلك من خلال تلك الفتوى التي تقدم بها الفقيه ابن رشد للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين(ت537هـــ-1142م) من أجل

[1]- يحي أبو المعاطي محمد عباسي، الملكيات الزراعية، ص: 654.

[2]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 461.

[3]- نفسه. أيضا: أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 236. العامري، دراسات حضارية، ص: 54. حسن الوراكلي، ياقوتة الأندلس دراسات في التراث الأندلسي، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1994م، ص: 132.

[4]- بيير غيشار، التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة، ترجمة مصطفى الرقي، (الجيوسي، الحضارة العربية)، ج2، ص: 971.

تغريبهم نحو بلاد المغرب وغيرها من البلاد[1]، وربما يظهر أمر هؤلاء بوضوح لما تقع منطقة الدراسة تحت سلطة ابن مردنيش، هذا الأخير الذي كان جل اعتماده على النصارى، وليس مستبعدا جدا أن يكونوا من نصارى تلك المناطق بنسبة كبيرة.

وعليه فإن هذه الطائفة بغض النظر عن قلتها أو كثرتها، يبدو أنها كانت تمارس نشاطات مختلفة خاصة الملاحة والتجارة في مدن ساحل شرق الأندلس مثل المرية ودانية وطرطوشة، وقد كانت لها علاقات في هذا المجال مع القطلانيين والايطاليين والغاليين[2]، نظرا لسهولة التواصل فيما بينهم، كيف لا ولهم نفس اللغة والدين والمعتقد، فقد وجدوا في ابن مردنيش الظرف المناسب أن حولوا مدينة المرية مثلا باعتبارها مدينة تجارية ساحلية إلى مدينة نصرانية الاقتصاد، خاصة وأنها وقعت في أيديهم سنة 542هـ-1147م، فقد ذكرنا آنفا أنهم مارسوا النشاط التجاري قرب البحر لعلاقاتهم مع نصارى قطلونية وايطالية.

أما بالنسبة للمصطلح في حد ذاته أنه لم يكن مستعملا عند عرب الأندلس بشكل رسمي، وإنما كان قولهم "العجم" أو "النصارى" أو نصارى الذمة تفريقا لهم عن المسالمة والمولدين، فهو لم يظهر في النصوص والكتابات الرسمية إلا في زمن متأخر ابتداء من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في كتابات نصارى الأندلس، فقد كان الملوك النصارى يميزون رعاياهم من القشتاليين عن نصارى الأندلس الإسلامي الذين دخلوا في طاعتهم[3].

هـ- اليهود:

ويعود وجود اليهود في منطقة الدراسة إلى زمن بعيد، فالكتابات التاريخية المختلفة سواءً العربية أو الاسبانية، تبين أنهم كانوا فئة معروفة للعيان، لها معتقداتها الخاصة وتقاليدها كما لها نشاطاتها خاصة التجارية منها، فلها اليد الطولى في هذا المجال، وقد لاقت في ظل الحكم القوطي أنواع

---

[1]- لسان الدين ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج1، تحقيق عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1393هـ-1973م، ط2، ص: 109 وما بعدها. أيضا: بيير غيشار، التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة، الجيوسي، (الحضارة العربية ، ج2)، ص: 972.

[2]- شرق الأندلس، ص: 236.

[3]- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 461 وما بعدها.

التهميش والاحتقار، ولم يرفع عنها إلا في ظل الحكم الإسلامي، فسماحة هذا الدين خاصة تحت الحكم العربي خلصتهم من كوابيس الظلم والاضطهاد، وأبقت على حياتهم بل على نشاطاتهم الاقتصادية بل على دينهم ومعتقداتهم[1]، وقد بلغوا شأوا بعيدا ومكانة محترمة بين أوساط المجتمع من خلال نشاطاتهم خاصة التجارية منها، حيث وجدوا الأمان وروح التسامح والمعاملة الطيبة من طرف السلطة الحاكمة وعلى وجه الخصوص في عهد المرابطين[2]، وهذا دائما ما داموا محافظين على هدوئهم والتزامهم، أمّا إذا ما بدلوا فطبيعة المجتمع تعيدهم إلى المستوى الأدنى الذي يجب بقاؤهم فيه، وهذا ما وقع لهم مثلا عندما تفاقم الموقف وازدادت جرائمهم بعد سقوط الخلافة، بل إن مدينة بلنسية لما سقطت في أيدي النصارى سنة 487هـ/1094م، فإنهم قد وضعوا على رأس إدارتها رجلا من اليهود أطلق يده في التنكيل بالمسلمين وأذاقهم أنواع العذاب، وهذا ما بيّنه ابن عذارى(كان حيا سنة 712هـ) في قوله: "**وبلغ اليهودي-لعنه الله- من المسلمين مبلغ الغاية من العذاب وسلط اليهود على المسلمين، فبلغوا النهاية في النكال والنكاية، ومنهم الأمناء الموكلون، والمتصرفون، وأصحاب الرسوم، وخدام البر والبحر، وجلس اليهودي للقبض بصاحب المدينة من الضرب بالعصا والسوط، وقيض لكل منهم شيطانا يخرج معه كل عدو، فإن جاء بالشيء وإلا أخذ بالسوط والعذاب، وتمادت هذه المحنة مدة...**"[3]، ونظرا للمساعدة التي قدمها اليهود للمسيحيين في حربهم ضد المسلمين، وهذا ما يسميه أمريكو كاسترو بـــ"**فن استخدام اليهود**"، وذلك أن هذه الطائفة استخدمها العرب خلال دخولهم الأندلس، لما كانت القوة في أيديهم، أما فترة الدراسة وقد انقلب الوضع وأصبحت المبادرة في اسبانيا بيد المسيحيين فها هم الآن يستخدمون اليهود في أغراضهم على اختلافها، وفي هذا الصدد يقول أمريكو

---

[1]- علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، العددان 7 و 8، السنة17، 1999، ص: 161. أيضا: -David j.Wasserstein ; çomo salvo el Islam a los judios ? How islam Saved the jews, trad ;Tawfiq Ibrahim, Hesperia Culturas del Mediterraneo, N 19, Ano x-2015,p :225.

[2]- محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الاسلامي، الحلقة الثانية، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص: 37، 54 وما بعدها.أيضا: المؤلف نفسه ، دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي(الثقافة الاسلامية وروح التسامح)، ص: 11 وما بعدها.(حول موضوع أهل الذمة خلال عصر المرابطين. انظر: للمؤلف نفسه أيضا: الحياة الفكرية في عصر المرابطين، ج2، ص: 825 وما بعدها).

[3]- ابن عذارى، البيان، ج4، ص: 41.

كاسترو: "**أن العرب كانوا أساتذةً في فن استخدام اليهود كأطباء وعلماء ومصرفيين وموظفين عموميين ودبلوماسيين وقائمين على أمر أملاك الدولة والنبلاء**"[1]، ولذلك فإنهم قد تبوأوا مناصب مرموقة في الدولة، إذْ كان منهم الأمناء الموكلون والمتصرفون وأصحاب الرسوم وغيرها من المناصب، وهذا ديدنهم عبر التاريخ وفي كل مكان، وما يؤكد هذا أكثر ما نقله الدكتور علي أحمد عن برتراند قوله عن اليهود: "**إن موقف اليهود عبر القرون لم يتبدل، إنهم حلفاء الافريقيين ضد الاسبان وحلفاء الاسلام ضد المسيحيين، وحلفاء المسيحيين ضد المسلمين عندما تبدل نجمهم، إنهم يفرقون بين أعدائهم ليسيطروا عليهم**"[2].

وعليه ففي عصر المرابطين خاصة عهد علي بن يوسف"500هـ-537هـ/1106م- 1142م"، وبحكم اِلتزامه بتعاليم الشريعة الاسلامية، فإنه تعامل معهم حسب ما تقتضيه معاملة أهل الذمة من تسامح وتوفير الحماية لهم باعتبارهم من رعايا الدولة، حتى أطلق عليه بأنه "أحد حماة اليهود"[3]، ولما بدت منهم بعض التصرفات التي توحي بتحررهم أكثر حتى أنك لا تفرق بينهم وبين باقي المسلمين، اضطر الحكام سواء المرابطون أوالموحدون على السواء إلى وضع تعليمات لليهود تحدد تواجدهم، كما ألزموهم على ارتداء أزياء ذات ألوان تميزهم عن غيرهم، ومنعوهم من ركوب الخيل في الطرقات والاختلاط بالمسلمين[4]، وقد أكد ابن عذارى(كان حيا سنة 712هـ) هذا لما تحدّث عن المنصور الموحدي حيث قال: "**ومن فضائله المشهورة في الوجود ما أمر به من شكلة اليهود وذلك أنهم كانوا قد علوا على زي المسلمين وتشبهوا في ملابسهم بعليتهم وشاركوا الناس في الظاهر من أحوالهم فلا يميزون من عباد الله المؤمنين، فجعل لهم صفة كحداد ثكلى المسلمين...برانيس زرق وقلانس زرق في سنة خمس وتسعين..**"[5].

---

[1]- أميركو كاسترو، اسبانيا في تاريخها- المسيحيون والمسلمون واليهود، ص: 541.

[2]- علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، ص: 177.

[3]- محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الاسلامي، ص: 21.

[4]- العامري، دراسات حضارية، ص: 123، 124.

[5]- ابن عذارى، البيان المغرب – قسم الموحدين- تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1985، ط1، ص: 228، 229.

ثانيا– التمايز الاجتماعي:

يبدو من خلال قراءات الباحث القادري بوتشيش لمختلف الكتابات التاريخية التي تتناول المجتمع الأندلسي، بروز ظاهرة انقسام المجتمع إلى طبقات متفاوتة من حيث المكانة المعنوية والمادية، نظرا لاختلاف معاش الناس وطرق كسبهم وامتلاكهم لوسائل العيش المختلفة، وأهم تلك الطبقات التي برزت بوضوح كانت الطبقة الخاصة وهم الأغنياء على اختلاف ضروبهم والطبقة الوسطى وتمثل غالبية المجتمع إلى جانب الطبقة الدنيا أو العامة متمثلة في باقي الشرائح من محدودي الدخل والفقراء ومن على شاكلتهم[1]، وهذا ما يوحي لنا أن هناك تفاوت عمودي رأسي وسط المجتمع بصفة عامة، يمكن اجماله فيما يلي:

أ– الطبقة الخاصة:

وتشمل هذه الفئة عِلية القوم من أمراء ووزراء وقادة الجند وكل من يشغل مرتبة في جهاز التسيير الاداري في كل مدن منطقة الدراسة، سواء في عصر المرابطين أو الموحدين، فالمنصب الذي يشغله بالضرورة يكون سببا في غنى صاحبه، خاصة إذا علمنا أن هؤلاء كانت لهم اقطاعاتهم ومزارعهم وتجاراتهم التي تدر عليهم أرباحا طائلة خلال السنة، **"لأن الاشتغال في وظائف الدولة غالبا ما يكون سببا وراء ارتقاء الأشخاص في السلم الاجتماعي"**[2]، دون الاغفال في هذا المقام خاصة زمن المرابطين عن فئة الفقهاء والقضاة الذين تبوؤوا المكانة العليا في جهاز الدولة، فقد كانوا محط استشارة الأمير المرابطي بل لا يمكن له اصدار أي حكم إلا بعد إذن منهم، لقد **"كانوا لهم سندا في شرعية حكمهم، وفق مصالح متبادلة"**[3]، فمحبة يوسف بن تاشفين للفقهاء جعلته **"يجري عليهم أرزاقهم من بيت المال طول حياته"**[4]، حتى بلغ الكثير منهم مبلغا عظيما من الغنى

[1]– القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 118 ومابعدها.

[2]– نفسه، ص: 121.

[3]– عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة (سياسيا واجتماعيا وثقافيا)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 1432هـ/2011م، ط1، ص: 97.

[4]– ابن الكردبوس، روض القرطاس، ص: 137.

الواسع، فهذا الفقيه محمد بن العاصي الأسدي الذي كان من أعيان مدينة مربيطر Murviedro، تذكر النوازل أنه اِلتزم بعد تأدية فريضة الحج على "**تثمير عقاره، والنظر فيه بما ينمي غلته، وانتشر عنه في بلده الذكر سعة الحال ووفور ناض(أي الأموال النقدية)**"[1]، وهذا ما استغله بعض الوصوليون من أهل العلم تزلّفا للخليفة وتملّقا لكسب الأملاك والرّتب السّنية، إذ "**لم يكونوا إلا نفرا من الطامعين في السلطان والأموال والغنائم**"[2]، وهذا ما كشفت عنه الأيام الأخيرة من حكم المرابطين، فإن هذه الفئة لم تحافظ بل لم تدافع عن أولياء نعمتها حينما أحاط بها سوء المنقلب، بل ثاروا عليهم واستطاعوا الاستقلال بجهات معينة من البلاد خاصة في شرق الأندلس، حتى أطلق على ثورتهم بـــ"**ثورة الفقهاء**"، ربما المتتبع للأحداث يكتشف أن هناك فئتين من الفقهاء والقضاة، فئة كانت على الحق لا تأخذها في الله لومة لائم وهي قليلة جدا، وليست لها أهداف مادية دنيوية "**بل زهدوا في الدنيا ورفضوا تولي مناصب القضاء وتعيشوا بحرف متواضعة**"[3]، وفئة كانت أهدافها واضحة من التقرّب إلى السّلطان، لذلك لم تتوانى عن استغلال الوضع لصالحها أيام الفتنة على السلطة المرابطية، ضف إلى هذه الفئة مجموعة التجار الكبار وأصحاب الأموال، فقد كانت حياتهم قائمة على كل ما لذّ وطاب من أنواع الترف المادي، فهذا ابن بسام يصف دار أحد التجار قائلا: "**أنه رأى في فرش مجلسه مطارح من صلب الفنك الرفيع، مطرزة كما تدور بسقلاطوني بغدادي، وأنه كان يقابل ذلك المجلس شكل ناعورة مصوغة من خالص اللجين من أغرب صنعة يحركها ماء جدول يخترق الدار أبدع حركة إلى أشياء تطابق هذا السرو: من جودة الآلة والآنية والمائدة وجمال الخدم ورقة الأسمعة**"[4].

---

[1]- أبو مصطفى (نقلا عن ابن رشد)، دراسات في التاريخ والحضارة، ص: 12، 13.

[2]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين، ص: 35.

[3]- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 150.

[4]- عمر إبراهيم توفيق(نقلا عن ابن بسام)، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجرة، ص: 101.

بالإضافة إلى هؤلاء هناك شعراء وأطباء السلطة بلغوا ما بلغه كل من له علاقة بالأمراء أو الولاة أو حتى وجهاء القوم من أصحاب النفوذ والجاه، إلا أن الكثير منهم لم تدم حالته على ما كانت عليه إذ سرعان ما تتغير الأحوال السياسية حتى يحدث انقلابا يرفع أقواما ويحط آخرين[1].

ب- الطبقة الوسطى:

ويمثلون نسبة كبرى من السكان وهي تتوسط مختلف الفئات الأخرى، تبعا لأحوالهم المعاشية وتكون في الغالب مرتبطة بالفئة الغنية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وتشمل الكثير من أصناف المجتمع، كالحرفيين وصغار التجار والفلاحين والمزارعين الأجراء في المزارع ومختلف الموظفين وأهل العلم والطلبة الذين لم يبلغوا مراتب في الدولة[2]، وهذه الطبقة قال عنها ابن الخطيب أنها **"صنف من الناس لا يتشوف إلى المزيد ولا يحذر من النقصان"**[3]، إلا أنها كانت لهم آمال في تحسين أوضاعهم الاجتماعية، مستغلين أحيانا النسب الشريف وأخرى المترلة العلمية والخلقية سببا في الارتقاء، وحسبنا قاضي مدينة شاطبة الذي **"نهض به علمه حتى صيّره عَلَما وأبرزه في بلده حَكَما"**[4]، بل هو في حدّ ذاته يقرّ برفعة شأنه بعد ذلّ، والتي كان سببها الأمير المرابطي إبراهيم بن يوسف بن تاشفين الذي قال فيه:

أيا ملكًا أولاني العــــزّ والغنى وصيّرني بعد الخمول مكرّما

وأبصرني في الأرض ملقًى مذلَّلاً فرفّعني بالعزّ والجاه للسّــما[5]

كما يندرج ضمن هذه الطبقة أيضا الصيارفة والسماسرة وأكثرهم كانوا من اليهود بسبب خبرتهم الطويلة في التصرفات المالية، فقد كانوا أكثر الشرائح الاجتماعية تعاطيا لهذه المهنة[1]، وأما الفقهاء

---

[1]- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 157.

[2]- عمر إبراهيم توفيق، نفسه، ص: 105.

[3]- القادري بوتشيش (نقلا عن ابن الخطيب)، نفسه، ص: 159.

[4]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 387، ت: 591.

[5]- نفسه.

الذين لم تكن تربطهم بالسلطة أية علاقة، أو قُل أولئك الذين لم يتّخذوا مناصبهم ومكانتهم العلمية مطية للأغراض الدنيوية ما عاشوا إلا ضمن الطبقة الوسطى للمجتمع.

ج- الطبقة العامة:

ويندرج ضمن هذه الطبقة كل أصناف المجتمع ما عدا الذين يُعَدُّون في الطبقتين السابقتين، وتشمل محدودي الدّخل وبعض الحرفيين كالنجّارين والحدّادين والخيّاطين وغيرهم، كما يعتبر المستخدمون والأجراء كالحمّالين والسقّائين والمزارعين والرّعاة، بل حتى المدرّسون والطلبة وأئمّة المساجد وبعض الشّعراء، ضمن هذه الطبقة، لأن الذي ميّزهم عن غيرهم وجعلهم فيه شركاء هو مستوى عيشهم المنحط والفقر الملازم لهم خاصة أيام الفتن، دون أن ننسى أولئك المهمّشون كاليتامى والمتسوّلون والعاطلون واللّصوص والمرضى والسّحرة والمهرّجون...[2].

ثانيا- مظاهر الحياة الاجتماعية:

أ- الزي واللباس:

تعتبر الأزياء والألبسة مظهر يعكس المستوى الحضاري لكل الأمم والمجتمعات على اختلافها عرقيا أو دينيا أو جغرافيا، حيث تكشف مستوى التقدم أو التخلف من خلال التعرف على النمط المعيشي أو المستوى الاقتصادي، ولذلك كثيرا ما انصب اهتمام الباحثين على هذا المجال الذي هو ملازم لحياة الفرد اليومية إذ لا يمكنه الاستغناء عنه، فهو ستر أولا وزينة وجمال ثانيا، ولهذا فالمجتمع الأندلسي خاصة موقع الدراسة – شرق الأندلس – ما فتئ ينشئ صناعة نسيجية على اختلاف أنواعها حتى تفنّن سكانه في أناقة هذه الصناعة وزينتها، وقد خضعت أنواع اللّباس والزّي بالدّرجة الأولى إلى العوامل المناخية والبيئية، فحرارة الصيف وبرودة الشتاء لهما أثر كبير في تنوع الثياب الصيفية عن الشتوية هذا من جهة، ومن أخرى كان للظروف الاجتماعية دور في ذلك الاختلاف والتباين، كل حسب المترلة الاجتماعية ونمط المعيشة، وهذا ما نلمسه بين

---

[1]- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص: 202.

[2]- القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 169 وما بعدها.

ألبسة الخاصة من رجال الدولة والأغنياء الذين تميزوا بالفخامة والأبهة من حيث مادة الصنع أو الزخرفة، في حين نجد الفئات العامة غلب عليها مظهر البساطة[1].

1- ألبسة الخاصة:

عرف المرابطون بزيّهم المميّز وهو اللّثام ولذلك سُمّيو بالملثّمين، وقد أصبح هؤلاء يمثلون الطبقة صاحبة السيادة، فقد كانوا يتولّون المناصب الكبرى كحكام الولايات وقادة الفرق العسكرية، وكانت هذه المناصب وقفا على أفراد البيت الحاكم كي يضمن الأمير ولاء الولايات، خاصة في الأندلس لا سيما في منطقة الشرق، ونظرا لعلو مكانتهم في المجتمع ورفعة شأنهم صار لثامهم زيا ذا مسحة الإجلال والإكبار وكل من تزيّا به لقي التيسير والتسهيل في أموره بين أوساط المجتمع، ولذلك فقد استغل بعض الانتهازيين وأصحاب الفجور هذا الوضع في إتيان فجورهم بسبب ذلك اللّثام الذي يمنح الحصانة لصاحبه. وفي هذا الصدد يقول ابن عبدون: "**يجب أن لا يلثّم إلا صنهاجي أو لمتوني أو لمطي، فإن الحشم والعبيد من لا يجب أن يلثمون على الناس ويهيبونهم ويأتون أبوابا من الفجور كثيرة بسبب اللثام...**"[2]، أما عبيد المرابطين وإن تلثّموا يشترط ابن عبدون أن تكون لهم علامة يعرفون بها، حيث يقول: "**عبيد المرابطين إن تلثّموا فتكون علامة يعرفون بها مثل أن يتلثموا بخمار أو مئزر وشبه ذلك، وكذلك الحشم والأتباع يكون شكلهم غير شكل المرابطين وهذا أحسن إن قدر عليه وفيه منافع كثيرة...**"[3]، وهذا ما يؤكد على تلك المكانة التي كان يتمتع بها أصحاب السيادة من نفوذ وسلطة، ما جعل العبيد والأتباع يتشبهون بهم ويلبسون زيهم[4].

---

[1]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 237.

[2]- ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص: 26.

[3]- نفسه.

[4]- عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص: 325، 326. أيضا: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لنان، 2000، ط1، ص: 433، 434. خالد السيوطي، الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص: 52.

ولعل هذا الوضع كان أيّام يوسف بن تاشفين لأن الأحوال تتغير في عهد خلفه علي بن يوسف الذي تربى تربية أندلسية، وهنا يمس التأثير الحضاري الأندلسي النمط المعيشي المرابطي، خاصة الفئة الحاكمة التي بهرتها مظاهر الأبهة فأخذوا بها واستغرقوا فيها، ولعل تدفّق المنتجات المشرقية أو حركة الصادر والوارد التي كان شرق الأندلس المحطة المفتوحة على مختلف بقاع العالم الإسلامي والمسيحي على السواء، هذا من جهة وحب التأنق في الأردية والأزياء من جهة أخرى، من بواعث إقبال سكان المنطقة على تطوير ملابسهم وأزيائهم، وقد ساعد على ذلك توفر الحرير الطبيعي والديباج واشتغال الكثير من المدن بهذه الصناعة مثل المرية[1]، التي تنتج الكثير من الأزياء الفاخرة الغالية الثمن ولا يقتنيها إلا خاصة المجتمع من سادة وقادة وأغنياء خاصة في عصر المرابطين، يقول الإدريسي(ت560هـ-1165م) في هذا الشأن: " **ومدينة المرية كانت في أيام الملثّم مدينة الإسلام، وكان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز يعمل لها الحلل والديباج والسقلاطون والاصبهاني والجرجاني، والستور المكللة، والثياب المعينة، والخُمر والعتّابي، والمعاجر وصنوف أنواع الحرير**"[2].

2- ألبسة العامة:

يختلف عامة المجتمع فيما بينهم كل حسب قدرته المادية، ورغم ذلك فإنهم متأثرون حتما بالظروف البيئية، ففي فصل الصيف يرتدون أقمصة كتانية تليها في ذلك سراويل طويلة وضيقة لا تتجاوز الركبة، وتُحكم هذه الأخيرة بشريط أو حزام ويمكن استبداله برداء فضفاض من النسيج الأبيض، حيث يتساوى الرجال والنساء في ذلك، إلا أن الرجال يرتدون أيضا صدرية من الشرب وهي نسيج رقيق، بينما النسّاء يلبسن أقبية ثقيلة محشوة بالقطن أو حللا من أفرية الخراف أو الأرانب، كما يتخذن أقبية من الخشب أو من القنب أو الحلفاء مزودة بمشبك[3].

---

[1]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 239 وما بعدها.

[2]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 289.

[3]- أبو الفضل، نفسه، ص: 237.

أما في فصل الشتاء فقد كانت تتخذ الجوارب الصوفية الطويلة لكسوة الساق حتى أعلى الركبتين، ثم ينتعلون نعالا من الجلد مبطنة باللباد، أما ما يميّز الرجال عن النساء أكثر فهي أغطية الرأس، رغم أن الغالب على أهل شرق الأندلس ونخص بالذكر الرجال أنهم كانوا حاسري الرؤوس، قال عنهم المقري(ت1041هـ/1631م): **"وأما زي أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لا سيّما في شرق الأندلس فقد تسامحوا بشرقها في ذلك، ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان وإليه الإشارة، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس وشيبه قد غلب على سواد شعره، وأما الأجناد وسائر الناس فقليل من ترك بعمة في شرق منها أو في غرب، وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأيته في جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة.."**[1].

أما غطاء الرأس عند النساء، فقد كنّ يضعن على رؤوسهن قبل كل شيء لفاف تدور حول الرأس تثبت بها طرحة فضفاضة تسمى المقنعة تتدلى على الوجه فتغطيه، وأحيانا كنّ يضعن على رؤوسهن طرحا تحجب العينين وتنسدل على الكتفين[2].

ب-الأطعمة والأشربة:

لعبت ظروف وبيئة منطقة شرق الأندلس بالإضافة إلى المستوى الاقتصادي دور كبير في اختلاف الأطعمة والأشربة وتنوعها زمن المرابطين والموحدين[3]، حيث يعتبر فن الطبخ من مظاهر الحياة الاجتماعية التي تعكس مستوى التقدم الاقتصادي والاجتماعي بما في ذلك الجانب الفكري، من خلال اهتمام الكثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة والأطباء المعاصرين لفترة الدراسة، وتدوين كل ما تعلق بالأكل والشرب أو الحياة اليومية للفرد، وذلك في مؤلفات منفردة بهذا الفن أخرجت لنا تصانيف المأكولات والمشروبات والعصير والحلويات، إما لغاية التعرف عليها من الناحية الفنية للحياة اليومية، أو من أجل معرفة مكوناتها الغذائية وتراكيبها الكيميائية، وتميُّزها عن

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 222. (نقلا عن ابن سعيد).

[2]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 238.

[3]- العامري، دراسات حضارية، ص: 271.

بعضها البعض من حيث الأهمية الغذائية وفوائدها الصحية، وهذا ما يكشف أكثر عن تأثر المنطقة بما يحيط بها من فنون[1].

ومن بين أشهر المؤلفات في هذا المجال نجد كتاب الطبيخ وصاحبه عاصر زمن الموحدين، حيث يصف كل أنواع الأطعمة والأشربة المشهورة والمتداولة في تلك الفترة وكيفية طبخها وفائدتها العلمية التي تنعكس على صحة الإنسان، ولا يقصد بذلك تميُّز جهة محددة عن غيرها من بقاع الأندلس والمغرب ولذلك فحديثنا عنه إنما هي محاولة منا تقريب القارئ للحالة الاجتماعية السائدة في هذا الباب، وهو ما ينمّ عن الخبرة والاهتمام الكبيرين لمؤلّفه العارف بتفاصيل هذا الفن كلياته وجزئياته، فأطباق اللحم المدقوق مثلا والمتنوعة بين المركاس والبنادق والأحرش واللحم المطهي كل له طريقته في تحضيره وإعداده[2]، بالإضافة إلى أطباق التفايا والمجبنات والجنبيصة وأطباق الخضر المختلفة كالباذنجان والبيض المحشو والسكباج، وكذا أطباق الحيتان والأسماك[3].

وتختلف الأطعمة وطريقة إعدادها حسب المناطق الجغرافية، فالساحلية منها والنهرية فإن اهتمام أهلها الأول كانت أطباق الأسماك المختلفة التي يضاف إليها الخل والثوم، أما البيض فهناك المقلو والمطبوخ في الفرن والبيض بالعسل، أما أهل الريف فقد تميز طعامهم بالبساطة وذلك بالاعتماد على ما تدره مزروعاتهم، مثل الأجبان بأنواعها وثرائد اللحوم، كما كانوا يعدون المُربّات كمُربّة الأترج والجزر والورد والجوز والقرع والكمثرى، ومن الأشربة أيضا شراب الأترج والورد والتفاح والرمان والسفرجل وحب الآس... وغيرها[4].

أما المصنف الثاني في هذا المجال والذي اختصت به منطقة شرق الأندلس فهو: **"فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان"** لصاحبه ابن رزين التجيبي(ق7هـ/13م) وهو من مدينة مرسية، فقد امتاز هذا المصنف بطابعه العلمي من خلال ما يقدمه من ألوان الطعام وكيفيات إعدادها مع تقديم

---

[1]- العامري، دراسات حضارية، ص: 271.

[2]- كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق أمبروزيو أويثي ميراندا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد 09-10، 1961، 1962، ص: 20 وما بعدها.

[3]- نفسه.

[4]- الملكيات الزراعية، ج2، ص: 740، 741.

النصائح الطبية الواجب إتباعها، وربما كشف بعض الأضرار الناجمة عن بعض الأطعمة والأشربة، مبيّنا مختلف الموائد التي تفوق فيها أهل المنطقة عن أهل المشرق، يقول ابن رزين: **"كثير من المشارقة الذين قصروا في هذا الباب على الرغم من كثرة تأليفهم فيه، فكانوا دون المستوى المنشود حتى أصبحت مؤلفاتهم مما تعه الآذان"**[1].

إن صاحب هذا التصنيف لم يدخر نصحا طبيا بكل ما تعلق بالمأكولات كترتيبها عند الأكل كل حسب قيمتها الغذائية وفائدتها الصحية، إذ نجده يقدم كل ما هو غليظ وثقيل أولا ليكون في قعر المعدة، وبالتالي يسهل هضمه أكثر من وسطها وأعلاها فلحم البقر والغنم والحوت والحبوب والألبان والأجبان والثرائد وما كان على شاكلة هذه المأكولات، فإنها تحتاج إلى هضم مضاعف أكثر من غيرها حتى يستطيع الجسم الاستفادة منها، لتليها في ذلك أطباق البقليات لتليين المعدة وكل أكلة مملحة يجب أن تتوسط، وتؤخر الحلويات والفواكه والمشروبات[2].

لم يتوقف التجيبي عند هذا الحد من النصح بل إنه ينبّه إلى الأواني التي يجب أن تطبخ وتتناول فيها الأطعمة، فهو يميز بين الأطباق الفخارية والنحاسية والذهبية والقصديرية والزجاجية، مراعيا في ذلك الأنسب لصحة الإنسان وذوق الطعام، ويعتبر الأطباق الزجاجية أفضلهم لأنها لا تصدع ولا تمتص السوائل، كما حذر من تغطية الأغذية وهي ساخنة بعد الطبخ مباشرة بأغطية محكمة لا تسمح بإخراج الأبخرة، أما باقي الأواني خاصة المقلاة الفضية أو الذهبية أو القصديرية فلا بأس بها نوعا ما ما عدا النحاسية فإنه قد حذر منها[3]، وهذا ما أورده وحذر منه ابن عبدون في رسائله أن : **"لا يجب أن تكون قدور النحاس للهراسين ومقالي السفاجين والقلائين إلا مرصصة، فإن النحاس مع الزيت سمية"**[4].

---

[1]- العامري، دراسات حضارية، ص: 270. (نقلا عن كتاب فضالة الخوان).

[2]- نفسه، ص: 271.

[3]- نفسه، ص: 270، 271.

[4]- رسالة في الحسبة، ص: 43.

وبالرجوع إلى المصنف في حد ذاته فإن صاحبه قد قسمه إلى 12 قسما بحسب نوعية المواد الأولية للطبخة، التي تضم أنواع الأكلات المشهورة التي ميزت المائدة الأندلسية واختصت بها بعض المدن[1].

إننا لمّا نجد مثل هذا النوع من المصنفات لدليل على براعة صاحبه وخبرته الطويلة واطلاعه الواسع على مختلف المصنفات خاصة المشرقية منها، حتى أصبحت بالنسبة إليه مما تعه الآذان هذا من جهة، ومن أخرى تأنق سكان المنطقة في إعداد أنواع مختلفة من الأطعمة والأشربة التي تعود بالفائدة الصحية على الأجسام والعقول، وكأن ابن رزين هذا عالم بطب الإنسان الداخلي أكثر منه طباخا ماهرا أو كاتبا ومقيدا لأنواع الأطعمة الشائعة في عصره، وبالتالي فإن كتب الطبخ أحد مظاهر الحياة البيئية خلال العصور الوسطى في البلاد الأندلسية، وقد أكد ذلك السيد ويتز Wainez في معرض حديثه عن كتابي الطبخ السالفي الذكر حيث يقول:" **فمن مجموعات وصفات الأطعمة يمكن تشكيل صورة، لا عن صنوف الطعام وحدها فحسب، بل كذلك عن كثير من الأنشطة التي تجري في مطبخ الدار، وعن موقعه في الأسرة، وبين أهل الجوار، وتنطوي هذه الوصفات كذلك على اشارة إلى الدور الرئيس للطعام في النظام الاجتماعي للقيم فتبين أن كرم الضيافة على المائدة، سواء بين الأسرة أو مع الأصدقاء والأعوان في السياسة أوغيرهم، مسألة تقع في المجال العام لا الخاص"[2].**

ولقد تحدث بعض الشعراء مجملا في قوله كل أنواع الطعام المعروفة لدى الأندلسيين، فهذا ابن الأزرق في إحدى قصائده الطويلة التي قال عنها المقري أنها تصنف ضمن مجون الأندلسيين إلا أنه تعرض في ثناياها إلى جملة أنواع الأطعمة المعروفة، جاء فيها:

عمِ باتِّصالِ الزَّمــــــــنِ ولا تُبَالي بِمَــــــــــنِ

وهو يُواسِي بالرِّضـــــــى مِن سَمَجٍ أو حَسَــــــنِ

يا عَاذِلِي في مَذْهَبِــــــــي أَرداك شرب اللبــــــن

---

[1]- العامري، دراسات حضارية، ص: 270، 271.

[2]- دافيد ويتز، فنون الطبخ في الأندلس، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، (الجيوسي، الحضارة العربية، ج2)، ص: 1019.

واللحـــــم مع الشحم ومعْ	طوابق الكبش الثـــــــني
والبيـــض في المقـــــلاة بالز	يت اللذيذ الدهـــــــــــن
وجلدة الفروج مشـــــــــــ	ويا كثير السمـــــــــــــن
وعلة قد استـــــــــــوى	فيهـــــــــا الفقير والغني
هل للثريد عـــــــــــودة	إلي قد شـــــــــــــوّقني
تغـــــــــــوص فيه أنملي	غـــــوص الأكول المحسن[1]

ج- الغناء والموسيقى:

يعتبر الأندلسيون من أهم المجتمعات التي برعت في فن الموسيقى والغناء والطرب، وهو تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، مشكلة بذلك نغمات يلذ سماعها[2]، ومنطقة شرق الأندلس لم يُعدم أهلها أسباب الراحات وضروب المتع والترويح عن النفس، نظرا لما بلغته المنطقة من رقي حضاري وتطور اقتصادي رغم ما لحقتها من فتن واضطرابات أيام الطوائف، وهذا مصداقا لما ورد في فضل الغناء عند ابن خرداذبة(ت280هـ-893م) والذي يتحدث بكل ثقة عن هذا الأمر باعتباره شيئا ضروريا لحياة الإنسان الذي يجب أن يعيش حياته لأنها تتطلب ذلك، حيث يقول: "**فضل الغناء على المنطق كفضل المنطق على الخرس والبرؤ على السقم، والدينار على الدرهم**"[3]، ومن جهة أخرى يفضل بعض الآلات الموسيقية حيث يتميز العود عن غيره كفضل الإنسان على الحيوان[4]، ولقد كان الغناء شائعا في الأندلس كلها خاصة منطقة الدراسة، وذلك قبيل دخول المرابطين وإحكام قبضتهم عليها، فهذا ابن خفاجة(ت533هـ-1139م) فيما يروى عنه يصف الطرب لأحد المغنيين بقوله: "**إن للطّرب -أعزك الله- جسما ونفساً، يسميا**

[1]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص: 298 وما بعدها.(أنظر الملحق رقم 21).

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ص: 130.

[3]- ابن خرداذبة، المختار من اللهو والملاهي، ص: 3.

[4]- نفسه، ص: 3.

سماعا وكأسا، وقد حضرتنا خمرة وكأنها جمرة، قد تناسبت سَورَتُهُما، كما تضارعت في الخطِّ صُورَتُهُمَا"[1]، وبالتالي يمكن أن نستخرج من هذا القول بعض الحقائق التي كانت فعلا في معاش أهل الأندلس عموما، منها أن الطرب غالبا ما كان يكون إلا بحضور الخمر وهذا ما صرح به صاحبنا، والشيء الثاني من خلال قوله-أعزك الله- دلالة على أن الطرب إذا ذكر في مجلس إلا ويقرن بلفظة التعفف أمام السامع حتى لا ينحط قدره أما شيء دنيء مثل الطرب، ولكن هذا لا يعني أن الطرب عندهم لا قيمة له، والشائع أكثر هو وجود الغواني حيث اعتاد أهل الأندلس سماع الغناء من الجواري نظرا لما له من وقع على الأسماع التي تطرب لصوت المرأة أكثر من الرجل، وهذا ما يؤكده ابن خرداذبة(ت280هـ-893م) بقوله: «**إذا اتفق غناء حَسَن ووجه حَسَن كان ذلك زائدا في طربك ألا ترى أن الغناء من فم جارية حسناء كأنها خردت من درة بيضاء أو ياقوتة حمراء تغنيك من فم مناك تقبيله**" ويستدل صاحبنا بشعر عكاشة بن عبد الصمد المغني لعبيد الصواب:

سقيا لمجلسنا الذي كنــــا به	يوم الخميس عشية أجــــــابا
في مجلس مطرت سماوة سقفه	تمر النعيم تخاله زريــــــــابا
من كف جارية كأن بنانــه	من فضتة قد طرفت عنــــابا
وكـــــأن يمناها إذا نطقت به	ألقت على يدها اليسارا حسابا[2]

ولكن نمطا من العيش هذا سرعان ما اصطدم بما أتى به المرابطون من صحراء المغرب من الزهد والتقشف فديدنهم كان الجهاد في سبيل الله ونصرة الدين والمسلمين، فبعد أن كان في كل بيت ميسور غانية ودف، بل ليس هَمُّ أحدهم خاصة الملوك وأصحاب السلطة سوى كأس يشربها وقينة تسمعه ولهو يقطع به أيامه، عزم الأمير يوسف على أن يجعل هَمَّ كل واحد في المملكة فرس

[1]- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم3، المجلد2، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1417هـ-1997م، ص: 542.

[2]- نفسه، ص: 27.

يروضها على دروب القتال أو إعداد سلاح أو صريخ يلبي دعوته[1]. وهذا ما جعل فن الموسيقى والطرب خاصة في عهد يوسف بن تاشفين (ت500هـ-1106م) يصبح لا أهمية له بين أوساط المجتمع، إلا ما كان لا يتعارض وتعاليم الإسلام في إقامة الاحتفالات المشروعة كأفراح الزواج والختان، وهنا كفّ الشعراء عن التغني ووصف مجالس الطرب، وتوقف المغنون والمغنيات عن الغناء والإنشاد، فكسدت دولة الفنون وأصيبت الحركة الفنية بنكسة موقوتة، على حد قول أبو الفضل في كتابه" شرق الأندلس"[2].

إلا أن الحال لم تستمر على ذلك طويلا، فبمجرد أن وقع الاحتكاك الحضاري وامتزاج أنماط الحياة المختلفة ببعضها البعض، تأثر المرابطون تدريجيا بحياة الترف الأندلسية، فنبذوا خشونتهم وما ألفوه من مظاهر الزهد والبساطة في المأكل والملبس، واستسلموا لرقة الحياة وعذوبتها وأقبلوا عليها وتذوقوا متعها وطربها[3]، بل إن أمراء شرق الأندلس قد ألفوا مظاهر الأنس والطرب والموسيقى، حيث أصبحوا يعقدونها في مجالسهم ومنياتهم[4]، فهذا الشاعر ابن خفاجة البلنسي يصف أحد مجالسهم في بلنسية بقوله:

فكم يوم لهو أدرنا بأفقـــــه	نجوم كؤوس بين أقمار ندمـــــان
وللقضيب والأطيار ملهى يجرعه	فما شئت من رقص على رجع ألحان[5]

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام، إذا كانت دولة الفنون قد كسدت وأصبح طابع الحياة ذا صبغة مرابطية فكيف تأثر هؤلاء المرابطون بترف أهل الأندلس وطربهم؟

1- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 226.

2- ص: 246، 247.

3- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي-المرابطون صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب والسودان والأندلس، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1995م، ط1، ص: 375، 376.

4- عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 340، 341.

5- ابن بسام، الذخيرة، القسم3، المجلد2، ص: 27 وما بعدها.

إن دراسة التقلبات الاجتماعية والتأثيرات المتبادلة بين عنصر وآخر من عناصر المجتمع المتداخلة في بيئة جغرافية ما، لعسيرة المنال إذا لم تتوفر دلائل وقرائن إثبات أو نفي، ولذلك ربما حياة الزهد التي تبناها المرابطون في أول دولتهم كان لها تأثير في المغرب أكثر منها بكثير في الأندلس كلها والشرق جزء منها، أي أن الأندلسيين لم تعمل فيهم سياسة المرابطين التقشفية إلى الحد الذي يمكن تصوره، وإنما هي سحابة عابرة سرعان ما انقشعت وعاد صحو الأندلسيين في سماء الطرب والمتع.

وعليه فإن المرابطين الذين أصبحوا الآن أندلسيين في أمزجتهم ونمط معيشتهم، عادت إليهم مسرات الحياة ومتعها إلى آخر أيامهم، وهذا ما وجد فيه الموحدون فرصة "**للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**"، إلا أن منطقة الدراسة بعد خروجها من سيطرة المرابطين، بقيت منفردة بسلطتها السياسية بزعامة ابن مردنيش، هذا الأخير الذي أمسى ميالا لطرب الحياة أكثر من أي وقت مضى، فاستوى سوق الموسيقى عنده وتقدمت الفنون، بل هو في حد ذاته كان يقيم لها المجالس ويخصص لها الأيام، يقال أنه كان له يومان – الاثنين والخميس- يشرب فيهما مع ندمائه ويحضر القيان بمزاميرهن وأعوادهن ويتخلل ذلك لهو كثير[1]، وفي هذا يقول أحد كتّابه المعروف **بالسّالمي**[2] يصف مجلس شرابه وقد كان له أحد غلمانه يدعى حسن عريض القفا، بقوله:

أدر كؤوس المـــــدام والرزّ   فقد ظفرنا بدولة العـــز

ونعم الكف من قفا حســن   فإنها في ليانة الخـــــز

وصاحب إن طلبت أخدعه   فلم يكن في بذله بمعتـــز

انحنى على إخداعي فأطربني وهزّ عطفي أيّما هـــــــــــزّ[3]

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 122. أيضا: شرق الأندلس، ص: 247.

[2]- **السّالمي**: محمد بن أحمد بن عامر البلوي ويعرف بالسالمي(ت559هـ-) وهو من طرطوشة وسكن مرسية، ويعرف بالسالمي لأن أصله من مدينة سالم، ويكنى أبا عامر، كان من أهل الأدب والعلم والتاريخ، وكتب عند الأمير ابن مردنيش، وله حظ من قرض الشعر. أنظر: مبحث **التاريخ** في هذا البحث، ص: 180. (ابن الأبار، التكملة، ج1، ص: 213، ت: 725).

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 123.

وهذا ابن همشك المتأمر والذي كان من أتباع ابن مردنيش، قال عنه بعض المؤرخين على لسان ابن الخطيب(ت776هـ- 1374م)في صفته أنه : **"لم يصحب قط متشرعا، ولا نشأ في أصحابه من كان متورعا...وحبب إليه العيش في البلاد"**، فقد كان يصحب في رحلة صيده آلات اللهو وأصحاب الطرب، يضيف ابن الخطيب: "زعموا أنه خرج من المواضع التي لنصره متصيدا، وفي صحبته **محاولوا اللهو، وقارعوا أوتار الغناء**... فما راعهم إلا خيل العدو هاجمة على غرة وكانوا ضعف عددهم، فعد نفسه بمائة من النصارى، ثم استدعى قدحا من شرابه، وصرف وجهه إلى المغني...فغناه":

يتلق النّدى بوجه حيّ وصدور القَنا بوجه وقاح

هكذا هكذا تكون المعالي طُرق الجَدِّ غير طُرق المزاح[1]

أما في عصر الموحدين فإن أمراء المنطقة ساروا في بداية عهدهم على سياسة وتعاليم إمامهم المهدي بن تومرت في مكافحة الغناء والطرب، باعتبارهم من مسرات الحياة واللهو، كيف لا وقد نكروا هذا على المرابطين، حيث استخدموا العنف والشدة في مكافحة كل صور الطرب واللهو ومظاهرهما وأسبابهما، واستمر هذا النهج خلال فترة حكم الخليفة عبد المؤمن الذي أصدر مرسوما سنة 556هـ-1161م يأمر فيه: **"بالكشف عن التلصص والحرابة والتولج في مكان الريب والغواية والاجتماع على سير الجاهلية والملاهي على فنونها وأنواعها وضروبها واختلاف آلاتها، وما يتبعها من المناكر الناشئة عن أهل الجهالة فاكشفوا عن هذه الأصناف وأثيروهم عن مكانهم"**[2].

ولذلك تراجع مستوى الاهتمام بالموسيقى إلى ما كان عليه أيام يوسف بن تاشفين، ولم يهتم الأمراء ولا العلماء بهذا الفن رغم معرفتهم الكاملة بجزئياته وكلياته، ودليل ذلك ما ذهب إليه

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 299، 300.

[2]- هشام أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، عمان الأردن، 1404هـ-1984م، ط1، ص: 337، 338. أيضا: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص: 434.

الفيلسوف **ابن طفيل**(ت581هـ-1185م)[1] الذي كان يتلقى رواتب عديدة على كل مجال خدم به السلطة الموحدية، ما عدا الموسيقى التي يقول عنها: "... **ولو نفق عليهم علم الموسيقى لأنفقته عندهم**"[2]، وهذا ما يكشف على أكثر من دلالة، فمن جهة يبين عدم اكتراث الحكام بهذا الفن، ومن أخرى يدل على وجود هذا الفن لكن السلطة حالت دون ظهوره على أرض الواقع وفي معاش الناس كإقامة المجالس المشهورة والأيام المذكورة. إلا ما كان مباحا ولا يتعارض ومبادئ الشريعة، ففي سنة 567هـ/1172م، دخل الخليفة أبو يعقوب(ت595هـ-1199م) مدينة مرسية خلال عودته من إحدى غزواته في شرق الأندلس، فخرج في استقباله جميع أهل مرسية خاصتهم وعامتهم، كبيرهم وصغيرهم يتكلمون لأنفسهم بالتيسير والتبشير رافعين أصواتهم: الحمد لله الذي جمع بيننا وبينكم على أحسن حال وأنعم حال ورفع عنا الظلم والكفر، ونساؤهم يبدين أصواتهن بالفرح وينطقن بألسنتهن بكل لفظ منشرح[3].

ولكن الزمن كفيل بتغيير الأمور فبالرغم مما أظهره الموحدون في عهودهم الأولى من التشدد والتضييق على أهل الطرب والموسيقى، إلا أنهم لم ينجحوا في القضاء عليهم سرعان ما عادت

---

[1]- **ابن طفيل**: وهو أبو بكر محمد بن طفيل، أحد فلاسفة المسلمين، كان متحققا بجميع أجزاء الفلسفة، وممن قرأ عليهم ذلك العلم الفيلسوف ابن باجة الشهير، له تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والالهيات، كرسالة "حي بن يقظان" و "رسالة في النفس" وغيرها، كما برع في الطب واشتهر به والهندسة والكتابة والشعر، حتى الموسيقى، قال عن نفسه:"لو نفق عليهم- يقصد خلفاء الموحدين- علم الموسيقى لأنفقته عندهم" وعلى الجملة فقد كان عالما موسوعيا بأتم معنى الكلمة، توفي سنة 581هـ-1185م ومن شعره في الزهد قوله:

يا باكيا فرقة الأحباب عن شحـــــط	هلا بكيت فـــراق الروح للبدن
نور تردد في طين إلى أجـــــــــــل	فانحاز علوا وخلى الطين للكفن
يا شد ما افترقا من بعد ما اعتلقـــا	أظنها هدنة كانت على دخـــــن
إن لم يكن في رضى الله اجتمــــاعهما	فيا لها من صـــــفقة تمت على غبن

(أنظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 313، 314. أيضا: ابن الأبار، تحفة القادم، ت: 43، ص: 96 وما بعدها. ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر6، ت: 1089، ص: 407. ابن الخطيب، الاحاطة، ج2، ص: 478 وما بعدها).

[2]- المراكشي، نفسه، ص: 240. أيضا: أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، ص: 338.

[3]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 513، 514. أيضا: أبو رميلة، نفسه.

مزامير الموسيقى إلى الظهور من جديد والانتشار بصورة أزعجت مرة أخرى الخلفاء فعادوا لمحاربتها، يقول ابن عذارى(كان حيا سنة 712هـ/1312م) عن الخليفة المنصور أنه: "لما رأى التساوي في الانهماك والاغترار، غضب في الله لذلك المنكر وأضرب عن القال والقيل وجعل الإنذار والإعذار مكان السيف الصقيل"[1].

د- الاحتفالات:

وأهم ما كان يحتفل به أهل المنطقة من الأعياد عيد الفطر وعيد الأضحى، فالأول هو إظهار الفرحة والابتهاج بعد صوم شهر رمضان، إحياء للسنة النبوية للصائم فرحتان، وذلك بارتداء أحسن الملابس[2] وغالبا ما تكون جديدة فضلا عن تزويد منازلهم بمختلف الأثاث وموائد الأطعمة والأشربة والحلوى، أما عيد الأضحى ففيه فرحة أخرى بإحياء سنة الخليل إبراهيم عليه السلام وهي الأضحية باعتبارها المظهر الغالب على ذلك الاحتفال، ومن العادات التي صحبت هذه المناسبة هو أن الامام بعد تأدية صلاة العيد فإنه لا يخرج أضحيته لذبحها إلا بعد وصوله إلى داره[3]، إلا أنه ومما اشتهر به أهل الأندلس بعض العادات السيئة تسيء إلى سمعة المناسبة وأهلها، هو خروج النساء إلى المقابر حتى وقع ذلك الاختلاط بالرجال، فأصبحت هذه المناسبة تعقد فيها المواعيد بين العشاق وعند المقابر، فهذا الشاعر **ابن مؤهل**[4] يصرح بذلك في إحدى موشحاته حيث يقول:

ما العيد في حلة وطاق   وشم طيب

---

[1]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج3، ص: 143. أيضا: أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، ص: 338.

[2]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 88.

[3]- أبو مصطفى، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، ص: 19.

[4]- **ابن مؤهل**: ذكره ابن سعيد باسم ابن موهد وقال عنه: أنه شاطبي سكن مرسية، وكان من مداحي الأمير ابن مردنيش، ملك شرق الأندلس، وأورد له موشحة مطلعها:

أما طربت إلى الحميا   ما بين ندمان وساق

والبدر في عقب الثريا   والليل ممدود الرواق

(أنظر: ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 390 وما بعدها)

وإنما العيد في التلاقي مع الحبيب[1]

ما يمكن الاشارة إليه في مثل هكذا تصرفات، هو تلك الظاهرة الاجتماعية التي برزت في العصر الحديث من خلال دراسات حديثة، اهتمت بالجانب الاجتماعي وعلاقته بالجانب الديني، خاصة والأمر متعلق بالخروج عن المألوف من المحرمات في أوقات العبادات، أو ما يسمى بظاهرة "التفلّت الجماعي" التي غالبا ما تطبع الأعياد[2]، وهي ليست أصيلة عند المسلمين وإنما انتقلت من المجتمعات التي كثيرا ما حصل الاحتكاك بها خاصة إذا كانت الجغرافيا سببا مباشرا لذلك الاحتكاك، ومنطقة الدراسة مثال بارز في هذا، بل إن المسلمين قلّدوا النصارى في كل احتفالاتهم حتى وإن كان فيها تعارض مع تعاليم دينهم الاسلامي، وذلك للتعايش المثالي القائم بين المسلمين والمسيحيين[3].

لم يكن هذين العيدين المناسبة الدينية الوحيدة التي يقيم لها أهل المنطقة الاحتفال، وإنما هناك مناسبات أخرى، منها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان أو ما يعرف بليلة القدر، حيث تتميز هذه الليلة عن غيرها من الليالي، بأن تخصص لها أطباق من المأكولات والحلويات، وهذا ما بينه **الطرطوشي**(ت520هـ-1126م)[4] في حديثه عن البدع المستحدثة في الأندلس، حيث يقول: **"ومن البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة السابع والعشرين من رمضان"**[5]، ضف إلى ذلك الاحتفال بليلة عاشوراء والمولد النبوي، وكذا مناسبات الزواج والختان

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج7، ص: 8.

[2]- روجيه كايوا، الانسان والمقدس، ترجمة سميرة ريشة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ط1، ص: 142.

[3]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 245.

[4]- **الطرطوشي**: وهو الفقيه أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، صحب أبا الوليد الباجي بسرقسطة، انتقل بعدها نحو المشرق واستقر في مصر وبها توفي سنة 520هـ-1126، ومن جيد شعره:

إن لله عبـــــادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علمــوا أنها ليست لحي سكنـــا

جعلوها لجـــة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

(انظر: ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 424، ت 613).

[5]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 249.(نقلا عن الطرطوشي).

وغيرها[1]، ونظرا لتنوع عناصر المجتمع من مسلمين ونصارى ويهود وكل له أعياده وعاداته، فقد أثرت فئات المجتمع بعضها على بعض، حتى صاروا يشاركون بعضهم في أعياد بعض، ولذلك فمسلمي المنطقة قلدوا النصارى في احتفالاتهم وأعيادهم، كعيد **المهرجان**[2] وأصله فارسي، حيث كان الفرس يحتفلون به في آخر السنة حسب تقويمهم الشمسي، ويسمونه "روز ميهر" أي "محبة الروح"، وكان موعده الاعتدال الخريفي[3]، لكن هناك من المؤرخين من يقول أنه يمثل عيد القديس يحي المعمدان "سان خوان"، وكانوا يسمونه أيضا عيد "العنصرة"، وموعده هو يوم الرابع والعشرون من شهر يونيو-جوان-[4]، وبالتالي هناك تضارب في الأخبار، وهذا ابن اللبّانة (ت هـ) أعجبه منظر الأسطول في جزيرة ميورقة أيام مبشر بن سليمان أميرها، يوم عيد المهرجان ما يدل على أن أهل الجزيرة بأميرها يحتفلون في ذلك اليوم بقيام استعراض بحري للأسطول، حيث يقول:

بشرى بيوم المهرجان فـــــإنه يوم عليه مـــن احتفائك رونق

طارت بنات الماء فيه وريشها ريش الغراب وغير ذلك شوذق

وعلى الخليج كتيبة جـــــرارة مثل الخليج كلاهما يتدفـــــــق[5]

وهناك عيد آخر وهو النيروز أو **النوروز**[6]، كذلك أصله فارسي يحتفل به في بداية السنة الشمسية الشمسية والتي تبتدئ عندهم مع الاعتدال الربيعي[1]، بالاضافة إلى بعض المناسبات التي اعتبرت

---

[1]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 245.

[2]- **المهرجان:** وقيل أن أول ما ظهر المهرجان كان على عهد أفريدون، وذلك أن الدين قبل أيامه قد فسد، أفسده الضحاك(وهو نمرود) فوثب به أفريدون فقيده، فسمى اليوم الذي ظفر فيه المهرجان، والمهر الوفاء وجان السلطان، فكان "سلطان الوفاء".(أبي هلال العسكري، الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، ص: 411).

[3]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 249. أيضا: محمد البشير العامري، دراسات حضارية، ص: 25.

[4]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 212. أيضا: أبو مصطفى، نفسه، ص: 245.

[5]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 215.

[6]- **النيروز:** أجمعت الفرس أن الملك الفارسي "جم" هو أول من اتخذ النيروز عيدا، وجعل تعظيمه دينا، قال النسابون في زمانه بعث الله تعالى هودا إلى عاد وصالحا إلى ثمود، وولد قحطان أبو اليمن، وكان الدين قد تغير قبله، فلما ملك جدده=

أعيادا كيوم جني محصول العنب وعصره فسمي عيد العصير Alacir[2] ولكن يحق لكل متتبع للأحداث أن يتساءل – ما موقف السلطة سواء المرابطين المتشددين في التمسك بأهداب الشريعة الاسلامية والفقه المالكي الذي يرفض كل تقليد للملل الأخرى؟ أو الموحدين خاصة وأن الفترة هي فترة صراع ديني وسياسي بين المسلمين والنصارى؟

لقد أثارت هذه الاحتفالات حفيظة الفقهاء وأهل العلم سواء في عصر المرابطين أو الموحدين، وأصدر الكثير منهم فتاوى تحرم تقليد النصارى في أعيادهم تلك كالطرطوشي والعسفي[3].

=وأظهر العدل، فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروز-أي اليوم الجديد-وزعمت الفرس أن ذلك اليوم كان معظما عند أهل المعرفة قبل جم، لنه في نظرهم اليوم الذي خلق الله فيه الخلق، قالوا ولذلك جعل الله في وقته ابتداء الشور النامي- المراد به فصل الربيع-(أبي هلال العسكري، الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، ص: 411).

[1]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 247 وما بعدها.

[2]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 245.

[3]- أبو الفضل، نفسه، ص: 249، 250.

الفصل الرابع

الحياة العلمية

أولا- العلوم الدينية

ثانيا- علوم اللسان العربي

ثالثا- العلوم الاجتماعية

رابعا- العلوم التجريبية

أولا– العلوم الدينية:

وهذه العلوم التي مصدرها الأساس القرآن والسنة النبوية، وتشمل في ذلك التفسير والقراءات والفقه والحديث وما اتصل بهم من فروع الشريعة، وكلها استقت علومها من الوحي، وكل ما اشتملت عليه من أفكار أو فوائد وحكم وأحكام، إنما هي شروح النص بالنص أو النص بالحديث النبوي الصحيح، وما على العقل سوى إتباع الشرع قولا وعملا[1].

أ– القراءات والتفسير:

وأما القراءات فهي خاصية القرآن الكريم فيما توارد من قراءاته المختلفة السبع أو العشر حسب اختلاف الروايات[2]، وهذه تختلف بدورها في حركاتها ونطقها أو قراءتها، لأن القراءات القرآنية هي اختلاف في ألفاظ الوحي المذكور كتابة أو نطقا أو ضبطا[3]، وفي تعريف القراءات التي هي جمع قراءة وهي في **اللغة** مصدر سماعي لمصدر قرأ، وأما **اصطلاحا** فهي مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنها، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيأتها[4]، وقد عرفت منطقة الدراسة هذه القراءات نقلا ورواية عن علماء متخصّصون في هذا المجال، كيف لا والفترة التي سبقت دخول المرابطين، خاصة أيام العامريين نفقت بها سوق القراءة، فمجاهد العامري في دانية مثلا كان من أئمتها وهو الأمير، وقد ساهم في هذا النوع من العلوم حتى أخرجه فنا من فنون القرآن[5]، إلى جانب القراءات

---

[1]– عبد الرحمان تركي، تفسير القرآن الكريم بالمغرب العربي والأندلس(دراسة تحليلية في تفاسير القرآن)، مجلة البحوث والدراسات، العدد 15، جامعة الوادي، الجزائر، 1434هـ–2013م، ص: 36 وما بعدها.

[2]– بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 292.

[3]– عمار ربيح، مدرسة النحو في المغرب والأندلس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين – دراسة في المصطلح والمنهج والوظائف(أطروحة دكتوراه)، إشراف محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008م–2009م، ص: 203،(نقلا عن ابن مجاهد(ت 324هـ) كتاب السبعة).

[4]– أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1413هـ–1993م، ط1، ص: 77.

[5]– ابن خلدون، المقدمة، ص: 173.

نجد **علم التفسير** لكتاب الله تعالى، والمقصود به علم شؤون الآيات ونزولها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنيها وبيان مُحكمها ومتشابهها، وغير ذلك ما تعلق بالناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد والعام والخاص والحلال والحرام...الخ[1]، أو بالجملة هو شرح القرآن وبيان معناه والافصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه[2]، وهناك نوعان من المفسرين:

- مفسرون بالمأثور وهو ما عرف عن الرسول وكبار الصحابة.

- ومفسرون بالرأي وهم الذين اعتمدوا على العقل، والمثل العلى من هؤلاء المعتزلة والباطنية[3].

وأغلب من اختص بعلم القراءات كان له نصيب من التفسير وذلك لاقتران هذا بذاك، وكتب التراجم والأخبار غنية جدا بذكر هؤلاء القُرّاء والمفسّرون، إذ لا يتسع المقام للإتيان بهم جميعا، لأن طبيعة البحث تفرض ذكر البعض منهم فقط، تبيانا للمستوى الذي بلغه علم القراءات والتفسير في المنطقة ومدى اهتمام الكثير من علمائها بهما، حتى وجد ما يعرف بـــ**"مدرسة أبي عمرو المقرئ (ت444هـ-1052م)"**[4]، حيث كان من أهم اختصاصات الأخير ومن نحا نحوه هو علم الضبط القرآني، والمقصود به **لغة** هو بلوغ الغاية في إحكام حفظ الشيء، وأما **اصطلاحا** فهو علامات

---

[1]- أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ص: 10.

[2]- عبد الرحمان تركي، تفسير القرآن الكريم بالمغرب العربي والأندلس، ص: 35.

[3]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 308.

[4]- **أبي عمرو المقرئ:** عثمان بن سعيد الأموي المقرئ المعروف بابن الصيرفي، من أهل قرطبة وسكن دانية لذلك عرف باسم "الداني"، تلقى العلم عن جلة من العلماء في الأندلس والقيروان ومصر والمشرق، أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه، وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماء رجاله، اهتم بعلم القراءات وطلبه حتى بلغ فيه مبلغه، لذلك اعتبر مدرسة في علم القراءات، فقد تخرج على يديه الكثير من أهل العلم في هذا المجال، منهم أبي داود سليمان بن نجاح (ت496هـــ1103م) الذي يعرف بشيخ القراء، ولأبي عمرو أرجوزة منها:

قد قلت إذ ذكروا حالَ الزّمان وما	يجري على كل من يعزى إلى الأدب
لا شيء أبلغ من ذل يجرّعـــــــه	أهل الخســـاسة أهل الدّين والحسب
القائمين بما جاء الرّســـــــول به	والمبغضيــــــــن لأهل الزّيغ والرّيب

(انظر: ابن بشكوال، الصلة، ص: 592، ت: 882).

مخصوصة تلحق الحرف للدلالة على حركة مخصوصة أو سكون أو مد أو تنوين أو شدّ أو نحو ذلك ويرادفه الشكل والنقط في أحد أقسامه[1]، وقد عرف هذا العلم اهتماما كبيرا في شرق الأندلس بفضل أولئك العلماء، حيث كان شغلهم الشاغل هو المحافظة على النص القرآني في مواجهة النقد الذي يقوم به النصارى لمختلف أشكال قراءة القرآن[2]، فقد ظهر في الأندلس خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ما يعرف بالجدل الديني بين المسلمين والمسيحيين، حيث برز في هذا المجال الكثير من العلماء الذين تصدوا لحركة التبشير المسيحي ومعاداة الاسلام وأهله، ووقعت المناظرات بل وأُلِّفت الكتب، فهذا العالم الموسوعي عبد الله بن سهل الضرير الغرناطي(توفي بمرسية سنة 576هـ-1180م) المقيم بطليطلة التي أصبحت مركزا للجدل الديني ذاك، حيث قال عنه ابن الخطيب: "**وله مع قسّيسيهم مجالس في التناظر حاز فيها قصب السبق**"[3]، ولعل السنوات الأخيرة من حياته التي قضاها في مرسية كان مؤشرا يبشّر بالدّور الذي قُدِّر لهذه المدينة أن تضطلع به في مجال تبادل الأفكار بين المسلمين والمسيحيين خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر[4]، خاصة لما نأتي على ذكر المعهد الذي أنشأه ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم، وكان يضم علماء من الملل الثلاث-مسلمين ومسيحيين ويهود- وقد ترأسه عالم مسلم هو أبو بكر محمد بن أحمد المرسي المعروف بالرِّقوطي(نسبة إلى بلدة رقوطة من أعمال مرسية)[5]، حيث تزعم هو وغيره حركة الجدال مع أهل الكتاب، وذلك "بالتي هي أحسن"، كما دعا إليها محكم التتريل[6]، ولا أدل على ذلك من مناظرة ابن رشيق المرسي(ت نحو680هـ-1281م) ، لأحد

---

[1]- عبد الكريم بوغزالة، الامامان أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني وأبو داود سليمان بن نجاح وجهودهما في خدمة المصحف الشريف "علم الضبط القرآني نموذجا"، مجلة البحوث والدراسات، العدد 10، المركز الجامعي، الوادي، 1431هـ- 2010م، ص: 12.

[2]- دومينيك ايرفوا، علماء الأندلس، ترجمة مصطفى الرقي (الجيوسي، الحضارة العربية)، ج2، ص: 1196.

[3]- ابن الخطيب، الاحاطة، ج3، ص: 404.

[4]- محمود علي مكي، مقامات الحريري وإعجاز القرآن في حوار مسيحي إسلامي في الأندلس، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 79، القاهرة، 1417هـ-1996م، ص: 145.

[5]- نفسه، ص: 146.

[6]- أحمد صبحي منصور، الحسبة- دراسة أصولية تاريخية، المركز العربي المصري، 1995م، ط1، ص: 57 وما بعدها.

القساوسة حول أعظم معجزة وهو القرآن الكريم، حين قارن بين الآية القرآنية التي يقول الله تعالى فيها: "**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِنْ دُونِ الله إن كنتم صادقين** (23) **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ...**"[1]، فكان شغل هذا القسّيس في العبارة الأخيرة "**ولن تفعلوا**" وهو قطع للمستقبل باليقين الثابت أن لا أحد يأتي بمثله، ثم يعرض في ثناي كلامه على أن الحريري في مقاماته قد أتى ببيتين من الشعر وتحدى العرب قاطبة أن يأتوا بثالث لهما وهما:

سِمْ سِمَــــــــــةً تَحْسُنُ آثَارُها   واشْكُر لِمَنْ أَعْطَى وَلَو سِمْسِمَهْ

والمَكْرُ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لَا تَأْتِــــهِ   لِتَقْتَنِي السُّؤْدُدَ والمَكْرُمَــــــهْ[2]

فاشتبه الأمر على القسّيس أن قول الحريري قد تساوى مع النص القرآني. وهنا يثبت ابن رشيق براعته في الجدل القرآني رغم صغر سنّه فهو "**إذ ذاك لمّا بقل وجهه**"، لكنه كان قد أحكم شيئا من أمور الدين مع والده، وبعد طول نقاش يقول ابن رشيق: "**فأدركني والله انبعاث عظيم للزيادة على البيتين..إلى أن يسّر الله في الزيادة ببيت واحد**" وهو:

والمَهْرُ مَهْرُ الحُــــوْرِ وهُو التُّقَى   بَادِرْ بِهِ البَكْرَة والمَهْرَمَــــــهْ[3]

وبذلك أفحم ابن رشيق هذا القسيس، وما هذا إلا مثالا حيًّا على الواقع الذي بلغته حياة المسلمين في الأندلس خلال تلك الفترة، حتى وإن كانت هذه الحادثة قد وقعت بين المدجّنين في مدينة مرسية بعد أن سقطت في أيدي النصارى، بحيث أصبح يوجد نوع من الجدال الديني ليس بين

---

[1]- الآية 23 و 24 سورة البقرة.

[2]- ابن رشيق المرسي حياته وآثاره 628هـ- 696هـ/ 1231م- 1296م، مناظرة بين ابن رشيق وقسيس، دراسة وتحقيق محمد بنشريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1429ه- 2008، ص: 124. أيضا: الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج11، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م، ص: 155 وما بعدها. عمر بنميرلة، الثقافة والفقه والمجتمع نماذج من المغرب الوسيط-دراسة تاريخية، جذور للنشر، الرباط، 2006م، ط1، ص: 173.

[3]- نفسه، ص: 126.

المسلمين فحسب، بل حتى النّصارى الّذين لهم اطّلاع واسع على الثّقافة الدّينية الإسلامية في المنطقة، وإلّا كيف يستطيع ذلك القسّيس طرح مثل تلك التساؤلات لو لم يكن على سعة اطلاع، ولو لم يوجد أولئك المتمرسين على علم التفسير واللغة والنحو من العلماء لما استطاعوا رد عادية النصارى في مجال الفكر والثقافة.

لذلك سنأخذ على الأرجح من كل مدينة من المدن المشهورة في منطقة الدراسة عالما أو اثنين على سبيل المثال لا الحصر.

فأغلب هؤلاء القراء والمفسرون كانوا على دراية بالقراءات السبع المعروفة، وأغلبهم أيضا كانت لهم رحلات خلال تلقّيهم علوم الشريعة المختلفة نحو قرطبة واشبيلية، باعتبارهما من العواصم التي كانت لهم مكانة علمية بين عواصم العالم الإسلامي آنذاك كبغداد وواسط والاسكندرية وغيرها، إن لم نقل تفوّقتا عنهم في الكثير من العلوم، وبعدها تكون الرحلات نحو المشرق الإسلامي إن لم تكن العراق ومصر والشام كانت الحجاز محط رحالهم لآداء الفريضة، وكانوا خلال سفرياتهم تلك يتلقّون علومهم عن علماء مشارقة، حتى إذا ما تم تكوينهم شرعوا في ممارسة مهامهم كمعلمين للقرآن والعربية وآدابها، مخلّفين مصنّفات ذات قيمة علمية كبيرة، فهذا أحمد بن محمد بن خلف بن محرز بن محمد الأنصاري من أهل **شاطبة**، قال عنه ابن الأبار (ت658هـ-1260م)، رحل إلى المشرق وأقرأ بدمشق القرآن بعدة روايات وكان قد قرأ على أبي عبد الله الحسين بن موسى بن هبة الله الدينوري، وأبي الحسن علي بن محمد بن حموش الصقلي، وأبي الحسن يحي بن علي بن الفرج الخشاب المصري وغيرهم، وصنّف كتابا في القراءات أسماه "**المقنع**"، ويقال أنه يعرف بالأغرشي نسبة إلى إقليم بكيران من أعمال شاطبة، وأنه سمع مقامات الحريري منه سنة 505هـ-1101م"[1].

- وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل (479هـ-564هـ/1078م- 1168م) تلا بالقراءات السبع وغيرها فكان صدر المقرئين وإمام المجوّدين، انتهت إليه رئاسة الإقراء بشرق الأندلس في عصره، متقنا ضابطا مجودا، مشهور الفضل والزهد والثقة، أقرأ **ببلنسية** أزيد من ستين سنة، توفي

[1]- أبي عبد الله بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر بن الأبار، التكملة لكتاب الصلة(القسم الأول المفقود)، المطبعة الشرفية للأخوين فونطانا، الجزائر، 1920م، ص: 34، ت: 70.

في رجب سنة 564هـ-1169م، حيث شهد جنازته سلطان بلنسية أبو الحجاج بن سعد بن مردنيش، وقد رثاه أبو محمد بن واجب بقصيدة منها:

لم أنس يوم تهادت نعشه أسفا أيدي الورى وتراميها على الكفن

كزهـــــرة تتهادها الأكف فلا تقيم في راحة إلا على ظعـــــــن[1]

– وعلي بن عبد الله بن خلف بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الملك الأنصاري أبو الحسن بن النعمة (ت570هـ-1184م) قيل عنه أنه خاتمة علم القراءات بشرق الأندلس، فعلاوة على أنّه كان مقرئا مجودا، قد كان مفسّرا محدّثا وراوية حافظا، وفقيها مشاورا بارعا في علم اللّسان، قال عنه ابن عبد الملك(ت703هـ/1303م) نقلا عن الأركشي من مقاماته "قسطاس البيان في مراتب الأعيان" أنه: **"فقيه عارف وحامل أدوات ومعارف، وما هو إلا زبدة زمان تمخض العصر عنها وروضة علوم تضوع العطر منها"**، وله مصنفات جامعة منها: "ري الضمآن في تفسير القرآن" و "الإمعان في شرح مصنف أبي عبد الرحمان"[2].

– ومن **المرية** أحمد بن مروان بن محمد التجيبي يعرف بابن شاب، ويكنى أبا العباس أخذ القراءات عن أبي الحسن بن شفيع وسمع منه ومن أبي عبدالله عمر بن الحسن البلغي، وله بقرطبة سماع من أبي محمد بن عتاب وأبي بحر الأسدي وأبي الحسن بن مغيث، وسمع أيضا من أبي بكر بن العربي وأجاز له أبو عبد الخولاني الاشبيلي، ومن أهل المشرق أبو عبد الله محمد بن منصور بن الحضرمي وأقرأ القرآن وحدث وعلم بالعربية[3].

– ومنها أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن حسين بن عاصم الثقفي من أهل برجة يكنى أبا العباس، ويعرف بالقصبي لسكنى سلفه قصبة المرية، أخذ القراءات عن أبي عمران موسى بن سليمان وسمع

[1]- عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، القسم الأول، السفر الخامس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص: 369 وما بعدها، ت: 638.

[2]- نفسه، ص: 266 وما بعدها، ت: 455. أيضا: الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،ج2، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م، ط1، ص: 552، ت: 1228.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ص: 45، ت: 100.

منه ومن أبي خالد يزيد مولى المعتصم بن صمادح، وأخذ أيضا عن أبي داود المقرئ بدانية، وأبي الحسن بن أخي الدوش بشاطبة، وأبي الحسن بن البيار بمرسية، وله رحلة حج فيها وبعد صدره، تصدر للإقراء وإسماع الحديث بجامع المرية وتولى بها صلاة الفريضة، توفي في حدود 540هـ-1145م[1].

- ومنها أيضا محمد بن علي بن علي بن ذي النون الحجري(505هـ-591هـ/1111م-1194م)، الذي بَعُد صيته وعلا ذكره في القراءات، حيث أقرأ بالأندلس والعدوة[2]، فكان بذلك عَلَمًا في القراءات خلال عهدي المرابطين والموحدين[3].

- ومن **طرطوشة** أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عمر الهاشمي ويكنى أبا جعفر، سمع من ابن هذيل وابن سعادة وابن النعمة، واختص به وهو كان القارئ عليه لما يسمع، ولقي أبا سعيد المقرئ بدانية بعد خروجه من طرطوشة في رجب سنة 544هـ-1149م لعام أو نحو من تغلب الروم عليها، قال عنه ابن الأبار(ت685هـ/1286م) كان مقرئا ماهرا، توفي سنة 575هـ-1179م[4].

- ومن أهل **لورقة** أحمد بن عبد الملك بن عميرة بن يحي الضبي يكنى أبا جعفر سمع بمرسية من أبي علي الصدفي، وأبي محمد بن أبي جعفر ورحل إلى قرطبة في سنة 515هـ-1121م، فسمع من ابن عتاب وابن رشد ومن أبي الخير المروري وغيرهم، ولقي بمالقة منصور بن الخير فأخذ عنه القراءات، ورحل حاجا وبعد انصرافه من أداء الفريضة أقرأ القرآن ببلده وأسمع الحديث وكان منقبضا زاهدا صوّاما قوّاما، توفي سنة 575هـ-1190م[5].

---

[1]- ابن الأبار، التكملة، ص: 62، ت: 198.

[2]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 395.

[3]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 301.

[4]- ابن الأبار، نفسه، ص: 97، 98، ت: 210.

[5]- نفسه، ص: 98، ت: 211.

– ومن أهل **بلنسية** أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري المقرئ يكنى أبا العباس، ويعرف بابن اليتيم وبالبلنسي وبالأندرشي، أخذ القراءات عن أبي الحسن بن موهب وأبي علي بن عريب، وأبي اسحاق بن صالح وأبي العباس بن العريف، وأبي القاسم عبد الرحيم بن محمد الخزرجي، وأبي عمرو والخضر بن عبد الرحمن وغيرهم، ولقي جميعهم بالمرية وسمع منهم ومن ابن ورد وابن عطية، وابن اللوان والرشاطي وابن نافع وأبي عبد الله بن وضاح، وابن أخت غانم وسمع من ابن يسعون كثيرا واختلف إليه مدة، ومن أبي الحجاج القضاعي ومن أبي عبد الله بن أبي زيد، وأجاز له أبو علي الصدفي وابن الفراء وأبو محمد بن السّيد، وأبو القاسم بن بقي وأبو بكر بن العربي وأبو عبد الله بن زغيبة وأبو الفضل بن شرف، ويتكلم عن بعضهم في روايته، كان حافظا حافلا متحققا بالقراءات مشاركا في الحديث والعربية، تصدر للإقراء بمالقة بمسجد العطارين منها مدة طويلة، وأقرأ أيضا بجامع المرية وأخذ منه الناس وسمعوا منه، توفي في رمضان سنة 581هـ-1185م.[1]

– ومنها أيضا أحمد بن علي بن يحي بن عون الله الأنصاري، آخر المقرئين بشرق الأندلس يعرف بالحضار، ويكنى أبا جعفر، سكن بلنسية وداره بدانية وأخذ بها في صغره عن أبي إسحاق بن محارب، ثم لقي أبا الحسن بن هذيل فأخذ عنه القراءات عرضا وسمع منه كثيرا، ومن ابن النعمة وابن سعادة، وأجاز له أبو عبد الله بن أبي عبد الرحيم وابن عبيد الله وعبد الحق الاشبيلي، كما تصدّر للإقراء ورأس في ذلك أهل عصره، وكانت الرحلة إليه في وقته في الأخذ عنه ولم يكن أحد من صناعته يدانيه في الضبط والتجويد والاتقان وحسن الأداء، فقد انفرد بقراءة تأليف ابن النعمة "ري الضمآن في تفسير القرآن"، يقول ابن الأبار(ت685هـ/1286م) أن والده أخذ عنه القراءات وأخذ هو كذلك عنه وأجازه، توفي في 03 صفر 609هـ-1212م[2].

– ومن أهل **مرسية** أحمد بن محمد بن صامت يكنى أبا جعفر أخذ القراءات عن أبي الحسن بن هذيل، وسمع الحديث من أبي القاسم بن حبيش، وكان يؤدّب بالقرآن ويعلّم بالحساب والعربية، توفي سنة 590هـ-1204م[3].

---

[1]- ابن الأبار، التكملة، ص: 103، ت: 221.

[2]- نفسه، ص: 123، ت: 261.

[3]- نفسه، ص: 109، ت: 233.

- ومنها أحمد بن محمد بن حسن بن عبد الملك الفهري، ويكنى أبا جعفر ويعرف بالقرطاجني وبالحميري، أخذ عنه ابن هذيل قرائتي نافع وابن كثير، قيل أنّه أكمل عليه القراءات السبع وله سماع منه في صحيح مسلم وغيره وتصدر للإقراء في بلده وأُخِذ عنه، توفي في شهر ربيع الأول سنة 611هـ-1214م[1].

- ومن أهل **دانية** إبراهيم بن حسين بن يوسف القيسي يعرف بابن محارب ويكنى أبا إسحاق، أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن سعيد، وسمع الحديث من أبي بكر بن برنجال وعلّم بالقرآن، كان معروفا بالتجويد والإتقان مع مشاركة في العربية، كما أخذ عنه القراءات أبو عبد الله بن واجب وأبو الحجاج بن أيوب وأبو الحسن بن خيرة وغيرهم من شيوخ ابن الأبار(ت685هـ/1286م)، توفي سنة 580هـ أو 581هـ-1185م[2].

- ومنها محمد بن الحسن بن محمد بن سعيد، المقرئ بجامع دانية فقيه ومقرئ مجود ضابط ومتقن، يعرف بابن غلام الفرس، وكان زاهدا ورعا مقدّما في الاقراء والضبط والإتقان توفي سنة 547هـ - 1152م[3].

- ومن أهل **شاطبة** إبراهيم بن مجاهد بن محمد اللّخمي ويعرف بابن صاحب الصلاة ويكنى أبا اسحاق، روى عن أبي الحسن بن هذيل وأبي عبد الله بن عبد الرحيم، وأقرأ القرآن وأخذ عنه، قال ابن الأبار(ت685هـ/1286م) كان حيا خلال سنة 621هـ-1224م[4].

- ومن **جزيرة شقر** إبراهيم بن عبيد الله بن محمد بن سليمان بن فروتش(فورتش) العدوي المقرئ الضرير، أخذ القراءات عن أبي عبد الله بن نوح وابن سعادة وهم من شيوخ ابن الأبار، وأخذها

---

[1]- ابن الأبار، التكملة، ص: 127، ت: 267.

[2]- نفسه، ص: 192، ت: 405.

[3]- الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص: 97، 98، ت: 88.

[4]- ابن الأبار، نفسه، ص: 204، ت: 438.

أيضا عن القاضي عتيق بن علي، وعليه اعتمد وسمع من أبي الخطاب بن واجب، وأقرأ القرآن وأخذ عنه، كما كان أديبا له حظ من قرض الشعر[1].

وبهذه المناسبة نخصص مجالا للحديث عن أحد القراء والمفسّرين الذين كان لهم باع طويل في التفسير، ألا وهو عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمان بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكتوم المحاربي، أصله من غرناطة ارتحل إلى المرية وولي بها خطة القضاء ثم صرف عنها إلى لورقة، لكنه توفي هناك في 25 رمضان 546هـ ومولده سنة 481هـ-1088م، كان فقيها عالما بالأحكام والتفسير والحديث والفقه، والنحو والأدب واللغة[2]، ولما كانت غاية علمه الأحكام والتفسير، فإنه قد ترك لنا مصنّفا في هذا المجال وهو "الوجيز في التفسير" أو "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، **"أحسن فيه وأبدع وطار فيه كل مطار"**[3]، حيث كان هذا المصنّف محل اهتمام الكثير من المفسرين، ولكون صاحبه من النحويين وعلاقة النحو بالقرآن والحديث لازم لهما كل لزوم، فحتى النحاة كان لهم نصيب من ذلك الاهتمام، ولهذا فكثيرا ما تعرض له المفسّر **ابن حيان الغرناطي** (ت745هـ-1344م)[4]، حيث أثنى عليه وعلى الزمخشري بقوله: **"أنهما قد أنجد وأغارا، وأشرقا في سماء هذا العلم بدرين وأنارا، وتنزلا من كتب التفسير منزلة الانسان من العين، والذهب**

---

[1]- ابن الأبار، التكملة، ص: 207، 208، ت: 449.

[2]- ابن خاقان، قلائد العقيان، ص: 655. ابن الخطيب، الاحاطة، ج3، ص: 539.ابن قنفد القسنطيني، الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ-1983م، ط4، ص: 263. حول ابن عطية انظر دراسة محمد صالح المسلمي: تراث ابن عطية التفسيري في المحرر الوجيز، التراث المالكي في الغرب الاسلامي(سلسلة ندوات ومناظرات)، دار المعارف الجديدة، الرباط، 1998م ، ص: 9 وما بعدها.

[3]- ابن الخطيب، نفسه، ص: 540. أيضا: المؤلف نفسه، أوصاف الناس في التواريخ والصلات، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة الفضالة المحمدية، المغرب، دتا، ت: 22، ص: 43.

[4]- **ابن حيان الغرناطي**: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الجياني الغرناطي المغربي المالكي ثم الشافعي، ويلقب أيضا بأثير الدين، ولد في غرناطة سنة 654هـ-1256م، قال عنه ابن الخطيب: "كان نسيج وحده في ثقوب الذهن، وصحة الادراك والحفظ، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير وطريق الرواية، إمام النحاة في زمانه.(أنظر: ابن الخطيب، الاحاطة، ج3، ص: 43 وما بعدها).

الابريزي من العين...إن هذان الرجلان هما فارسا علم التفسير...إلى أن قال وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص"[1]، قيل أنه تناول في مقدمة تفسيره احدى عشر بابا، إضافة إلى التقديم الذي بيّن فيه أهمية علم التفسير، والأسباب الداعية للتصنيف والمنهج المتبع في التأليف، كما أنه ركز على مسألة مهمّة تخص علم التفسير وهي الاهتمام باللغة وعلومها كشرح المفردات والآراء النحوية، والقراءات القرآنية حتى الشاذة منها مع التوجيه والنقد[2]، وعلى الجملة فابن عطية من أعلام أكثر الميادين التي رسخت فيها العلوم بالغرب الاسلامي خاصة الأندلس[3].

ب- الحديث والفقه:

لقد نوّه المقري (ت1041هـ/1631م) بأهل الأندلس عامة أن: "**رواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة، ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك"**[4]، والحديث علم مختص بمعرفة الأحاديث وتميز الصحيح والحسن والمرسل والمنقطع والشاذ والغريب والضعيف والموضوع، كما ينظر في الأسانيد والرواة وأسمائهم وأحوالهم وطبقاتهم واختلاف اصطلاحاتهم[5]، أما الفقه فهو "**الاستنباط والاستدراك في معاني الكلام عن طريق التفهم، والحث على معاني الحديث، واستخراج المكنون من سره، وفيه أيضا بيان في ترتيب الكلام وتتريله منازله"**[6]، ولا نحسب الامام مالك إمام دار الهجرة إلا من بين أولئك الذين تعمّقوا في استنباط معاني الكلام وتفهُّمه، واستخراج مكنون أسراره، ونظرا لكونه إمام أهل المدينة الذين كانوا أقرب إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من غيرهم من أهل الأمصار، فإن الأندلسيين عموما أَلِفُوا من المذاهب الفقهية

---

[1]- أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ص: 113.

[2]- عبد المالك قرل، الأبعاد الثقافية والدينية وأثرها في نشأة علوم القرآن(رسالة ماجستير)، إشراف محمد طول، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008م-2009م، ص: 111.

[3]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 317.

[4]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 221.

[5]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص: 177 وما بعدها.

[6]- ابن خير الاشبيلي، الفهرسة، تحقيق بشار عواد معروف و محمود بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2009م، ط1، ص: 31.

المذهب المالكي الذي استطاع فرض نفسه عليهم وتغلّبه على المذاهب الأخرى[1] كا**لأوزاعي**[2] **والظاهري**[3]، وكان لأتباع الامام مالك في منطقة الدراسة دور في نشر هذا المذهب، أولهم الفضل بن عميرة بن راشد الكناني العتقي ويكنى أبا العافية(ت197هـ-815م)، وولده عبد الرحمن(ت227هـ-842م)، بل إن أفراد هذه الأسرة قد توارثوا الفقه المالكي وبذلوا جهدهم على نشره في المنطقة[4]، ولذلك مع نهاية القرن الخامس هجري وبداية السادس، وقع وأن كان التوافق بين هذا المذهب وحركة التجديد التي تزعمها المرابطون القائمة أساسا على هذا الأخير، حتى أمسك فقهاء المالكية بأيديهم الجانب الديني والسياسي من أمور الدولة[5]، حيث إليهم يعود الأمير في إصدار الأحكام والقوانين والتوجيهات، بل أصبحوا منظري السياسة والاقتصاد الشرعيين، أو

---

[1]- ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ط3، ص: 149 وما بعدها.

[2]- **الأوزاعي**: الامام أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحمِد- بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم- الأوزاعي، والأوزاع بطن من حمير ومحلتها قرية خارج باب الفراديس من قرى الشام، ولد في بعلبك سنة 88هـ-707م، لم يكن أعقل منه ولا أورع ولا أعلم ولا أوقر ولا أحلم، ولما عاد إلى محلته بدمشق ساد أهلها وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي، حدث عن مالك بن أنس والثوري والزهري وغيرهم، وروى عنه علماء الحديث كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وأول ما انتشر مذهبه في الأندلس قبل قدوم المذهب المالكي.(انظر: زين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمان الخطيب، محاسن المساعي في مناقب الامام أبي عمرو الأوزاعي، تحقيق الأمير شكيب أرسلان، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، دتا، ص: 46 وما بعدها).

[3]- **المذهب الظاهري**: نسبة إلى إمام المذهب الأول داود بن علي الأصبهاني (202هـ-270هـ)، حيث تلقى الفقه الشافعي، كما كان ممن يطلب الحديث من خلال رحلاته إلى بغداد ونيسابور، ولقد تأثر بالفقه الشافعي في الأخذ بالنصوص واحترامها، ما جعله يتجه إلى النصوص وحدها ويعتبر الشريعة نصوصا فقط، ولا رأي فيها، فلا علم في الاسلام إلا من نص، كما أبطل القياس ولم يأخذ به، ولما سئل عن ذلك قال: أخذت أدلة الشافعي في إبطال الاستحسان، فوجدتها تبطل القياس، وبذلك فهو أول من أظهر القول بظاهرية الشريعة، وأخذ الأحكام من ظواهر النصوص.(أنظر: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، ج2، دار الفكر العربي، مصر، د تا، ص: 346 وما بعدها).

[4]- مصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري-نشأة وخصائص، مطبعة فضالة، المغرب، 1418هـ-1997م، ص: 152 وما بعدها.

[5]- أسامة عبد الحميد حسين، فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، مجلة سرى من رأى، العدد 1، المجلد 1، قسم التاريخ، كلية التربية سامراء، جامعة تكريت، 1436هـ-2005م، ص: 92.

ما يعرف "**باقتصاد المغازي**"، وبسبب المكانة التي بلغوها اتسعت ونمت أملاكهم وصارت النوازل تشرع لهم جواز امتلاك الاقطاعات[1]، وصاروا حكاما في زي الفقهاء.

ولذلك فمنطقة شرق الأندلس قد عرفت هي الأخرى أقطابا كُثُر في الفقه المالكي ورواية الحديث يعجز الوصف عن حصرهم، إلا أن أفكار **الغزالي**[2] التي وجدت لنفسها مكانا في المغرب والأندلس على الجملة أثرت تدريجيا على الوضع القائم منذ عقود، حتى كانت سببا في تشكل نواة صوفية شعبية " **ذات صبغة انتظار خلاص سياسي**" على حد قول غيتشار[3]، بالإضافة إلى انتشار الأفكار الفلسفية التي أقحمت الدين فيما وراء الطبيعة من خلال أفكار ابن مسرة ورسائل إخوان الصفا...وغيرهم.

وبالتالي أوجدت تلك الأفكار طبقة علمية تصدرت كل فروع علم الشريعة وأصبحت تنافس طبقة الفقهاء التقليديين خاصة فقهاء السلطة، ووقع عدم التوافق المطلق في الرؤى والأفكار، أدت في الكثير من الأحيان إلى التصادم غير المباشر، حيث استعمل الفقهاء نفوذهم للنيل من خصومهم منتظرين الفرصة لإضعافهم، وقد برز ذلك الخلاف بشدة أيام إصدار الفتوى الخاصة بحرق كتب الغزالي، فصدرت المعارضة العلنية لهذا القرار من طرف متصوفة الشرق، وبقيت المنافسة على أشدها إلى أن كان استدعاء السلطة لأقطاب الصوفية لاستنطاقهم وكان ابن العريف ممثلا عن شرق الأندلس كله، لا تهمّنا نتيجة الاستنطاق بقدر ما يهمّنا هو التحريض وسعي الفقهاء بين

---

[1]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 330، 331.

[2]- **الغزالي:** أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، فقيه متكلم وفيلسوف وصوفي ومصلح ديني واجتماعي، لُقّب بحجة الاسلام، ولد سنة 450هـ-1058م ، بمدينة طوس من أعمال خراسان، درس الفقه والأصول والجدل والمنطق والكلام والفلسفة على إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، عين مدرسا في المدرسة النظامية سنة 484هـ-1091م، ثم اعتزل التدريس واتجه نحو دمشق والقدس والقاهرة ثم مكة والمدينة وانقطع إلى العبادة وذكر الله، ثم عاد إلى مسقط رأسه في أخريات حياته، ومن مؤلفاته: "إحياء علوم الدين" وهو أهم كتبه في التصوف، وكتاب "تهافت الفلاسفة" وكتاب "المنقذ من الضلال"، توفي سنة 505هـ-1111م.(ابن قنفد القسنطيني، الوفيات، تحقيق عادل نويهض، ص: 266).

[3]- غيتشار، التاريخ الاجتماعي لاسبانيا المسلمة، (الجيوسي، الحضارة العربية، ج2)، ص: 982.

السلطة والمتصوفة[1]، أو بالأحرى ذلك الصراع بين فئتين من العلماء كانت بينهما الحساسية الثقافية أي بين علماء الفروع والمتصوفة خلال عصر المرابطين كما يسميها الباحث محمد الأمين بلغيث[2] .

ولما خلا الجو للسلطة الموحدية القائمة على مبادئ المهدي بن تومرت دخلت تعاليم جديدة لم يسبق لها مثيل في تاريخ المغرب والأندلس ككل، وهذا ما ذهب إليه الجابري أنه قد شن بالغرب الاسلامي ثورة ثقافية، ساهمت في بلورة ثقافة اسلامية مغربية متميزة إشكاليا ومفاهيميا ومنهجيا عن الثقافة الاسلامية بالمشرق[3]، جمعت بين الفقه والسياسة ظاهرها فيه رحمة أهل السنة والجماعة وباطنها من قبلها بين التشيع والاعتزال، وهذا ما بيّنه شوقي ضيف في حديثه عن عقيدة مهدي الموحدين، والتي بُنيت حسب رأيه على ستّة أسس منها أربعة شيعية الأصل وهي الإمامية والمهدوية والعصمة والتنظيم الطبقي لإدارة الحكم، واثنتان ترجع لأهل الاعتزال وهي التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، وقد وصفه بعض الباحثين على أنه خارجيا في تطبيقه للمبدأ الأخير[5]، حيث أنه أنكر على المرابطين مذهبهم جملة وتفصيلا وخرج عنهم حاملا سيفه لتغيير المنكر الذي تراه عينه فيهم، إلا أن بولقطيب نفى أن يكون ابن تومرت شيعيا أو معتزليا بالمعنى

[1]- أوردنا هنا المتصوفة في باب الحديث عن الفقه والحديث باعتبارهم من العلماء فمنهم الفقهاء والمفسرون والمحدثون والقراء وغيرهم من بلغ من علوم الشريعة الدرجة الرفيعة، فهذا أبو العباس بن العريف زعيم الصوفية في شرق الأندلس قال عنه الضبي (ت599هـ/1203م): "فقيه زاهد إمام في الزهد عارف محقق" فقد كان عنده مشاركة في أشياء من العلم وعناية بالقراءات وجمع الروايات واهتمام بطرقها وحملتها. (انظر: الضبي، بغية الملتمس، ص: 190، ت: 361.أيضا، الطاهر مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ، ص: 345).

[2]- محمد الأمين بلغيث، دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص: 147.

[3]- الحسين بولقطيب، ابن تومرت وتجديد الفكر الاسلامي، مجلة الاجتهاد، العدد 20، السنة الخامسة، بيروت لبنان، 1414هـ-1993م، ص: 68.

[4]- شوقي ضيف، عقيدة الموحدين بين الشيعة والاعتزال، مجلة مجمع اللغة العربية، ج76، القاهرة، 1415ه-1995م، ص: 180 وما بعدها

[5]- مبخوت بودواية وعمر راكة، "المهدي بن تومرت" والدعوة الموحدية، مجلة الانسان والمجتمع، العدد7، جامعة تلمسان، ديسمبر 2013، ص: 22.

التام الذي يحمله هذين المصطلحين، وأن الذي تبناه ابن تومرت من هاتين العقيدتين كالمهدوية والعصمة، إنما هو ما يتوافق ويخدم مشروعه التجديدي للفكر الاسلامي وبالذات في بلاد المغرب، كانت نتيجته في ذلك تجاوز الخلافات القبلية المسيطرة على الحياة السياسية، والدليل الذي أتى به صاحب هذا الرأي أن المذهب التومرتي بينه وبين تلك الفرق اختلافات جوهرية منها:

- الشيعة ينكرون ولا يأخذون بالأحاديث التي ترويها السيدة عائشة رضي الله عنها وأحاديث أهل المدينة، بينما مهدي الموحدين يأخذ بها.

- امتداح ابن تومرت للصحابة خاصة الخلفاء من غير علي رضي الله عنهم جميعا، في حين نجد الشيعة ينكرونهم بالجملة بل القدح فيهم وفي خلافتهم ما عدا علي الذي هو إمامهم وفقط.

- كذلك ترتيب ابن تومرت للأئمة بداية من أبي بكر وممن تبعه دون ورود أي ذكر لأئمة الشيعة المعروفين خاصة الاثني عشر، وهذا في نظر صاحب الرأي ما ينفي عنه شيعيته.[1]

ونفس الشيء ينطبق على من قالوا أنه أشعريا أو معتزليا أو غير ذلك من الفرق، وبالتالي ما يمكن الخلوص إليه في هذا المقام هو أن ابن تومرت أصل وجوهر فكره عدم الأخذ بالكلية من تلك المذاهب والرؤى، إلا ما كان يخدم مصلحته الخاصة السياسية فلم يكن مبشرا بل داعي لتجنيد مناضلين للجهاد[2]، لذلك فهو بين بين، لا يمكن من جهة نفي أي صفة تبناها من مختلف المذاهب كالفكر الشيعي والمعتزلي أو الأشعري أو حتى الظاهري[3] والسني من عقيدته، ولا يمكن من جهة أخرى اثباتهما بالجملة وانتسابه بالكلية لجهة بذاتها معينة، نظرا للاختلافات الكثيرة التي يتعارض بها فكره عن تلك المذاهب.

[1]- الحسين بولقطيب، ابن تومرت وتجديد الفكر الاسلامي، ص: 70، 71.

[2]- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، ددن، الاسكندرية، 1991م، ص: 294.

[3]- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت- أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 524هـ-1129م، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثرها بالمغرب، دار الغرب الاسلامي، 1403هـ-1983م، ط1، ص: 493 وما بعدها.

وبهذه المناسبة يمكن طرح التساؤل التالي، ألا وهو: - ما موقف الفقهاء والقضاة ونخص بالذكر المالكية من عقيدة ابن تومرت؟ وما هو رد فعلها على مبادئ الشيعة والاعتزال الظاهرة للعيان؟ مثلما كان موقفهم من الصوفية وأقطابها في منطقة الدراسة؟ وما موقف الموحدين من الفقه المالكي وأقطابه؟

وأما موقف المالكية أو الفقهاء من عقيدة ابن تومرت والكلام هنا خاص بمنطقة شرق الأندلس لا غير[1]، لم تعد المسألة في هذه الظروف مسألة موقف ما يوافق المذهب المالكي أو ما يخالفه، ولكن المسألة هنا مسألة الولاء في حد ذاته لسلطة المذهب – أي المرابطون- وبالتالي انتقل الموقف من الناحية الفكرية الدينية إلى الناحية السياسية، وعليه فلقد رأينا موقف الكثير من الفقهاء والذي تمثل في الثورة أو بالأحرى القبض على زمام المبادرة لما ضعف حال السلطة، وتزعم الكثير منهم في مناطق مختلفة في شرق الأندلس الحركة السياسية والعسكرية واستقلوا بأقاليم جغرافية مع صراع مستمر بين بعض الفقهاء أنفسهم، ولذا فلما مالت الكفّة للموحدين وزالت السلطة المرابطية، وقع ذلك التصادم بينهم وبين الأخيرين، إلا أن فقهاء المنطقة لم يبق لهم خلال ظرف زمني قصير دور في صنع الأحداث وتوجيهها، وذلك لتغلب بعض الشخصيات على زمام الأمور في المنطقة كابن مردنيش من جهة ومن أخرى وقوع بعض المناطق تحت السيطرة النصرانية كمدينة المرية 542هـ/1147م و لم يتم تحريرها إلا بعد عشرة أعوام (552هـ/1157م)، أو بعض المدن الأخرى التي سقطت و لم تسترجع نهائيا كمدينة طرطوشة سنة 553هـ-1158م ومن جهة ثالثة تغلّب الموحدين على أغلب المناطق الأخرى وخضوعها لسلطتهم، وبالتالي المشكلة كانت أكبر من النظر في الاختلافات الفكرية بين مذاهب كلها إسلامية.

أما موقف الموحدين من المالكية فيظهر جليا من خلال ما أورده صاحب المعجب أن الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف(558هـ-580هـ/1152م-1184م)، كان قد أمر بحرق كتب الامام

[1]- هناك اختلاف في المواقف بين الفقهاء في الأندلس خاصة منطقة شرق الأندلس وبين فقهاء مناطق أخرى وبلاد المغرب، فأما شرق الأندلس فكان الصراع على أشده حول من يخلف السلطة المرابطية سواء بين رجال السياسة أو بين الفقهاء في حد ذاتهم، أما باقي المناطق وبلاد المغرب فأغلبهم-الفقهاء- كانوا موالين للمرابطين ومدافعين عنهم، كالقاضي عياض الذي خرج من بلده سبتة وقيام أهلها على الموحدين بتحريض من هذا الأخير، واتجه إلى بني غانية بالأندلس، و لم يعترف بعقيدة الموحدين إلا بعد عن عفا عنه عبد المؤمن بن علي هو وأهل مدينة سبتة. (انظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 191).

مالك، حيث يبين قصده من ذلك قائلا: **"كان قصده في الجملة محو مذهب مالك، وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده، إلا أنهما لم يظهراه"**[1]، ما يوحي به صاحب القول ليس هو موقف الخليفة أبي يعقوب من مذهب الامام مالك وحده فحسب، بل حتى أباه وجده كانا لهما موقف المتنكر لهذا المذهب، لكنهما لم يظهرا تنكرهما صراحة، ربّما كانا على دراية تامة أن أهل المغرب قد تمكن منهم هذا الأخير في عباداتهم ومعاملاتهم وفي حياتهم الخاصة، لذلك لم يشآ أن يحملا الناس على ترك ما ألفوه لقرون، فعبد المؤمن بن علي وقبله ابن تومرت كانا يناظران الفقهاء المالكية في الكثير من المسائل، وذلك لإضعافهم، وبالتالي التقليل من أهمية المذهب ومن ثم محاربته، بل والرجوع بالناس إلى المذهب الظاهري لأن عقيدة الموحدين تتوافق في الكثير من القضايا مع هذا الأخير، بل إن **ابن حزم**(ت456هـ-1064م)[2] كان موضع تقدير لدى الخلفاء الموحدين[3]، وما يؤيد الرأي هذا هو ما قام به الخليفة أبو يعقوب يوسف من حرق لكتب المذهب المالكي كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد وكتاب التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب وما جانس ذلك[4]، وغيرهم، وحمل الناس على تركه[5]، وفي هذا السياق نجد ابن أبي زرع(ت741هـ-1440م) في حديثه عن عبد المؤمن سنة 550هـ-1155م، يقول عنه أنه أمر بحرق كتب الفروع وردّ الناس

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 355. الحسين بولقطيب، ابن تومرت وتجديد الفكر الاسلامي، ص: 69.

[2]- **ابن حزم:** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الظاهري، ولد بقرطبة سنة 384هـ- 994م، كان حافظا عالما بعلوم اللغة والحديث، وعلى يديه انتشر المذهب الظاهري في الأندلس، قال عنه ابن خاقان: "فقيه مستنبط ونبيه بقياسه مرتبط، ما تكلم تقليدا، ولا تعدى اختراعا وتوليدا، ما تمنت به الأندلس أن تكون كالعراق، ولا حنت الأنفس معه إلى تلك الآفاق" ومن أشهر مؤلفاته:" الايصال إلى فهم كتاب الخصال" و"الفصل في الملل والأهواء والنحل" و"جمهرة أنساب العرب" و"طوق الحمامة في الألفة والألآف"، توفي سنة 456هـ- 1064م.(ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس، ص: 279.

[3]- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، ص: 404.

[4]- عبد الواحد المراكشي، نفسه، ص:354، 355. أيضاك: محمد أبو زهرة، نفسه، ص: 403.

[5]- الحسين بولقطيب، نفسه، ص: 69.

إلى قراءة الحديث وكتب بذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة[1]، وهذا ما يبيّن أن عبد المؤمن أعلن حربه على كتب الفروع صراحة وحمل الناس على ذلك علنا، لذلك قال بعضهم أن كلا من ابن تومرت وعبد المؤمن لم يعلنا الحرب على المذهب المالكي، ولكن على كتب الفروع، لأنهما في حد ذاتهما مالكيان، وأما معاداتهما التي حصلت فعلا ضد الفقهاء كانت لأسباب سياسية بحتة منها أن الأخيرين كانوا مؤيدين للمرابطين ضد الموحدين[2]، وأن وضعية الفقه المالكي لم تكن بذلك السوء الذي وصفه بعض المؤرخين، وما يدعم هذا الاتجاه هو مختلف الوظائف التي شغلها فقهاء المالكية في الدولة الموحدية كالقضاء والفرائض والتوثيق والافتاء، أو ما يعرف بالفقه التطبيقي، حيث استغل هؤلاء الفقهاء مناصبهم تلك وفق ما يخدم مذهبهم[3]، ضف إلى ذلك حركة التأليف التي استمر نشاطها وكثير منها كان شرحا لبعض الكتب التي تعرضت للحرق والتلف من طرف السلطة الموحدية في حد ذاتها، كالمدونة التي قام بشرحها الفقيه أبو محمد بن عاشر بن محمد الأنصاري (توفي بشاطبة سنة 577هـ-1181م) وذلك في مصنّف خاص أسماه "الجامع البسيط وبغية الطالب النشيط" ولم ينتهي منه حتى مات[4]، إلى جانبه نجد الفقيه أبو محمد هارون بن أحمد بن جعفر بن عات النفزي(ت 582هـ-1186م)، والذي له كتاب "التنبيهات على مسائل من المدونة والعتبية"، كما شرح الفقيه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن اسماعيل العبدري البلنسي ويدعى ابن منجوال مدونة أبي زيد[5].

ومن أشهر الفقهاء والمحدثين في شرق الأندلس سواء في فترة المرابطين أو الموحدين، نجد:

---

[1]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 195. أيضا: يونس بحري، الفقه المالكي في عصر الموحدين-515هـ-668هـ/1116م-1269م، (دراسة تاريخية واجتماعية)، (رسالة ماجستير)، إشراف صالح بن قربة، جامعة الجزائر1، 1432هـ-1433هـ/2011م-2012م، ص: 48 وما بعدها.

[2]- صديقي عبد الجبار، سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات (رسالة ماجستير)، إشراف مكوي محمد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1434هـ-1435هـ/2013م-2014م، ص: 68 وما بعدها.(نقلا عن كتاب أعز ما يطلب).

[3]- يونس بحري، الفقه المالكي في عصر الموحدين، ص: 54.

[4]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص: 697، ت: 1954.

[5]- يونس بحري، نفسه، ص: 54.

- من **أوريولة** خلف بن سليمان بن فتحون الأوريولي، قال عنه الضبي(ت599هـ/1203م) فقيه عارف، فاضل، ورع، روى عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي وصحبه وقرأ عليه بأوريولة كتاب البخاري مرتين، لما كان قاضيا بها، توفي في ذي القعدة سنة 505هـ-1101م[1].

- ومنها أيضا محمد بن خلف بن سليمان بن خان بن محمد بن فتحون الأوريولي أبو بكر، من الحفّاظ الفقهاء المحدّثين المتقدّمين في الحفظ والذكاء، ومن أكثر اهتماماته العناية بالحديث، حيث قيّد علمه في كتابه "التنبيه على أوهام أبي عمر"، كما ذيّل كتاب الصحابة لأبي عمر بن عبد البر، قال عنه الضبي(ت599هـ/1203م) :" كان كثير الانقباض"، حيث لما دعي لتقلّد قضاء دانية فرّ و لم يظهر له على أثر حتى عفي عنه، توفي سنة 519هـ-1125م[2].

- ومن **مرسية** عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الخشني أبو محمد، قال عنه الضبي(ت599هـ/1203م)، واحد وقته بشرق الأندلس حفظا ومعرفة وعلما بالفروع وسبقا فيها، غير منازع مشهور بالفضل، محافظ على نشر العلم وصونه...لم يعرف أكثر صدقة منه و لم يزل يقرئ الحديث والفقه بمرسية إلى أن توفي بها سنة 526هـ- 1132م[3].

- ومنها محمد بن عبد الرحيم بن محمد الخزرجي أبو عبد الله يعرف بابن الفرس، فقيه عارف محدث، كان يفتي بمرسية وأقرأ بها، ذكر في فهرسته أنه روى عن 85 رجلا من رواة الحديث والفقه، منهم غالب بن عطية وأبو محمد بن عتاب وأبو الوليد محمد بن رشد وأبو بكر بن العربي، وبقي يقرئ الحديث والفقه إلى أن توفي، يقول الضبي أنه أدركه ورآه[4].

[1]- الضبي، بغية الملتمس، ج2، ص: 354، ت: 709.

[2]- نفسه، ج1، ص: 102، 103، ت: 108.

[3]- نفسه، ج2، ص: 436، 437، ت: 896.

[4]- نفسه، ج1، ص: 134، 135، ت: 197.

- ومنها أحمد بن عبد الملك بن موسى بن عبد الملك أبو العباس بن أبي جمرة، قال عنه ابن فرحون: "كان من بيت علم وأصالة، وحسب وجلالة، وكان محدثا راوية فقيها حافظا مشاورا"، توفي سنة 533هـ-1139م[1].

- وعبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الرشاطي الفقيه النسابة أبو محمد، له كتاب "اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار" وهو كتاب غريب كثير الفوائد جامع، أقرأ الحديث في مدينة المرية وفق كتاب "علوم الحديث" للحاكم، توفي سنة 542هـ-1147م[2].

- ومن **المرية** علي بن إبراهيم بن معدان الأنصاري، أبو الحسن يعرف بابن اللوان، فقيه حافظ، محدث، فاضل، ورع زاهد، حدث بالمرية وقد روى عن جلة من علماء الحديث والفقهاء منهم محمد بن حمدين، وأبي القاسم بن خلف بن محمد بن العربي وأبو الحسين بن سراج وأبو علي الصدفي وغيرهم كثير، توفي سنة 533هـ-1139م[3].

- ومنها أحمد بن عمر بن يوسف بن ادريس بن عبد الله بن ورد التميمي، يكنى أبا القاسم ويعرف بابن ورد، كان من جلة الفقهاء والمحدثين، موفور الحظ من الأدب والنحو والتاريخ، متقدّما في علم الأصول والتفسير، حافظا متقنا، يقال إن علم المالكية انتهت إليه الرياسة فيه، روى عن الكثير من العلماء أمثال أبي محمد بن عبد الله بن فرج المعروف بالعسال الزاهد، وروى عنه جماعة أمثال ابن أبي جعفر بن الباذش وابن رفاعة وغيرهم، توفي بالمرية في 12 رمضان سنة 540هـ- 1145م[4].

---

[1]- محمد زين العابدين رستم، بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1430هـ-2009م، ط1، ص: 77.

[2]- الضبي، بغية الملتمس ، ج2، ص: 452، 453، ت: 946.

[3]- نفسه، ج2، ص: 548، ت: 1215.

[4]- ابن الأبار، تحفة القادم، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1406هـ- 1986م، ط1، ص: 32، ت11.أيضا: ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 169 وما بعدها.

- ومنها أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي، ويكنى أبا العباس، كان محدّثا مكثرا ثقة ضابطا، مقرئا مجودا حافظا للفقه ذاكرا للمسائل عارفا بأصولها، متقدّما في علم الكلام عاقدا للشروط بصيرا بعللها، حاذقا بالأحكام، كاتبا بليغا شاعرا محسنا، أتقن أهل عصره خطا وأجلهم مترعا، قرأ القرآن على أبيه وأبي الحسن التطيلي، كما روى عنه أبو محمد بن محمد بن علي بن وهب القضاعي، تولى قضاء غرناطة واشبيلية للموحدين ثم ألزمه الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف(558هـ-580هـ/1152م-1184م) خدمة الخزانة العلمية، وكانت عندهم من الخطط التي لا يعيّن لها إلا كبار أهل العلم وعليُّهم، له تصانيف أهمها كتاب "أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار" توفي يوم الأحد 08 جمادى الأولى سنة 559هـ-1164م[1]، لكن ابن الأبار يذكر وفاته انها كانت سنة 569هـ-1174م[2].

- ومن **جزيرة شقر** ببلنسية أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة **المخزومي**[3]، بلنسي شقوري[4]، ولد بجزيرة شقر ببلنسية في رمضان سنة 582هـ-1186م وتوفي سنة 658هـ-1360م، كان شديد العناية بشأن الرواية فأكثر سماع الحديث وتفنن في العلوم، ونظر في العقليات وأصول الفقه وما إلى الأدب، عُدّ من كبار مجيدي النظم، وأما الكتابة فهو عَلَمها المشهور، وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدهور ولا سيما في مخاطبة الإخوان، فله المطولات المنتخبة والقصار المقتضبة، روى عن أبي الخطاب بن واجب وأبي عمر بن عات وأبي محمد بن حوط الله وروى عنه أبو بكر بن خطاب والحسن بن طاهر بن الشقوري[5].

[1]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، ص: 150، ت: 231. أيضا: ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 363، ت: 576. ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 182 وما بعدها. المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 313 وما بعدها.

[2]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 67، ت: 29.

[3]- سبقت الاشارة إلى قضية نسب بن عميرة لبني مخزوم ورأي المؤرخين في ذلك، في المبحث الخاص بـ **البربر وأماكن استقرارهم بالأندلس**.

[4]- ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 173. يذكر محقق الكتاب أن النسبة هنا "شقوري" إلى مدينة شقورة وهي بلدة تقع شمال شرق مدينة أبدة من ولاية جيان، والأرجح أن كلمة شقوري هي نسبة إلى جزيرة شقر ببلنسية باعتبارها موطن ولادة ابن عميرة.(ابن الخطيب، نفسه، ص: 173).

[5]- نفسه.

ومن شعره في المقطوعات التي ورى فيها بالعلوم قوله:

قد عكفنا على الكتابة حينا وجاءت خطة القضاء تليها

وبكلٍّ لم يبق للجهـــــد إلاّ مترلا نابيا وعيشا كريـــها

نسبة بدلت و لم تتغير مثـــــــــــــــل ما يزعم المهندس فيها[1]

وله جملة قول منها:

وأجلت فكري في وشاحك فانثنى شوقا إليك يجول في جـــــوّال

أنصفت غصن البان إذ لم تدعــه لأود مع عطفك الميـّــــــــال

ورحمت در العقــد حين وضعته متواريا عن ثغـــــــرك المتلالي

كيف اللقاء وفعل وعــــــدك سيئه أبد تخلصه للاستقبــــــــــال

وكمــــــاة قومك ناركم ووقيدها للطارقين أسنة وعــــــــــوالي[2]

له تأليف في كائنة ميورقة وتغلب النصارى عليها سنة 627هـ-1228م[3]، وكتابه في تعقيبه على فخر الدين بن الخطيب الرازي في كتاب المعالم في أصول الفقه، وله رد على كمال الدين أبو محمد بن عبد الكريم السماكي في كتابه المسمى التبيان في علم البيان، ، وأما الرسائل والتي لم يكن هو شخصيا يلقي كثير عناية لتدوينها فقد نقلها عنه صديقه الأديب البلنسي أبو جعفر العقيلي(ت664هـ-1266م)، حيث وردت متفرقة بين مجموعة من المصادر كالذيل والتكملة لابن عبد الملك، وزواهر الفكر وجواهر الفقر لابن المرابط، والروض المعطار للحميري وعنوان الدراية للغبريني[4]، ونفح الطيب للمقري[1] لكن الأستاذ أبو عبد الله بن هانئ السبتي جمعها في مصنف

---

[1]- ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 177.

[2]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 315.

[3]- أبو المطرف بن عميرة، تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007، ط1.

[4]- نفسه، ص: 12.

ضخم في سفرين سمى ذلك بـــ **"بغية المستطرف وغنية المتطرف، من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف"**[2].

ثانيا- علوم اللسان العربي:

لمَّا كان مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، اهتم أهل العلم باللسان العربي وعملوا على التعمق في نواحيه وفروعه التي حصرها ابن خلدون (ت808هــ-1405م) في اللغة والنحو والبيان والأدب[3]، بالإضافة إلى التصريف والمعاني والبديع والعروض والشعر والنثر[4]، وقد اهتم أهل العلم في منطقة الدراسة بهذه العلوم التي تعتبر من مكملات الثقافة والعلوم الدينية، فهي قواعد أساسية لكل باحث وطالب علم[5].

ولمَّا كانت النفس البشرية دائما وأبدا، جُبِلت على مكامنَ في الأعماق عطشى، لا يُشبع ظمأها إلا بعد أن تتعاطى من بحر الأدب، كي تعبر عن ذاتها عن واقعها عن همومها ومشاغلها وعن طموحاتها وآمالها، وليس لها من ذلك الأكثر شيوعا إلا أحد أمرين أو كلاهما معا، النظم والنثر، إذ يخضعان إلى حركية مستمرة تتنوع دوافعها بين ما يعيشه الإنسان من ظروف سياسية حروب وصراعات، انتصارات وانكسارات، أو علاقات اجتماعية، وقد تكون أو أكثر ما كانت الطبيعة مفجرة لعاطفة تنم عن أحاسيس ومشاعر إما طربا وزهوا بها وجمالا، وإما هروبا من واقع أصبح ربما عالم الخيال البيئي مسرحا للترويح عن النفس استجهالا لواقعها وتركها له هنيهة من الزمن خلف ظهرها، فلربما ينتحل ذلك من كان له إحساس مفرط وعاطفة جياشة تغمره عند تفاعله مع واقعه البيئي، كي تنعم نفسه بالسكينة والهدوء، فيتأثر ولا يتمالك نفسه قرب نهر:

لله نَهْرٌ عند ما زُرْتُهُ عَايَنَ طَرْفي منه سحرًا حَلَال

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 305 وما بعدها.

[2]- ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 178.

[3]-ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص: 367.

[4]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 415.

[5]- نفسه.

إذ أصبح الطلّ به ليلُه وحالَ فيها الغُصْنُ شِبْهَ الخيال[1]

أو وسط روض: والرّوضُ بين مفضّضٍ ومُذَهَّبٍ والزّهْـــــرُ بين مُدَرهَمٍ ومُدَنَّرِ

والوُرْقُ تشدو والأراكةُ تَنْثَني والشَّمسُ تَرْفُلُ في قَمِيصٍ أَصْفَرَ[2]

أو أعلى جبل: وأَرْعنٍ طَمَّـــــاح الذُؤَابة باذخ يُطَاولُ أَعْنَان السَّمَاء بِغَارِبِ

يسُدُّ مَهَبَّ الرّيحِ عَن كُلِّ وُجْهَةٍ ويزحمُ لَيْلًا شُهبهُ بِالْمَنَاكِبِ[3]

وقد يكون الهروب إلى الطبيعة والاستئناس بها حالة مَرَضية يكون فيها الخضوع والخنوع محل المقاومة والنضال، وهذا ما يعرف " بالانهزامية"، فيتباكى صاحبه إن لم يبكي ويلقي باللائمة على الدهر والزمن[4].

وبذلك كانت بعض فروع الأدب تعبيرا صادقا عن القضايا السياسية والاجتماعية والأحداث الكبيرة التي عاشتها الأمة، وقد ألقينا الضوء في هذا البحث على الشعر والنحو.

أ- الشعر:

تناول الشعر أغراضا عديدة عرفت منذ القديم، حتى أصبحت مألوفة في كل مكان وزمان كالمدح والوصف والهجاء والغزل والرثاء والحماسة والانتصار بقوى الإسلام على الأعداء أو الشكوى من الواقع والهروب إلى الخيال لسوء حظ أو لسوء منقلب.

1- المدح: رغم ما قيل عن عصر المرابطين الذي زالت فيه بلاطات الملوك المتنافسين فيما بينهم، والتي كانت باعثا على تخليد المآثر والآثار، فإن فن المدح في نظر الكثيرين قد نضبت منابعه و لم يبق

---

[1]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 365.

[2]- نفسه، ص: 373.

[3]- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم3، المجلد2، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1417هـ-1997م، ص: 587.

[4]- سلامة محمد سلمان الهرفي، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين، ص: 380.

له ما يوجبه، إلا أنه ونظرا لما حقّقه المرابطون في الأندلس من انتصارات ووقوفهم في وجه الزحف النصراني، وإعادة الأمن للكثير من المناطق، أوجد المدح نفسه ضرورة لا بد منها لأمراء المرابطين، خاصة في زمن علي بن يوسف(ت 537هـ/ 1143م)، لذلك ظهر على ألسن شعراء العصر الذين مدحوا هذا الأمير أو ذاك، بل لم يقتصر على الطبقة الحاكمة وفقط، وإنما تداول بين مختلف أفراد المجتمع، حتى وإن كان في الغالب وسيلة للتقرب من الأمراء ونيل جوائزهم، لكنه لم يبق على الصورة التي كان عليها أيام الطوائف، وهو في كل الأحوال ليس بالضرورة صَدَقَ الشّاعر في كلامه أو كَذَب، فالمدح في الغالب تملق ولعب على أوتار الممدوح وعواطفه.

ومن بين الشعراء الذين تناولوا هذا الفن خاصة في المناسبات التي كان فيها النصر حليف أمراء الدولة، نجد أبو محمد عبد الله بن واجب الذي ينتمي إلى أسرة، قال عنها ابن سعيد (ت685هـ/1286م) نقلا عن المسهب: "**بنو واجب ذكرهم في كل مكرمة واجب، حازوا بحضرة بلنسية شهرة الذكر، وجلالة القدر، من بين صاحب أحكام وعلم أعلام ووزير مدير، وحسيب شهير، وأبو محمد أديبهم الكامل وشاعرهم المجيد الفاضل**"[1]، حيث كان قد وفد على الأمير علي ومن إنشاده له:

لقد نصر الرّحمن أمَّـــــــة أحمد	بملك علي بين شرق ومغـــــربِ
هو الملك الأعلى الّذي امتد ظِلّـــه	وفاض ندَاه الغُمر في كلّ مذهبِ
إذا طلعت سُود الخُطُــوب فإنّنـــا	لنلمحُ من أضوائه نور كوكـــبِ[2]

وهذا الأمير مزدلي الذي كانت له صولات وجولات في شرق الأندلس، في مكابدة قوى النصارى وجهادهم، مدحه الشاعر أبو عامر بن الأصبغ الناظم الناثر في قوله:

أنت الأمير الـــــذي للمجد همّته	وللممـــــالك يحميـــــها وللدولِ
وللمواهب أو للخــــــــطِّ أَنْمُلَه	ما لم تحــــن إلى الخطية الـــــــذبل

[1]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 315.

[2]- نفسه، ص: 316.

لمزدلي لـــــــــــــواء كان يرفعه   مناسب للضحى والشمس في الحمل

خير التّبابع والأذواء من يمــــــــن   الغالبين على الآفاق والمِــــــــــــلَلِ

يسُود في آخر الأعصار آخرهـــــم   وساد أولهم في الأعصــــــــــــر الأول[1]

وعليه عرفت منطقة الدراسة شعراء كُثر يختلفون في طبائعهم وأمزجتهم ومعارفهم الخاصة بالشعر، وليس بعيدا أن تجد من يظهر براعة في هذا المجال، معتمدين على مواهبهم الذاتية مفتخرين بذلك، فهذا ابن اللبانة(ت507هـ-1113م)، يقول عن نفسه:

من كان ينفق من سواد كتابه   فأنا من نور قلبي أنفق

ولذلك قال عنه صاحب المعجب، بالرغم من قلة معرفته بعلل الشعر، فإنه كان يعتمد في أكثره على جودة طبعه وقوة قريحته[2]، ويضرب لنا في ذلك مثلا على تمكنه من صياغة شعره بأن يمزج بين غرضي المدح والغزل في قصيدة كاملة، وهذا الاتجاه لم يذهب إليه ولا أحد من شعراء الأندلس في أمداحهم المعروفة عنهم، بشهادة صاحب المعجب، حيث يقول: **"وله قصائد أجاد فيها ما شاء، فمنها قصيدة ركب فيها طريقة لم أسمع بها لمتقدم ولا متأخر"**، وذلك بأن جعل صدر أبياته غزل وعجزها مدح، وهذا في قصيدة كاملة قالها في الأمير مبشر بن سليمان:

وضحت وقد فضحت ضيـــاءِ النيِّر   فكأنمـــا التحفت بِبِشر مُبشِّرِ

وتبسّمت عن جوهـــــرٍ فحسِبته   ما قلَّدْتُه محامدي من جوهـــر

وتكلّمت فكأنّ طيب حديثهـــــا   متّعت منه بِطِيب مسك أذفر

هزّت بنغمة لفظها نفسي كمـــــا   هُزَّت بذكراه أعـــــالي المنبر

جادت علي بوصلها فكـــــــأنه   جدوى يديه على المقـــل المقتر

---

[1]- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم 3، المجلد 1، ص: 404، 405.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 212.

سمحت بتعنيقي فقلت صنيعـــــة سمحت علاه بها فلم تتعـــــذر[1]

وبقي المدح في عصر الموحدين وسيلة التكسب والتقرب إلى الخلفاء، فكلما سنحت المناسبة إلا وتجد الشعراء عند أبواب الأمراء يمتدحون ولمآثرهم مخلدون، فهذا الشاعر ابن حزمون تقدم بقصيدة مدح فيها الخليفة أبو يعقوب المنصور بعد انتصاره في معركة الأرك الشهيرة سنة 591هـ-1195م، استحسنها الخليفة والحاضرون، جاء فيها:

حيّتك معطّـــــرة النّفسِ نفحـــــات الفتح بأندلسِ

فذر الكفّار ومأتمهـــــم إن الاسلام لفي عُـــــرسِ

أإمام الحـــــقّ وطاهره طهّرت الأرض من الدّنسِ

وملأت قلوب النّاس هدى فدَنَى التوفيـــــق لملتمسِ

أجـــزيرة أندلس اعتصمي بإمام الأمـــــة واحترسي[2]

ولهذا يمكن القول أن هذا الفن من الشعر خلال فترة الدراسة اقترن بحركة الجهاد بل والانتصار في المعارك التي خاضها الأمراء، سواء المرابطون أو الموحدين، فقد صارت الحرب والمدح من مضامين الشعر في هذا العصر[3]، إذْ اقترن بالظروف السياسية والعسكرية للبلد، ولم يكن مثل أيام العزّ والحياة الهادئة كبعض أيّام النّاصر أو المنصور، ولم يكن على الصورة التي كان عليها أيام الطوائف، والكل يتزلف إلى الأمراء إما نفاقا أو اكتسابا للمعاش.

2- الوصف:

كان للطبيعة أثر بالغ في هذا الغرض، حيث كانت مصدر إلهام، وملاذا عاطفيا للكثير من الشعراء، والشاعر الذي ذاع صيته بما أنشأ من الشعر في وصف الحدائق والرياض، حتى لقب

1- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 212

2- نفسه، ص: 370 وما بعدها.

3- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 362.

"**بالجنان**" هو ابن خفاجة (ت633هـ-1236م)، فروضياته لتفيض روعة وجمالا بأن جعلها فنا مصقولا حافل بالمعاني[1].

نهرٌ كما سال اللِّمَى سلسال وصبًا بَليلٌ ليلها مِكسَـــــالُ

غازلته والأقحوان مَبسِـــــمٌ والآس صُدغٌ والبنفسجُ خال[2]

وإلى جانبه نجد ابن أخته علي بن عطية بن الزقاق(ت529هـ-1134م)، وهذا بدوره قد برع في صياغة التشبيهات القديمة في قوالب جديدة، حتى افتخر به الشقندي (ت629هـ-1238م) في رسائله، حيث قال مخاطبا أبا يحي بن المعلم الطنجي: "**هل منكم شاعر رأى الناس قد ضجوا من سماع تشبيه الثغر بالأقاحي وتشبيه الزهر بالنجوم، وتشبيه الخدود بالشقائق، فتلطّف في ذلك في أن يأتي به في منزع يصيّر خَلِقه في الأسماع جديدا، وكليله في الأفكار حديدا، فأغرب أحسن إغراب، وأعرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل إعراب، وهو ابن الزقاق**"[3]:

وأغيد طاف بالكؤوس ضحى وحثّها والصّباح قد وضحا

والروض أهدى لنا شقائقــه وآسه العنبري قد نفحـــــا

قلنا: وأين الأقاح ؟ قال لنا: أَوْدَعْتُه ثَغْرَ من سقى القدحا

فظل ساقي المدام يجحـــد ما قال فلما تبسّم افتضحـــــا[4]

وهذا ابن الأبار(ت658هـ-1260م) كثيرا ما راحت قريحته تصف ما وقعت عليه عيناه، من ذكر الدواليب أو الحدائق أو القمر أو كل ظواهر الطبيعة من خسوف أو كسوف:

يا حبذا بحـــــــديقة دولاب سكنت إلى حركاته الألباب

---

[1]- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان الأردن، 1997، ص: 44.

[2]- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم3، المجلد2، ص: 622. أيضا: المقري، نفح الطيب، ج3، ص: 202، 344.

[3]- المقري، نفسه، ص: 199.

[4]- نفسه، ص: 200.

غنَّى ولم يطرب وسقى وهْوَ لم يشرب ومنه العود والأكواب

أو قوله في القمر: نظرت إلى البدر عند الخسوف وقد شين منظره الأزين

كما سـفرت صفحة للحبيب فحجبـها برقع أدكن[1]

تعدد الوصف بين الطبيعة وجمالها إلى وصف حيِّها وجمادها إلى وصف المدن والافتخار بها، وهذه الصفة ميزت مدن شرق الأندلس خاصة المدن الكبرى مثل بلنسية، التي قال عنها أبو الحسن علي بن الحريق(ت622هـ-1225م):

بلنسية قرارة كلّ حُسنٍ حديث صحَّ في شرق وغـــربِ

فإن قالوا محلَّ غلاء سعرٍ ومسقط ديمتي طعن وضـــربِ

فقل هي جنّة حَفّت رُبَاها بمكروهين من جوع وحـــربِ[2]

وهذا أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بابن اللبانة (ت507هـ-1113م) اتّخذ من الشعر صناعة وتخيّره مكسبا ، قال عنه صاحب المعجب: **"جمع بين سهولة الألفاظ ورشاقتها، وجودة المعاني ولطافتها"**[3]، الذي كانت آخر أيامه في جزيرة ميورقة يقول عنها، مستعينا بما في الطبيعة من أوصاف:

بلد أعَارتهُ الحَمَامةُ طَوقَها وكساه حُلّةً ريشُهُ الطَّاوُوسُ

وكأنَّما تلك المياه مُدَامَــة وكأنَّ قِيعانَ الدِّيار كُؤوسُ[4]

---

[1]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 310، 311.

[2]- نفسه، ص: 320.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 211، 212.

[4]- ابن سعيد، نفسه، ص: 466.

3- الرثاء:

وهذا الغرض كغيره من أغراض الشعر التي تعبر عن الأحاسيس والمشاعر لكونها لصيقة بأعماق الذات الإنسانية، وقد وجد هذا النوع في منطقة الدراسة، وخير مثال في ذلك، ابن الأبار (ت658هـ-1260م) فقد رثى أستاذه **أبو الربيع سليمان الكلاعي**[1] الذي استشهد في **موقعة أنيشة** عام 634هـ-1236م[2]، منها قوله:

ألما بأشلاء العلا والمكـــــــارم	تقد بأطراف القنا والصـــــوارم
وعوجا عليها مأربا وحفـــــاوة	مصارع غصت بالطلا والجماجم
هم القوم راحوا للشهادة فاغتدوا	وما لهم في فوزهم من مقـــــاوم
فأي بهاء غار ليس بطالـــــــع	وأي سناء غاب ليس بقــــادم
ســــــــلام على الدنيا إذا لم بها	محيا سليمان بن موسى بن سالم[3]

والقصيدة طويلة في حوالي أكثر من 100 بيت.

[1]- **أبو الربيع سليمان الكلاعي:** سليمان بن موسى بن حسّان بن أحمد بن عبد السلام الحميري الكلاعي، يكنى أبا الربيع ويعرف بابن سالم، من أهل العلم حافظا للحديث، ضابطا لأحكام أسانيده، كاتبا بليغا، خطب بجامع بلنسية وبها استقضي، كان من أولي الحزم والبسالة والاقدام ويباشر القتال بنفسه، آخر غزوة له التي استشهد فيها "أنيشة"، ومن تصانيفه التي فاقت العشرين "الأربعون عن أربعين شيخا لأربعين من الصحابة"، بالاضافة إلى ديوان شعر، استشهد يوم الخميس20 ذي الحجة سنة 634هـ الموافق لـ 14 أغسطس 1237م، ورثاه ابن الأبار في قصيدة فاقت المائة بيت.(انظر: ابن الخطيب، الاحاطة، ج4، ص: 303 وما بعدها).

[2]- **موقعة أنيشة:** موقعة أنيشة أو إنيجة سمّيت باسم الحصن والتل الذي كانت تقع في ظاهره، على بعد سبعة أميال شمالي بلنسية، وكان من أمنع حصون هذه المدينة الأمامية، وقد هدّمه الأمير أبو جميل زيان حتى لا يستعمله الأرجونيون لمهاجمة المدينة. إلا أن هؤلاء احتلوا المنطقة التي يقع في الحصن، فأراد الأمير أبو جميل طردهم منها واستعادتها وحشد جيشا لذلك، فوقعت بين الطرفين موقعة كانت شديدة الوطأ على المسلمين وقتل منهم جماعة كبيرة، كان منهم الكثير من علماء بلنسية، وذلك في يوم 20 ذي الحجة سنة 634هـ الموافق لـ 14 أغسطس 1237م.(انظر: ابن الخطيب، نفسه، هامش صفحة 303).

[3]- ابن الخطيب، نفسه، ص: 304 وما بعدها.

وقال ابن خفاجة في صديق له توفي باشبيلية:

ومثليَ يبكي للمصاب بِمِثلـــــه فإن أخلَقَ الصّبر الجميل فأخلقِ
فقد كان يوم الرَّوع أبيض صارمًا بكفِّي ويوم الفخر تاجا بمفرقِي[1]

وقد يكون المرء مرثيا فتنتحل الطبيعة حركة حزينة، مثل قول ابن خفاجة:

في ناد منك روض ثنـــــــــاء وبكل خد فيك جدول ماء
ولكل شخص هزه الغصن الندي تحت البكاء ورنة المكـــــاء
يا مطلـــــــع الأنوار إن بمقلتي أسفا عليك لمــطلع الأنواء[2]

وعلى هذا المنوال نسج شاعرنا هذا كلمات تملأ النفس حسرة وأسى رثاءً لأحبائه ورثاءً لنفسه على زمنه الحاضر وما منه مضى، حيث يقول:

شراب الأماني لو علمت سراب وعتبى الليالي لو عرفت عتاب
وهل مهجة الانسان إلا طــريدة يحوم عليها للحمـــــام عقاب
وكيف يغيض الدمع أو يبرد الحشا وقد باد لأقران وفات شباب
دعا بهم داعي الردى فكــــأنما تبارت بهم خيل هناك عــراب[3]

وأما بكاء المدن وسقوطها في أيدي النصارى، فإن هذا اللون من الشعر لم يكن له موقع في الشعر الأندلسي، إلا بعد تراجع القوى الإسلامية بعد انفراط عقد الخلافة، وانقسام البلاد أشلاء ممزقة بين أبناء البلد من قبل النصارى، ولذلك استغل الأخيرون الوضع لصالحهم منذ بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وإلى سقوط الأندلس نهائيا في أيديهم وخروج المسلمين

[1]- ابن بسام، الذخيرة، القسم3، المجلد2، ص: 608.

[2]- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 169.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 539. ابن بسام، نفسه، ص: 565.

من شبه الجزيرة في نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، رغم أن هذه المرحلة تخللتها سيطرة القوى الإسلامية المغربية متمثلة في المرابطين والموحدين، إلا أن البلاد كانت تتعرض في بعض الأوقات إلى اقتطاع جزء من بلدة أو قرية أو حصن ويخرج نهائيا من أيدي المسلمين، وهنا بدا شعر المبكيات واضحا من خلال تلك القصائد التي تركها شعراء الأندلس على الجملة ونخص منهم بالذكر منطقة شرق الأندلس.

لقد صادف دخول المرابطين الأندلس وبسط سيطرتهم عليها، ووقوع بلنسية والتي تعد من أهم مدن منطقة الدراسة في عهدهم في أيدي الفارس القشتالي القنبيطور، الذي أذاق أهلها مرارة الأيام، خاصة وما لقيه قاضيها ابن جحاف على يديه من عذاب، وتعرّض المدينة إلى أعمال التخريب، كان هذا الوضع باعثا على دفع الخواطر إلى التعبير عن الوضع المآل، فهذا ابن خفاجة يقول بعد تأثره بما حل بمحلته يرثيها:

عاثت بساحتك العـــدا يا دار	ومحا محاسنك البلى والنـــــــار
فإذا تردّد في جنابك ناظـــــر	طال اعتبار فيك واستعبـــــــار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها	وتمخّضت بخرابها الأقـــــــدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها	"لا أنت أنت ولا الدّيار ديـــــار"[1]

4- الهجاء:

وهذا النوع من الشعر به البوح عن البغض أو الكره أو ذكر مساءة حصلت أو ذم خُلِق مستحدث أو غير ذلك، بل هو أشد ضروب الشعر افسادا لأنه يهون على المرء كونه في حالة أهل السفه المتكسبين بالخماسة وتمزيق الأعراض وهتك الحرمات[2]، ولذلك يشتهر أحيانا الشاعر الواحد في هذا النوع من الشعر ويختص به دون غيره، مثل ما كان عليه أبو بكر يحي بن سهل اليكّي من

---

[1]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 185.(نقلا عن ديوان ابن خفاجة).

[2]- احسان عباس، هل كان الشعر في الأندلس سببا في انحلال أخلاقها ثم سقوطها، أم كان لها مجرد مرآة وانعكاس؟ مجلة الأصالة، العدد 27، تلمسان، 1975، ص: 192.

الهجاء، وينتسب هذا إلى يكّة من حصون مدينة مرسية(ت560هــ-1165م)، وصفه ابن سعيد(ت685هــ-1286م) نقلا عن المسهب أنه هو ابن رومي عصره وحطيئة دهره، لا تجيد قريحته إلا في الهجاء، ولا تنشط به في غير ذلك من الأنحاء[1]، قال عنه الضبي(ت599هــ-1203م): **"شاعر تصرف في فنون وتعرف حتى بالضب والنون، خبيث الهجاء..."**[2]، ولذلك سمي هجّاء المغرب، ومن مشهور قوله في المرابطين رغم مدحه لهم سلفا:

في كل من ربط اللّثـــــام دناءة ولو أنه يعلو على كيـــــــوان

ما الفخر عندهم سوى أن ينقلوا من بطن زانية لظهر حصـــــان

المنتمون لِحِمْيَر لكنّهــــــــــم وضعوا القرون مواضع التيجــان

لا تطلبنَّ مرابطا ذا عفـــّـــــة واطلب شعاع النار في الغدران[3]

ولما كان الشعر في الواقع يسجل ويدون أحداث عصره، فقد قيل في القديم أنه ديوان العرب نظرا لما يحفظه من أيامهم وأحداث زمانهم، فإن هذا الغرض نجده يصور لنا مشهدا بلغه الفقهاء في عصر المرابطين، وما حصّلوه من رتب وأموال بسبب تأييد السلطة لهم، بل واعتمادهم عليهم في أمور الدولة، حتى أصبحت هذه المهنة سبب الغنى والمكانة السامية في المجتمع، ولهذا استغل شاعرنا لسانه الهَجَّاء في النَّيل من هذه الفئة في بعض أشعاره منها:

ثماني خصال في الفقيه وعرسه وثنتان والتحقيق في الأمر شيّق

ويكذب أحيانا ويحلف حانثا ويكفر تقليدا ويرشى ويحمق

وعاشرة والذنب فيها لأمّــه إذا ذكرت لم يبق للشتم منطق[4]

---

[1]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 266، ت: 536.

[2]- الضبي، بغية الملتمس، ص: 488.

[3]- ابن سعيد، نفسه، ص: 267، 268.

[4]- نفسه، ص: 267.

وربما تجد الشاعر من فرط هجوه وذمّه للناس وتعوده على ذلك، وأُلفته لألفاظ الهجاء ومعانيه، فإنّه لا يتورّع حتى في هجو نفسه وذمّها، فهذا أبو الحسن علي بن حزمون وقد قال عنه ابن سعيد(ت685هـ-1286م): **"صاعقة من صواعق الهجاء"**[1] يذكرنا بالحطيئة في زمانه، وقال عنه صاحب المعجب:" **أن له قدم في الآداب، واتساع في أنواع الشعر...وله في الهجاء يد لا تطاول غير أنه يفحش في كثير منه**"، ولذلك فقد نال حظوة وثروة خوفا من لسانه وحذرا من هجائه[2]، إذ يقول عن نفسه:

تأمّلت وجهي في المـــــــــرآة فخِلته   كوجه عجوز قد أشارت إلى اللّهو

إذا شئت أن تهجو تأمّل خليقــــــتي   فإنّ بها ما قد أردت من الهجــــــو

كـــــــــأنّ على الأزرار منّي عورة   تنادي الورى غضّوا ولا تنظروا نحوي

فلـــو كنت ممّا تنبت الأرض لم أكن   من الرّائق الباهي ولا الطيّب الحلـــو

وأقبح مـــــــــن مرآي بطني فـــإنه   يقرقر مثل الرّعد في مهمه جــــــو[3]

وأحيانا تجد الهجاء لغة تخاطب بين رجلين رَدَّتْهُمَا صروف الحياة متخاصمين، فهذا أبي الحسن بن شلبون المعافري البلنسي يهجو ابن الأبار في قوله:

لا تعجبوا لمضرة نالت جميــــــــع الناس صادرة عن الأبار

أو ليس فارا خِلقة وخَليقة   والفار مجبول على الاضرار

فرد عليه ابن الأبار:

قل لابن شلبون مقال تنزه   غيري يجاريك الهجاء فجار

1- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 214.

2- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 373.

3- نفسه، ص: 373، 374. أيضا: ابن سعيد، نفسه، ص: 214، 215. المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 314.

إنا اقتسمنا خطتينا بيننا فحملت برة واحتملت فجار[1]

5- الإستعطاف والاستنصار: وهو ما يتوجه به لطلب العفو عن الزلل، وتذكير بالنعم فهذا أبو عامر بن عقيد وهو من جهات مرسية وقد جمع بين النظم والنثر، يقول عنه ابن سعيد(ت685هـ-1286م): "**غير خامل المكان ولا منكر الإحسان** "[2]، كان قد اعتقله الأمير المرابطي على شرق الأندلس، إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، بعد أن وُشي به إليه أنه يفشي سرّه لأنّه كان من كتّابه، فبعث إليه استعطافا:

أتأخذني بذنب ثم تنسى من الحسنات ألفا ثم ألفا

وتتركني لأسياف الأعادي وليس يهُزُّ قولي منك عطفا

كأنك ما ثنيت إلى الخطا كأنك ما مددت إلي كفا

جعلت أبي على رحلي وما إن له ذنب يهان به ويجفى

فأعجب الأمير ما داعبه به في البيت الأخير فأعاده إلى مكانه[3].

وقد يكون الاستعطاف طلب المدد والعون والاستنصار على الأعداء خاصة وهذه الفترة، قد غلبت النصارى على زمام الأمور وأحاطوا بالمدن الإسلامية يتخطفونها من كل جهة، فهذا ابن الأبار(ت658هـ-1250م)، لما ضيق العدو على مدبنة بلنسية وكانت السلطة الموحدية وما تعيشه من هوان، التجأ هذا الشاعر موليا وجهه شطر الدولة الحفصية، طلبا للنجدة والنصرة، فأرسل قصيدة هزت مشاعر الأمير الحفصي مطلعها:

أدرك بخيلك خيلِ اللهِ أندلسا إن السّبيل إلى منجاها درسا[4]

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 265.

[2]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 253.

[3]- نفسه، ص: 254.

[4]- المقري، نفسه، ص: 590.

حيث أرسل هذا الأمير بدوره أسطولا مُحمّلا بالميرة والذخيرة إلا أنه لم يستطع الوصول إلى هدفه، فكانت أن وقعت المدينة في أيدي النصارى سنة 636هـ-1238م.

وهذه جزيرة ميورقة هي الأخرى تقع في أيدي النصارى، ويكثر خطاب الاستصراخ شعرا ونثرا لإنقاذ المدينة واسترجاعها، فقد تمثّل القاضي بقصيدة موجّهًا إيّاها إلى أمراء الدولة لاستنقاذها كما قال ابن خاقان(ت529هـ-1135م)، وربّما الأمير المقصود بذلك هو علي بن يوسف لأن المدينة تعرضت لهجوم النصارى بعد حصارها سنة 508هـ/1114م، بعدها كان تدخّل المرابطين وتقديم المساعدة لأميرها مبشر بن سليمان وتم له استرجاع المدينة وإخراج النصارى، جاء فيها:

ونحـــــــو أمير المسلمين تطامحت نواظـــــر آمال وأيدي رغــائب

من النّاس تستدعي حفيظة عدلـــه لصـــدمة خطب في ميورق ناصب

لقتل وسبي واصطلام شــــــريعة لقد عظمت في القوم سود المصائب[1]

6- الغزل والتشبيب:

كان دخول المرابطين إلى الأندلس بمثابة ضربة قاسمة لما اعتاد عليه أهلها من متع الحياة واللهو والعبث بل والمجون، خاصة أمراء الفتنة ومن حام حولهم ونهج طريقهم، وذلك للتعاليم التي بنى عليها المرابطون دولتهم والقائمة على محاربة الفساد أيا كان نوعه **"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"**، خاصة وأن ظروف المنطقة كانت قد انحلّت فيها الروابط الأخلاقية، وصار الشّعر والشّعراء أغلبهم من هو منبطح أعلاه يحكي لدى مولاه، أو منبطح أدناه يبكي على ليلاه، يدعو إلى لقاء الحبيب ونيل منه المطلوب، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن الشّعر صار في مجمله ماجنا، فالذات الإنسانية في كل زمان ومكان تعبّر عن عاطفة صادقة ونبيلة ترجو الاقتراب من المعشوق وفق ما أحل الله ووافق الشرع، حيث الظروف السياسية على وجه الخصوص فرضت تعاليم الدين القائمة على العفة والطهارة ورجوع الناس إلى الصفاء الذهني والحسي والعاطفي، خاصة في عصر

[1]- ابن خاقان، قلائد العقيان، ص: 668.

المرابطين[1]، فهذا أبو محمد عبد الله بن عبيد الرحمن بن جحاف المعافري، وهو من بيوت بلنسية القديمة الذائعة الصيت(ت551هـ-1156م)، له شعر في هذا المقام ذا ألفاظ تحمل معنى الغزل والحب الذي ليس من مطلوبه إلا ما تقبله المُهج وترتاح له الأنفس، جاء في بعضه:

هن البدور على الغصون المُيَّسِ طلعت فكان مقامها في الأنفس

يرفُلن في حلل الحـــــرير تأوُّدا وقد انتقبن براقع من سُندس

وإذا مررن أثرن ما بي من هوى يا حُسنُهنَّ وحسن ذاك الملبس[2]

وله في أخرى: يا أيها القمر الـــــذي قد صرت في كالسّهى

أدمي بخدك أم جـــرى ماء العقيق على المهـــا

خذ مهجتي وهب الرضى واجعلهما هاء وهـــا[3]

وهذا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي من أهل برشانة بالمرية، ورغم اختصاصه بالطب، إلا أنه كان شاعرا مجيدا، وله موضع في باب الغزل، توفي بمراكش سنة 581هـ-1185م[4]، جاء في بعض شعره:

يقولون لي ظمياء أضحت عليلة فقلت فما بالي إذن بقيت حيـّا

أتصبح شمس الأرض كاسفة السّنا ولا يعتري جسمي لعلتها فيـّـــا

إذا ما طوى عني السّقام وصـــالها طوى الموت روحي في ملاءته طيّا

وله في أخرى:

---

[1]- سلسبيل محمد محود نوفل، شعر الأطباء في الأندلس القرن السادس للهجرة(أطروحة استكمالا لدرجة الماجستير)، إشراف وائل أبو صالح، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009م، ص: 14.

[2]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 55، ت: 24.

[3]- نفسه، ص: 55.

[4]- نفسه، ص: 96، ت: 43.

سألت من المليحة برء دائي برشف برودها العذب المزاج

فما زالت تُقبِّلُ في جفـــوني وتُبهرُني بأصناف الحجـــاج

وقالت إنّ طرفك كان أصلا لدائك فليقـــدّم في العلاج[1]

ونفس الظروف عرفها الأندلسيون مع دخول الموحدين وإعلانهم الحرب على المفاسد وعودة منهج **"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"** من جديد، وهذا دائما مع بداية قيام كلا الدولتين- المرابطية والموحدية- إذ سرعان ما تعود الظروف أدراجها، وتجد لها فسحة المتع والطرب التي وردت في أشعار الكثيرين، خاصة من متعاطي الخمور والغناء، متغنّين بها بل البعض منهم لم تبق له لذة في الحديث إلا عنها:

لم تبق عندي للصّبا لـــذة إلا الأحاديث عن الخمــــــر

أو: وما بقيت من اللذّات إلا محادثة الرجال على الشراب[2]

هكذا ورد على لسان الشاعر أبو الحسن علي بن حريق(ت622هـــ-1231م)، الّذي قال عنه، صاحب التكملة: **"شاعر بلنسية الفحل المستبحر في الآداب واللّغات، كان عالما بفنون الآداب، حافظا لأيّام العرب وأشعارها، شاعرا مفلّقا ذا بديهة، اعترف له بالسبق بلغاء وقته"**[3].

وأحيانا إن لم تكن الخمر مقصودة بذاتها ففي التشبيه بها تعبير عن حالة ما وضعية كانت أو نفسية،

تعلّقته نشوان من خمر ريقه له رشفها دوني ولي دونها السكر[4]

7- الطبيعة والشعر: مثلت الطبيعة العنصر الأساس في الشعر الأندلسي في منطقة الدراسة خلال العصر المرابطي والموحدي، بل كانت هي الشعر كله، وذلك من خلال تكثيف مظاهرها

---

[1]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 97، 99.

[2]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 319، 320.

[3]- ابن الأبار، نفسه، ص: 679. أيضا: ابن سعيد، نفسه، ص: 319، 320. المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 279.

[4]- المقري، نفسه، ج3، ص: 356.

واستعمالها في أغلب أغراض الشعر المعروفة، قال عنهم الحجاري: "**وهم أشعر الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والطيور والكؤوس، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن، وابن خفاجة سابقهم في هذا المضمار، الحائز فيها قصب الرهان.."**[1]، وهذه شهادة للشاعر الذي مثل بحق الطبيعة الشعرية بشعر الطبيعة وهو إبراهيم بن الفتح بن عبد الله أبو اسحاق بن خفاجة(451هـ-533هـ/1059م-1139م)، قال عنه الضبي (ت599هـ-1203م):"**شاعر مشهور، متقدم مبرز، حسن الشعر جدا...كانت له همّة رفيعة...**"[2]، حيث لعبت بيئته التي تربّى بين أحضانها، مدينة بلنسية مطيب الأندلس وجزيرة شقر المزهوة بجمالها وطيب تربتها والغنية بالبساتين والحدائق والروضات والمياه الجارية، كل هذه ساعدته أو عملت على تفجير الطاقة الشعرية لديه، خاصة لما توافق ذلك مع دخول المرابطين المنطقة وحلول الأمن محل الحروب والصراعات التي كانت زمن طوائف الفتنة، وهذا ما نود الإشارة إليه بالمناسبة، فقد تغيّرت حال شاعرنا الذي لم يظهر أثره الشعري و لم تتفجّر طاقته الشعرية أكثر إلا زمن المرابطين، وكأنّ هذا الأخير كان يبحث عن ظرف خاص، وهو الأمن والهدوء، وهذا ما يفضله كل ذوي الأحاسيس والعواطف المرهفة، ودليلنا في ذلك أن الطبيعة كانت موجودة زمن الطوائف وشاعرنا أيضا كان هناك ولكن الشعر لم يكن، إلا بعد استتباب الأمن والهدوء.

إن ابن خفاجة قد زاد في التشخيص وفي الرابطة العاطفية بينه وبين الطبيعة واعتمد وسائل فنية جديدة متصلة بملكات خاصة لديه، إنه كما أضاف إحسان عباس:" **لم يكتفِ بربط الطبيعة بموضوع الحب ومجلس الخمر، بل ربطها بكل موضوع- الفناء والزهد عامة- فبعث فيها المعاني الحزينة وتحدث إليها وتحدثت إليه في صمتها أو حركتها"**[3].

وعليه كانت الطبيعة عنده هي الشعر والشعر هو الطبيعة، فقد صارت ملاذه بعدما كانت فيها لذاته، "فالجبل الذي كان يتحادث معه، لم يكن يعبر عن طول الصمود ولذة الخلود فحسب، وإنما

---

[1]- محمد رضوان الداية، النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ-1993م، ط2، ص: 17.(نقلا عن المقري).

[2]- الضبي، بغية الملتمس، ص: 265، 266، ت: 504.

[3]- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 163.

يعبر عن استثقاله للحياة ووحدته بعد ذهاب إخوانه، بل كان شبح الموت ماثلا أمام عينيه دائما محاولا بذلك الهروب منه"[1].

أما تأمله للقمر فقد استخلص منه العبر في دورته بين الاكتمال والنقص والاختفاء والظهور، وهو بذاك يقدم صورة ما تثيرها الطبيعة في نفس الشاعر وتبعث فيه الشعور بالفناء:

لقد أصَخْتُ إلى نَجْواكَ مِن قَمَرٍ وبِتّ أُدْلِجُ بَين الوَعي والنّظَـــــرِ

وإن صَمَتَّ ففي مَرْآكَ لي عِظَةٌ قد أَفْصَحَتْ لي عَنهَا أَلْسُنُ العِبرِ

تَمُرُّ من نَاقِصٍ حَورًا، ومُكتَمِلٍ كَورًا، ومن مُرتقٍ طَورًا ومُنحَدِرِ[2]

وكثيرا ما وظّف الطبيعة وما تحويه في أوصاف شتّى، "كالذئب والنار والنهر المتدفق وعاصف البرد والبحر في هياجه...وغيرها، مما يستدعي الانفعال والحركة الشديدة"[3].

وعلى كلٍّ لم ينفرد ابن خفاجة بتوظيف الطبيعة في أشعاره، فقد بدا تأثير هذا الأخير واضحا عند ابن أخته، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عطية المشهور بابن الزقاق(ت530هـ-1136م) وأضاف صاحب الذيل والتكملة أنه ابن مطرف بن سلمة اللخمي[4]، قال عنه ابن سعيد (ت685هـ-1286م) نقلا عن المسهب: **"لشعره تعشّقٌ بالقلوب، وتعلق بالسمع، وأعانه على ذلك مع الطبع القابل، كونه استمد من خاله ابن خفاجة، ونزع منزعه"**[5]، وقال أيضا نقلا عن سمط الجمان أنه: **"المطبوع بالاصفاق، ذو الأنفاس السحرية الرقاق، المتصرف بين مطبوع الحجاز ومصنوع العراق، الذي حكى بأشعاره زهر الرياض، وأخجل بإشاراته عثرات الجفون**

---

[1]- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 163.

[2]- ابن بسام، الذخيرة، القسم3، المجلد2، ص: 648.

[3]- إحسان عباس، نفسه، ص: 168 وما بعدها.

[4]- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، القسم الأول، السفر الخامس ، ت: 526، ص: 265.

[5]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 323 وما بعدها.

المراض، وراض بطبعه على شأو الرضا وطلق السرى فانقاد له وارتاض"[1]، وبالتالي كان ابن خفاجة باعث شاعرية ابن أخته، خاصة وقد وفّر له مادة يعيشها في واقعه وهي موجودة أمامه دون تكلّف، ما كان عليه فقط إلا أن يطلق العنان لألفاظه وتراكيبه كي تعبّر كيفما تشاء، فالطبيعة هي كل مراد شعري أراده، حتى غلبت عليه مثل الكثيرين ألفاظها، فصارت مادة له في كل نظم حتى وإن كان الموضوع ليست له علاقة مباشرة بالطبيعة، فمثلا في وصفه للسيف يقول:

يبتزّ عن صفحته غمده كما انجلى عن مائه الطحلب[2]

إذن ما علاقة الماء والطحلب بالسيف إلا ذلك التشبيه الذي وضعه الشاعر.

وله في وصف قوس: يا ربَّ مائسةِ الأعطافِ مُخطفةٍ إذا دنا نَزعُها فالعيشُ مُنتزحُ

ظلَّت ترنُّ وظلَّ النَّزْعُ يَعطفُـــها كما ترنَّم نَشْوان بِهِ مـــــــرحُ

وقد تألَّق نصلُ السَّهمِ مُندفِعـــا عنها فَقُل كَوكَب يَرمِي بِهِ قُزَحُ[3]

أو كما قال في الفرس: يخترق النقع على أشقر ينقض منه في الوغى كوكب

تطير في الحُضْرِ به أربع يطوى لها المشرق والمغـــرب[4]

ومن جزيرة شقر أيضا في زمن الموحدين، برز في هذا المجال الشاعر أحمد بن محمد بن طلحة ويكنى أبا جعفر، حيث كتب عن ولاة الأمر من بني عبد المؤمن، ثم استكتبه ابن هود بعد تغلبه على بعض البلاد من الأندلس بل استوزره، ذكر ابن الخطيب(ت776هـ/ 1374م) أن والده كان يُكثر مجالسته وبينهما مزاورة، وهو الذي كان يقول لجلسائه من أهل الأدب والشعر **"تقيمون**

[1]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 323 وما بعدها.

[2]- نفسه، ص: 326.

[3]- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول ، ص: 265.

[4]- نفسه، ص: 326.

القيامة بحبيب والبحتري والمتنبي وفي عصركم من يهتدي إلى ما لم يهتد إليه المتقدمون ولا المتأخرون"، وأغلب نظمه إلا وتحاكيه الطبيعة بمختلف مظاهرها.

ومن شعره: والشّمسُ لا تشربُ خَمرَ النّدى في الرّوض إلا بكأس الشّقّيق[1]

ولما طلب منه ابن الخطيب أن يسمعه من نظمه، فإنك لا تجد في كل ما قاله إلا والطبيعة لها ضرب فيه، منه:

أدرها فالسّماء بدت عروسا مضمخة الملابس بالغــوال

وخدُّ الأرض خفــره أصيل وجفن النّهر كحل بالظّلال

وجيد الغُصن يشرق في لآل تضيء بهنّ أكناف اللّيــالي[2]

وله أيضا: هات المدام إذا رأيت شبيهها في الأفق يا فردا بغير شبيه

فالصّبح قد ذبح الظّلام بنصله فغدت حمائمه تخاصِم فيه[3]

ومن مدينة المرية نجد أبو الأصبغ عيسى بن محمد العبدري، المعروف بابن الواعظ، له شعر يصور فيه فصول السنة مع تفضيل فصل الربيع على غيره من الفصول، لما فيه من نَور ونُور، حيث يقول:

إن قيل في الصيف ريحان وفاكهة فالأرض مغبرة والجو محـــــرور

وإن يكن في الخريف النخل مخترفا فالأرض مربدة والجـــــو مأسور

وإن يكن في الشتاء الغيث منسكبا فالأرض مبتلة والجو مقـــــرور

ما الدهـــــر إلا الربيع المستنير إذا أتى الربيع أتى النَّــور والنّــُور

الأرض سندسة والجو لؤلـــــؤة والنور فيرزوج والماء بلّـــــور

[1]- ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 236.

[2]- نفسه، ص: 236، 237..

[3]- نفسه، ص: 236.

من شـــم ريح تحيات الرياض يقل لا المسك مسك ولا الكافور كافور[1]

وبالتالي فإنك لا تجد شاعرا أيا كانت طباعه وأيا كان اتجاهه، إلا وتجد الطبيعة ماثلة في ثنايا قصائده، بل قل في البيت والبيتين يتمثل بهما، وبهذا كانت الطبيعة فعلا هي الصورة الكبرى التي تمثل مشاعر الانسان وأحاسيسه وكل تصوراته.

ب- النثر:

وهو الكلام غير الموزون وقد يكون سجعا أو مرسلا من غير تقييد بسجع، حيث يستعمل عادة في الخطب والأدعية[2]، وتتنوع مقاصده حسب الألفاظ الدالة على معاني الأشياء، كالجمل الخبرية والانشائية والاستعارة والبلاغة[3]، ربما الكثير من يجعل بين النثر والشعر حاجزا وفاصلا، إلا أنه مع تتبع الكلام أيا كانت صفته شعرا أم نثرا فكليهما يخضعان في الأخير للكتابة، إذ كل نص منهما يخضع لعملية الشرح، وبالتالي الشرح هو تفسير مراد القول ولا يكون في الغالب إلا نثرا، وما ابن السيد البطليوسي(ت521هـ-1127م) في هذا إلا مثلا بارزا في الدراسات الأدبية واللغوية، كيف لا وهو الشارح لكثير من دواوين الشعر العربي، حيث اجتمع علمه ذاك في الكثير من المصنفات أشهرها "شرح سقط الزند للمعري"[4].

ولقد عرف هذا النوع الأدبي تطورا كباقي العلوم في منطقة الدراسة عبر المراحل الزمنية المتتابعة للحكم الاسلامي، فبعد أن كان يمتاز بالبساطة بعيدا عن التعقيد، انتقل إلى التطويل والاطناب والفخامة في التراكيب والتفنن في الأساليب، كل ذلك كان أيام الأمويين وبداية عصر الطوائف، ليعرف نقلة نوعية خلال عصر الطوائف والمرابطين، حتى بلغ مرحلة من الصناعة الدقيقة بلوازمها من ألوان البديع والبيان المختلفة، أما عصر الموحدين فقد دخل هذا الفن مرحلة التكلف

[1]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 83، 84.

[2]-ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص: 393.

[3]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 430.

[4]- محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ-1993م، ط2، ص: 181.

والاسراف[1]، وغالبا ما كانت الثقافة الخاصة بالأفراد تنعكس على الكتابة النثرية، حيث تكسو النصوص مسحة تلك الثقافة، فالفقيه والمحدث والمفسّر تطبع كتاباته الوجهة الدينية الواضحة، أما صاحب الفكر الفلسفي أو الرياضي فتكون فلسفته بارزة للعيان في كتاباته وإنشائه الأدبي.

وعليه فقد عرفت الكتابة النثرية اتساعا في الاستعمال خاصة لدى مصالح الدولة، حتى انه كان هناك ديوان خاص يسمى "ديوان الانشاء"، حيث توكل مهمته إلى نبغاء وعلماء اللغة العربية، إذ تتوقف عليهم كتابة وانشاء كل مراسيم الدولة وتدوين قوانينها، خاصة مراسلات الأمير لولاته أو قادة جنده أو تلك المراسلات التي تكون بين الدولة وغيرها من الدول.

ج- الدراسات النحوية:

ويعود الفضل الأكبر للقرآن الكريم في تطور دراسات اللغة والنقد اللغوي، فكثيرا ما وقف علماء الشريعة الاسلامية عند ألفاظ القرآن وآياته لبيان أوجه الاعراب، ولا بد من معرفة مفردات اللغة غريبها إعرابها ومعانيها[2]، هذا وقد نبغ في منطقة شرق الأندلس شخصيات بارزة كان لها دور في الذهاب بعيدا بهذا العلم، الذي له اتصال بكل مناحي علوم الشرع والأدب من شعر ونثر، خاصة وأن فترة المرابطين قد سبقتها فترة الطوائف التي ازدهرت فيها كل اتجاهات الفكر والأدب، ومن بين هذه الشخصيات نجد:

- ابن خلصة وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن فتح بن قاسم بن سليمان بن سويد اللخمي، كان أستاذا في علم اللسان والأدب فصيحا مفوها حافظا للغات، حيث كان يدرس كتاب سيبويه بدانية وبلنسية وبعدها المرية، كما كانت له يد في النثر والنظم، توفي بالمرية سنة 521هـ-1127م[3].

- أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير الأنصاري، كان إماما متقدما بارعا في علوم اللسان نحوا ولغة وأدبا، كاتبا بليغا وشاعرا مجيدا، متفننا في الآداب، له رسائل بديعة وتواليف

---

[1]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 318.

[2]- عبد المالك قرل، الأبعاد الثقافية والدينية وأثرها في نشأة علوم القرآن، ص: 64.

[3]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 07، 08، ت: 01.

منها: "كتاب الحلل في شرح الجمل" و"كتاب جودة البيان وفريدة العِقيان" و"كتاب القرط" و"كتاب مشاهير الموشحين بالأندلس"، توفي سنة 571هـ-1175م[1]، قال عنه ابن عبد الملك: " **بديع التشبيه عجيب الاختراع والتوليد"**، وذلك لكثرة تشبيهاته التي يصورها في كثير من شعره، وذلك في وصفه لكل مناظر رآها هزت مشاعره وأوقدت في نفسه حركات البديع، فهو لا يتوانى عن وصف دولاب أو رمانة أو حتى إبرة.

لله دولاب يفيض بسلســـــل   في روضة قـــد أينعت أفنانا

ضاقت مجاري جفنه عن دمعه   فتفتحت أضلاعــه أجفانا

أو: وساكنة من ظلال الغصـــون   بخـــــــدر تروقك أفنانه

تضاحك أترابها فيه لمـــــــا   غدا الجـــــو تدمع أجفانه

أو: وخيط ضاق عنه وصفي   يعجز عـــن فعله اليماني

يكمـــــن في لبدة ويبدو   كالعرق في باطن اللسان[2]

- ومن شاطبة أبو محمد عبد الله بن يحي بن عبد الله بن فتوح الحضرمي الداني النحوي، المعروف بعبدون وبابن صاحب الصلاة، أقرأ النحو بشاطبة زمانا ثم انتقل إلى بلنسية لتأديب أبناء الأمير بلنسية أبو الحجاج يوسف بن سعد، فكان يعلّمهم العربية في القصر، فإذا انفصل عنهم يعلّم الناس بمسجد رحبة القاضي، حيث كان مبرزا في العربية مشاركا في الفقه يقول الشعر.

- إبراهيم بن أحمد الباهلي، الذي كانت له صحبة مع أبي بكر بن نمارة فأخذ عنه وكتب له "مقدمة ابن بابشاذ" في النحو سنة 533هـ/ أواخر 1138م.

ومن أهم أعلام النحو هو من عرضنا به الحديث سابقا في قسم التفسير إنه عبد الحق بن غالب بن عطية(ت546هـ-1151م)، فقد كان لغويا عارفا بالنحو والأدب[1].

[1]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 69، ت: 31. أيضا: ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ق1، س5، ص: 187 وما بعدها، ت: 372.

[2]- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ص: 190 وما بعدها.

- ومن بلنسية برع الامام النحوي والأديب اللغوي أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيِّد البطليوسي(ت521هـ/1127م)، كان عالما باللغات والآداب متبحرا فيهما انتصب لإقراء علم النحو في بلنسية حيث اهتم بكتاب الجمل للزجاجي[2]، وله عدة مصنفات في هذا المجال منها: "الحلل في شرح أبيات الجمل" و "المسائل المنثورة في النحو" و"المقتبس في شرح موطا مالك بن أنس" و"الاقتضاب في شرح أدب الكتاب" و"التنبيه على السبب الموجب لاختلاف العلماء، في اعتقاداتهم وآرائهم، وسائر أغراضهم وأنحائهم" أو "التنبيه المستولي على كل أمر الديانة، نبيه" و"إثبات النبوات وتحقيق الشرائع والديانات" ، ونظرا للكم الهائل لمؤلفاته ونزعته اللغوية والأدبية قيل أنه جمع بين الشعر واللغة والنحو والأصول[3]، قال عنه ابن خاقان(ت529هـ-1135م): **"إمام الأوان، ومعلم النحو، وعلم الاثبات فيه والمحو، وبه يدرك غامضه، ويستثار رابضه... لديه تنشد ضوالٌّ الأعراب، وتوجد شوارد اللغات والإعراب..."**[4]. ولا أدل على ذلك مما هو عليه من علم النحو، تلك المناظرة النحوية والتي وقعت بينه وبين ابن باجة، ورغم أن الأخير أفحمه فيما يرى حسين مؤنس عن رأيه في مسائل النحو[5]، إلا أن القاعدة التي انطلق كل منهما تختلف عن بعضهما فيما يرى الباحث بلغيث[6].

---

[1]- ابن الخطيب، الاحاطة، ج3، ص: 539.

[2]- ابن خاقان، قلائد العقيان، ص: 706 وما بعدها. أيضا: المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ-1940م، ص: 105 وما بعدها. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص: 294.

[3]- محمد المختار ولد أبّاه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1429هـ2008م، ط2، ص: 240.

[4]- ابن خاقان، نفسه، ص: 706 وما بعدها. أيضا: المقري، نفسه، ص: 105 وما بعدها. ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس- منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف،(رسالة لنيل درجة أستاذ في الأدب)، ص: 256.

[5]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج1، ص: 423 (نقلا عن حسين مؤنس).

[6]- نفسه.

- ومن مرسية محمد بن إبراهيم الجذامي الغرناطي ابن الحاج أبو عبد الله كان أستاذا مقرئا، فقيها عارفا بالنحو واللغة والأدب، روى عن كبار النحو في المنطقة كابن عطية وابن الفرس، توفي بمرسية سنة 540هـ- 1145م[1].

بالإضافة إلى جماعة طيبة من النحاة واللغويين منهم الفقيه أبو بكر محمد بن أغلب بن أبي الدوس، من أهل مرسية توفي سنة 511هـ-1117م[2]، والعالم اللغوي أبو عبد الله محمد بن معمر ويعرف بابن أخت غانم، أصله من مالقة، توفي سنة 524هـ-1129م[3].

د- الموشحات والزجل: الموشحات مشتقة من الوشاح، وهي في تصور الأندلسيين كرقعة الثوب فيها خطوط تنتظمه أفقيا وعموديا، أي ذلك الثوب الذي تختلف عليه الألوان والخطوط مشكلة بذلك زخرفة لها جمال ورونق[4]، وأحيانا كانت تستعمل للتعبير عن بعض المعاني البلاغية[5] .

وأما عن ظهورها ونشأتها يقول ابن خلدون (ت808هـ-1405م): **"وأما أهل الأندلس فلمّا كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنّا سمّوه بالموشّح ينظمونه أسماطا وأغصانا أغصانا، مكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة...واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه، وقد تقدم فن الموشحات وشاع شيوعا عظيما في عصر المرابطين"**[6].

يُفهم من كلام ابن خلدون أن الموشح بلغه المجتمع الأندلسي لما بلغ شأو الشعر عندهم الغاية وكثر تناوله، فهو إذن وليد تقدم النظم والشعر، فمؤلفوه أولا وقبل كل شيء شعراء خاصة في

---

[1]- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1384هـ-1964م، ط1، ص: 8، 9

[2]- ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص: 300، 301. أيضا: المقري، نفح الطيب، ج4، ص: 30.

[3]- المقري، نفسه، ج3، ص: 397. أيضا: مريم قاسم طويل، مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح، ص: 126.

[4]- إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 176.

[5]- محمد زكريا عناني، الموشحات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1980م، ص: 17.

[6]- المقري، نفسه، ج7، ص: 5. أيضا: عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 391.

زمن المرابطين، وبهذا يثبت ابن خلدون حقيقة تاريخية، كثيرا ما أنكرها بعض المتحاملين على الدولة المرابطية، خاصة منهم بعض المستشرقين، الذين استغلوا ما ورد في مصادر كتبت زمن الموحدين أعداء المرابطين، مظهرين بذلك تعصبهم للأولى، بأن سوق الشعر قد نضبت أيام الملثمين ويضربون مثلا من البلاهة المصطنعة وضعوها على لسان يوسف بن تاشفين[1]. ومنطق التاريخ في ذلك أن المرابطين على الأقل ورثوا التقدم الفكري على اختلاف مشاربه الذي كان زمن الطوائف، ولا أحد ينكر ما كان عليه الأخيرين إذ يعتبر عصرهم أزهى عصور الفكر، فكيف بدولة ترث هذه التركة العلمية وتوصف بالتخلف والبلاهة في هذا الميدان؟ ومن المفارقات العجيبة التي تتميز بها بعض الدراسات لبعض المستشرقين، أمثال بالنثيا، أنه يتحدّث عن ركود الثّقافة الأندلسية خلال عصر المرابطين واصفا إياه بأنه عصر تأخر وانكماش لهذا المجال، وفي نفس الوقت يتحدث عن الشعر الأندلسي، ويضرب في ذلك مثلا لأهم أعلام الشعر-ابن خفاجة وابن الزقاق- إذ يقول عن الأول ما قاله غرسية غومس في روضيات ابن خفاجة: "**إنها سائغة بديعة تصدر عن طبع فني لماح، فتبدو وكأنها مشاهد خيالية ...ويمكن القول أنه سبق شعراءنا في وصف الطبيعة..وقد كان أثر طريقة ابن خفاجة عظيما بعيدا..**"، أما عن ابن الزقاق فيقول: "**فالسرّ في براعته يرجع إلى تلك الألوان الرقيقة التي يلجأ إليها ليُغيّر من التشبيهات التي ملّها الناس لكثرة تواردها**"، بل أكثر من ذلك فهو يعتبر كلا الشاعرين **الذروة العليا للشعر القديم المجدد**[2]. إذن أيّ نقد هذا يقدّمه صاحبنا لركود الثقافة الأندلسية خلال عصر المرابطين وأيّ حجة يقدّمها لتبرير أقواله.

ربما قلّ تعاطي الشّعر عند الأمراء لا لشيء إلا لأنهم كانوا في ظرف كل أوقاتهم كان يشغلها عمل واحد وهو الجهاد في سبيل الله، والكل يعلم أن النصارى خلال تلك الفترة اشتد تكالبهم على المسلمين وبلاد الأندلس.

---

[1]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص: 191. آنخل جينثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د تا ، ص: 123.

[2]- بالنثيا، نفسه، ص: 123، 124.

وعليه فإن الموشح قد تميز بكونه مرتبط بالغناء، لأن الأخير قد سهّل على الوشاح ركوب الأعاريض المهملة، من خلال التناسب المفقود بالمد والقصر والزيادة والخطفة[1]، وهذا ما يوحي أن الأندلسيين لما بلغوا ما بلغوه من أسباب الراحة والترف، وكأنك بهم يبحثون عن ما يطربون به أنفسهم، فقد أصبح الشعر عندهم مألوفا ولا بد من وجود فن آخر يسمح بتناول الكثير من معاني الطرب في صورة أرقى وأطرب، فتوصلوا إلى الوشاح، حيث ضرورة تناسب الكلمات مع حرية التحكم فيها وفق ما تستهويهم من موسيقى، وقد اشترط الكثير منهم عدم التكلّف حتى تستصاغ ألفاظه وتسهل على المستمع وعلى الملحن، فهذا ابن حزمون أحد أهل التوشيح في مرسية يقول للرئيس يحي الخزرجي: ما الموشح بموشح حتى يكون عاريا من التكلّف، وتمثل في ذلك بقوله:

يا هاجري   هل إلى الوصال   منك سبيل

أو هل يرى   عن هواك سال   قلب العليل[2]

وبذلك يكون قد نفى التكلّف الذي وقع فيه أهل المشرق الذي كثيرا ما عابه ابن خلدون عنهم[3].

كان ابن حزمون من أصحاب التوشيح خبيرا بصنعته، يحسن اختيار كلماته ذات المعنى الرصين، وله موشحة في عثمان بن عبد المؤمن منها:

يا ليلة الوصل والسعود   بالله عودي

كم بت في ليلة التمني

لا أعرف الهجر والتجني

ألثم ثغر المنى وأجني

من فوق رمانتي نهود   زهر الخدود

---

[1]- احسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 180.

[2]- المقري، نفح الطيب، ج7، ص: 10، أيضا: أزهار الرياض، ج2، ص: 211. محمد زكريا عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، ص: 167 وما بعدها.

[3]- نفسه، ص: 14.

بسمع صوت ونقر عود من كف خود

مدح الأمير الأجل أولى

السيد الماجد المعلى

تاج الملوك السنى الأعلى

أفضل من سار بالجنود تحت البنود[1]

ومن هنا يمكن القول أن لفن التوشيح أغراض مثل أغراض الشعر المعروفة بين المدح والرثاء والوصف...وغيرها، إلا أن موسيقاه تتجاوب مع نقر العود أو مختلف آلات الطرب التي من شأنها تعكس طرب الكلمات بمختلف الألحان.

ولما شاع هذا الفن وانتشر في ربوع البلاد لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع أجزائه، نسجت العامة على منواله من غير تقيّد بإعراب فولد لديهم جراء ذلك فن آخر وهو **فن الزجل** وهو شعر غنائي يصاغ في فقرات تسمى أبيات، تتشكل من "المركز" أو "السمط"، وتليها أغصان وكل غصن يتكون من ثلاث مصاريع لها وزن واحد وقافية، وتنتهي المقطوعة ببيت يكون على شاكلة المركز وزنا وقافية حتى يتوافق إنشاده ويتيسر مع نغمات العود أو المزمار ولغته دارجة ملحونة[2]، وربّما هناك فرق طفيف بين الفنين الموشحات والزجل في كون الأخير يصاغ باللغة الدارجة أو العامية حيث يتغنى به في الطرقات، أما الموشحة فتكون في العربي الفصيح، وربما قد تطلق على المهذب من الزّجل الذي ينظم بأسلوب بليغ أرفع من أسلوب الأزجال المعروف[3].

[1]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 215، 216.

[2]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 318.

[3]- الطاهر مكي، دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 189.

ثالثا– العلوم الاجتماعية:

أ– التاريخ:

ولما كان التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية[1]، هو سجل الأحداث التي عاشها الإنسان، فإن منطقة شرق الأندلس حظيت باهتمام علمائها على تسجيل وتدوين ما عاشته من وقائع، ولم يتركوا في ذلك أي جانب من جوانب الحياة اليومية للمجتمع والاقتصاد والسياسة وغيرها..، ولأن أغلب المهتّمين بالكتابة التاريخية وبعد تعرّفهم على استعمال هذه المادة استنادا إلى التقويم الهجري، فقد توصلوا بصورة مستقلة تبعا لمعطياتهم الثقافية الجديدة إلى الاستنتاج، بأن النموذج التاريخي المرتّب على السّنين هو الوسيلة الفضلى للوصول إلى الغرض التاريخي[2]، وبالتالي توصلوا إلى النماذج الأساسية لعلم التاريخ متمثّلة في إيراد الخبر في شكل حوليات تعالج مواضيع متتالية الوقوع وقوفا عند التواريخ الكبرى والصغرى[3]، ولما كان التاريخ له ارتباط مباشر بالدين الاسلامي الذي هو رسالة عالمية يجب أن تصل إلى كل البشر عبر كل الأزمان، فقد لحقت الكتابة التاريخية بكل ما تعلق بها، خاصة لما تطورت الأخيرة من تدوين الأحاديث النبوية وأسانيدها إلى الكتابة عن العلماء والرواة والترجمة لهم ولأعمالهم العلمية والفكرية، وهذا ما نلحظه بشكل جلي في كتب التراجم وأصحابها الذين هم في الغالب **فقهاء مؤرخون**[4].

وعليه فإن منطقة الدراسة كان لها نصيب في حركة التدوين خلال عصر المرابطين والموحدين، حتى وإن كانت الفترة الأخيرة هي التي برز خلالها التدوين التاريخي أكثر من الأولى، وهنا يمكن الاشارة إلى نوع خاص من الكتابة التاريخية وهي تدوين التاريخ المحلي لمنطقة جغرافية معينة في فترة مخصوصة، حتى أنك تجد الكثير من الأحداث التي وقعت زمن المرابطين دونت خلال عصر الموحدين، والكثير منها لم تتحرى الصدق المطلوب عند المؤرخ صاحب التدوين، كالذي وجد

[1]– ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص: 92.

[2]– محمد أحمد ترحيني، المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دتا، ص: 135.

[3]– نفسه، ص: 135.

[4]– بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 548.

عند ابن علقمة(ت509هـ-1115م)، بل قل أنها تتفاوت من مؤرخ لآخر فعبد الواحد المراكشي في المعجب ليس كابن صاحب الصلاة في المن وكلاهما ليسا كالشقندي في رسائل التفضيل..وهكذا، ومن هذا كلّه كانت الكتابة التاريخية تعتمد أسلوبين تمثلا في : -التدوين على الحوادث أو السنين – والتدوين على التراجم[1]، فالتدوين على الحوادث أو السنين وهذا ما يعرف بالحوليات والتي هي بمثابة أبرز الصور التأسيسية لعلم التاريخ عند العرب والمسلمين وهذا ما أتينا على ذكره آنفا، وعلى هذا الأساس ظهرت كتابة السير والتراجم[2].

1- التدوين على الحوادث:

وأهم مصنف في هذا المجال خلال فترة الدراسة هو ما دونه عمدة مؤرخي شرق الأندلس **ابن علقمة (ت509هـ-1115م)**[3]في:**"البيان الواضح في الملم الفادح"**، وذلك لمّا تعرّضت بلده بلنسية لاحتلال النصارى المرتزقة القنبيطور وأعوانه ما بين سني(487هـ-495هـ/1094م-1102م)[4]، حيث اهتم مؤرّخنا بتسجيل كل ما وقف عليه من أحداث شهدتها مدينته، وبالتالي فإن معاصرة الأحداث وكتابتها تعتبر من أصدق صور التدوين التاريخي، ولهذا فإن المؤرخ الفرنسي جاك لوغوف J.Le Goff لم يكن قد جانب الصواب لما أرجع الجذر الاغريقي لكلمة Histoire هو Histor ومعناها الشاهد بمعنى البصير أو المبصر[5] Voyeur، إذا ما توفرت الأمانة والنزاهة عند الكاتب، حيث الصّدق الدقّة والتفصيل، خاصة وقد تعلّق الأمر بالأرض والعرض والدين، إذ يُعدّ

---

[1]- إيمان محمود جمادي العبيدي، التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري،(أطروحة دكتوراه)، إشراف كريم عجيل حسين، جامعة الأنبار، 1433هـ 2011م، ص: 14.

[2]- وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ – اتجاهات- مدارس- مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013م، ط2، ص: 56، 57.

[3]- **ابن علقمة**: أبو محمد عبد الله بن محمد بن الخلف بن الحسن بن اسماعيل الصدفي، ولد سنة 428هـ-1035م وتوفي سنة 509هـ-1115م، نقل عنه ابن الأبار في التكملة بعض الأخبار من كتابه المذكور أعلاه.(أنظر: ابن الأبار، التكملة، ج2، ص: 146، ت: 514).

[4]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 305، 306.أيضا: عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 401.

[5]- وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ، ص: 28.

هذا المصنّف من أهم مصنّفات التاريخ خلال القرن 5هـ/11م، قال عنه ابن عذارى(كان حيا سنة 712هـ-1312م): **"أنه يبكي القارئ ويذهل العاقل"**[1]، لقد بكى وأبكى ابن علقمة من خلال ما سجل من مظاهر السوء والفساد الذي حل بمحلته بلنسية، من انقطاع السبل وانتشار قطاع الطرق وتفاقم سوء الحال[2]، بل أصبح مصدرا اعتمد عليه أغلب من أتى بعد ابن علقمة من المؤرخين والجغرافيين وكُتّاب السّير، أمثال ابن الأبار(ت658هـ/1260م) وابن الكردبوس(ق6هـ/12م) وابن عبد الملك المراكشي (ت703هـ -1303م) وابن عذارى المراكشي(كان حيا سنة 712هـ-1312م) وابن الخطيب (ت776هـ-1374م)[3]، حيث أتى على ذكر الأحداث مرتبة زمنيا حسب وقوعها.

ومن مدينة طرطوشة نجد مؤرخا بل ضرب مثلا من ضروب الكتابة والتدوين، وهو **محمد بن أحمد بن عامر السَّالمي(ت559هـ-1163م)**، أبو عامر السالمي، قال عنه ابن عبد الملك (ت703هـ/1303م): "كان أديبا فصيحا تاريخيا حافظا، وصنّف في الحديث والآداب واللغة والتواريخ وعبارة الرؤيا كتبا مفيدة"، أهمها كتاب (**درر القلائد وغرر الفوائد في أخبار الأندلس وأمرائها وطبقات علمائها وشعرائها)**"[4]، وقد وقف ابن عبد الملك على السفرين الأول والثاني، وما تخليد صاحبهما كلماته على ظهر الأول منهما، إلا دليلا على حضور الكتابة التاريخية التي تنقل الأخبار من جيل إلى جيل، وقد صرح هذا المؤرخ بذلك في قوله:

كتبت وإني بالمنية موقـــــن ... وإن كتابي بعد موتي سينسخ

وقد نسخت كفي تواليف جمة ... تعود مع الأيام تبلي وتنسخ

سأبلى وأفنى بالتراب وإنهـــا ... لتبقى وإسرافيل في الصور ينفخ

[1]- ابن عذارى، البيان، ج4، ص: 148.

[2]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 559.

[3]- أبو مصطفى، نفسه، ص: 305، 306.

[4]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر6، ص: 7، 8، ت: 7.

فيا رب عفوا عن يد خطت الخطا فقـــد يخطئ الانسان فيما يؤرخ[1]

كما نجده يتحدث عن نفسه المولعة بالكتابة وتخليد الآثار، وذلك فيما يرويه ابن عبد الملك (ت703هــ-1303م) على لسانه، حيث يقول: "**ولم أزل مولعا بالتأليف راغبا في التصنيف، جعلته هجيراي وقطعت به دنياي، دون تقرب به لرئيس، ولو سمح فيه بمال نفيس، فممّا ألّفته إلى انقراض دولة المرابطين سنة تسع وثلاثين وخمسمائة**"[2]، وهنا ينبّه صاحب القول على ظاهرة الكتابة التاريخية التي تتحرّى الصدق والأمانة في تدوين الأخبار، دون مساومة من سلطة الدولة ولو كان ذلك بالمال النفيس، رغم أنّه كان كاتبا عند ابن مردنيش[3]، هذا من جهة ومن أخرى يوحي كلامه أن الكتابة التاريخية الموجهة من طرف جهات معينة كانت موجودة في زمنه أو في زمن من سبقه، ولو لم تكن لما نوّه بتأليفه الحر صاحب الرأي فيه هو وفقط، وأنّه لم يكن من النوع الذي يتقرب إلى الخلفاء بالكتابة التي تكسبه رضاهم عنه، وهنا يمكن أن نطرح في هذا الشأن سؤالا، هل فعلا السّالمي لم يكن من أولئك الذين يتقرّبون إلى الأمراء، خاصة وأنه قد كتب عند ابن مردنيش الذي لم يكن يتورع عن أخذ حتى ضريبة المأتم؟ إذ كيف يسمح للسّالمي أن يكتب حرا دون توجيه كتاباته إلى ما يخدم مصلحته السياسية؟

إذا ما لاحظنا أهم كتاب في التاريخ والأخبار كتبه السّالمي وهو "**درر القلائد وغرر الفوائد**"، الذي اعتمده ابن الأبار في نقل بعض الأخبار[4]، قد صرّح فيه صاحبه أن أخباره تلك تتوقف عند انتهاء الدولة المرابطية، إذن لماذا لم يستمر مؤرخنا في تدوين الأخبار، خاصة الثورة على المرابطين ثم تحكم ابن مردنيش في إقليم الشرق كلّه لمدة ربع قرن عاش أغلبها السالمي في ظل دولة الأخير؟

لا يمكن بأي حال التعرف على حقيقة الأوضاع التي كان يعيشها هذا المؤرخ، حتى وإن كتب عند صاحب الدولة ابن مردنيش، فربّما لزم الصّمت عن الأحداث اللاحقة لسقوط المرابطين، تجنّبا

[1]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر6، ص: 7، 8، ت: 7.

[2]- نفسه.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص: 213، ت: 725.

[4]- نفسه.

لأي اتهام من طرف أمير الدولة، أو أنّه كتب عنده حتى يبرئ ساحته من ذلك، أم كان من الأصحاب الذين ذكرهم ابن الخطيب(ت776هـ- 1374م)في وصفه لابن مردنيش أنه : **"لم يصحب قط متشرعا، ولا نشأ في أصحابه من كان متورعا.."** [1]، أم أنه كان من أصحاب **التعمية Encipher** [2] الذين يغضون طرف أقلامهم عن أمور يجب أن تُخفى، إما لظروف سياسية أو اجتماعية أو غير ذلك، لأن أحداث التاريخ البشري المدونة على الصحائف والمصنّفات والكتب، كثير منها لم يُصرَّح بحقائقها نظرا للظروف المختلفة، التي تحيط بالأفراد والمجتمعات والدول من كل جوانب الحياة.

وهذا ما يدل على أن السّالمي قد جمع علما من أخبار الحوادث والتراجم على السواء، وبذلك فقد جمع بين أسلوبي الكتابة الّلذّيْن قسّمنا الكتابة التاريخية على أساسهما في هذا المقام، لكن لا يمكن الخروج برأي خاص بمنهجه في كتابة التاريخ وهذا ما توصل إليه الباحث بلغيث[3]، استنادا إلى ما ذكره ابن عبد الملك في قوله عن كتاب **"درر القلائد وغرر الفوائد"**: "وقد وقفت له في هذا الكتاب على أغلاط لغوية وأوهام نحوية وضروب من الخلل في الهجاء الخطي مصدر بعضها- فيما أرى- الغفلة، ولا جواب عن بعضها إلا الغفلة والجري على المألوف وعبارة العوام"[4].

وعليه فإن رغبة مؤرخنا هذا الجامحة في التأليف، أنتجت لنا في الأخير كَمًّا هائلا من المصنفات في التاريخ وفي غيره من العلوم، نقلها عنه ابن عبد الملك(ت703هـ/1303م) وهي:

---

[1]- ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص: 299، 300.

[2]- **التعمية Encipher**: لغة: الخفاء والالتباس، أما اصطلاحا: فقد استعمل العرب هذا المصطلح كناية عن عملية تحويل نص واضح إلى نص غير مفهوم باستعمال طريقة محددة، يستطيع من يعرفها أن يعود ويفهم النص، ولقد درج في أيّامنا هذه استعمال كلمة "التشفير" بدلا من كلمة التعمية، وهي وافدة من اللغات اللاتينية **Cipher** والتي جاءت من الكلمة العربية "الصفر"، كما تعتبر التعمية نوع من أنواع إخفاء المعلومات الحقيقية وسترها، مثلها مثل الرموز والألغاز والملاحن والمحاجاة والمعاياة والتورية وغيرها .(محمد مراياتي وآخرون، علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ج1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دتا، ص: 2، 3، 28).

[3]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 567.

[4]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر6، ص: 9.

1- سراج الاسلام ومنهاج السلام من مجرد كلام النبي عليه السلام "صلى الله عليه وسلم".

2- حلية الكاتب وبغية الطالب في الأمثال السائرة والأشعار النادرة.

3- حلية اللسان وبغية الإنسان في الأوصاف والتشبيهات والأشعار السائرات.

4- طبقات الشعراء الأعلام في الجاهلية والإسلام.

5- بستان الأنفس في نظم أعيان الأندلس.

6- منهاج الكتاب.

7- بهجة وفرجة.

8- المنتخب في أشعار العرب.

9- الاعتذار في القصص والأخبار على نهاية التقريب والاختصار.

10- تذكرة الأزمان وتبصرة الأذهان.

11- العبارة.

12- الأزهار في اختلاف الليل والنهار.

13- الأسرار في التجارب والأخبار.

14- الشفاء في طب الأدواء.

15- الفتنة الكائنة على اللمتونيين بالأندلس سنة أربعين وما يليها وما بعدها[1].

وثالث مؤلف في هذا المجال في منطقة الدراسة هو كتاب "الحلة السيراء" لابن الأبار(ت658هـ/1260م)، فقد أشاد المؤرخون القدامى كالغبريني (ت714هـ1314م) والمقري (ت1041هـ/1631م) وابن خلدون(ت808هـ-1405م) والمحدَثون وحتى المستشرقون، بعد أن تبيّنوا فضائله كمؤرخ وكاتب، فهذا المستشرق دوزي يقول عنه: "أنه مؤرخ ثَبْتٌ دقيق جدير بكل ثقة، وأنه حافظ جمع فأوعى.."[2].

هناك مصنّف آخر في هذا الشأن ألّفه أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي أبو المطرف(ت658هـ/1260م)وهو كتاب "تاريخ ميورقة وتغلب الروم عليها"، حيث يتحدّث فيه

---

[1]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر6، ص: 8، 9.

[2]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص: 8 (من مقدمة التحقيق لحسين مؤنس).

عن جزيرة ميورقة منذ قبل سقوطها في أيدي النصارى حتى دخولهم إليها، وكيف تم لهم ذلك بعد تصدّع جبهة الدفاع الداخلية وحصارها ومن ثم سقوطها[1].

وبالإضافة إلى هؤلاء نجد بعض الأعلام الذين كان لهم اهتمام بالكتابة التاريخية وسجلوا وقائع حصلت في عهدهم منهم:

1- الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف المعروف بابن حبيش شيخ ابن دحية وابن حوط الله وأبي الربيع الكلاعي، وكان فيلسوفا ومؤرخا وفقيها، ومن مصنّفاته في التاريخ ذكر الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكائنة في أيام الخلفاء (الأولى إلى الثالثة)[2].

2- محمد بن عبد الله بن سفين بن سيدالّة التجيبي(ت558هـ-1163م)وهو من شاطبة، كان عارفا بالأخبار حافظا لأسماء الرواة[3]، أخطأ في نقله أبو الفضل فذكره باسم "ابن سيالة"[4].

وليس بعيد أن نجد الكتابة التاريخية على شكل أراجيز تحكي أحداثا وتروي أيام الملوك والأمراء في شكل نظمي مضبوط، وقد مثّل هذا النوع من التدوين الأديب أبي طالب عبد الجبار وهو من جزيرة شقر، كان يعرف بالمتنبي، قال عنه ابن بسام: "أبرع أهل وقته أدبا، وأعجبهم مذهبا، وأكثرهم تفننا في العلوم، وأوسعهم ذرعا بالإجادة في النثور والمنظوم"[5].

لقد نظم هذا الأديب أرجوزة تحوي 454 بيت، يذكر فيها بعد التحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، دلائل صنائع الله تعالى في الكون ثم بيان العلم والنظر في الملكوت، يتعرض بعدها إلى تدوين الأخبار من لدن بدء الخليقة وبني آدم إلى الأنبياء المنصوص عليهم في القرآن

1- أبو المطرف بن عميرة، تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر.(ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة، ج1، ص: 173 وما بعدها).

2- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 182.

3- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص: 211، ت: 719.

4- شرق الأندلس، ص: 327.

5- ابن بسام، الذخيرة، القسم1، المجلد1، ص: 916.

الكريم، ثم الخلفاء الراشدون مع تصوير أهم الأحداث التي وقعت لكل خليفة ومن تلاهم من بني أمية، بعدها يُعرِّج على ملوك بني العباس وما وقع معهم من وقائع، ليعود في النهاية إلى بلده وذكر دولة بني أمية في الأندلس إلى غاية سقوطها ونشوب الفتنة في قرطبة خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وما أفرزته من أحداث سياسية قسّمت البلاد طوائف وممالك تزعمها ما يعرف بملوك الطوائف، ويختتم أرجوزته بدولة المرابطين من لدن دخولهم الجزيرة إلى غاية تولي علي بن يوسف حكم البلاد[1].

2- التدوين على التراجم:

يبدو من خلال ما وصل إلينا من كتب التراجم أن أهل الأندلس بصفة عامة، وأهل الشرق منه كان لهم اهتمام كبير بعلمائهم فخلّدوهم في مصنّفات علمية ذات قيمة دينية وأدبية وتاريخية كبيرة، ولذلك تعددت التراجم بين تراجم الفقهاء والقضاة والأدباء والشعراء والأطباء والفلاسفة والمتصوفة...وغيرهم، كل حسب ما عُرف عنه من نبوغ في علم ما، أو في اتجاه فكري معين، ونظرا لكون الحركة التاريخية اللاحقة متممة للسابقة، فإن الحركة الفكرية استمرت من الطوائف إلى المرابطين إلى الموحدين مع الاختلاف في الظروف السياسية ولواحقها، دون أن ننسى تشجيع السلطة لهذه الحركة أو تلك- العلمية والدينية- ولذلك فالتراجم التي صُنِّفت خلال عهد الطوائف استمرت في عهد المرابطين حتى ظهرت ما يسمى بكتب الاستلحاقات أو الذيول وهي مواصلة ما بدأه علماء القرن الماضي والكتابة على منواله، كأن يترجم لعلماء ويضمّهم لِمُصَنّفٍ سابق لم يلحق بهم صاحب الكتاب الأول[2]، ومن أهم من كان له نصيب التدوين في عهدهم أبو بكر محمد بن خلف بن سليمان المعروف **بابن فتحون الأوريولي (ت520هـ-1126م)**[3]، فقد ألّف كتابين الأول "التذييل" أو "الاستدراك" والثاني "أوهام كتاب الصحابة"، فقد استدرك فيهما على كتاب

[1]- ابن بسام، الذخيرة، القسم1، المجلد1، ص: 916 وما بعدها.

[2]- إيمان محمود، التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص: 27.

[3]- **ابن فتحون الأوريولي**: قال عنه ابن بشكوال كان معتنيا بالحديث منسوبا إلى فهمه، عارفا بأسماء رجاله ونقلته، توفي بمرسية سنة 520هـ-1126م وقيل سنة 519هـ(أنظر: ابن بشكوال، الصلة، ج3، ص: 841).

الاستيعاب **لابن عبد البر**[1]، وهو عبارة عن معجم تاريخي للصحابة ورواة الحديث، رتّبه ترتيبا أبجديا على طريقة أهل الغرب وقد اشتمل على 3500 ترجمة[2]، كما أصلح أيضا أوهام المعجم لابن قانع[3]، واستمرت الكتابة على ذلك المنوال خلال العهد الموحدي فكانت أيضا استمرار لما كان، وصارت الكتابة أشبه بسلسلة منتظمة الحلقات[4]، فهذا ابن بشكوال (ت578هـ-1182م) قد بلغ الرتبة العلية في هذا النوع من التدوين التاريخي خلال القرن السادس الهجري، من خلال ما خلّفه من تراجم لعلماء الحديث وزاد عليه تراجم للفقهاء والقضاة والأدباء والشعراء، تمثل ذلك في كتاب "الصلة في تاريخ العلماء"، واسم الكتاب دليل على استمرار الكتابة على من سبق، لأنه تتمّة للمصنّف الذي خلّفه الفقيه ابن الفرضي(ت403هـ-1012م) بعنوان "تاريخ أعلام الأندلس"، ثم يأتي بعده ابن الأبار(ت658هـ/1260م)، فيتمّم الكتابين بمصنّف آخر وهو "التكملة لكتاب الصلة".

كما ألّف أبو بكر محمد بن أبي عمر أحمد الخطابي(ت582هـ-1186م) كتاب "المقتضب من كتاب الاعلام بالعلماء الأعلام من بني أبي جمرة"، الذي قيّد فيه مآثر أسرة ابن أبي جمرة وأجدادها[5]، وإلى جانبه نجد أحمد بن عبد الملك بن عميرة الضبي(ت699هـ-1300م) صاحب

---

[1]- **ابن عبد البر:** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، من أهل قرطبة وبها ولد سنة 362هـ-982م، نشأ بها وتلقى العلوم بها على يد جلة من علمائها في النحو واللغة ورواية الحديث كابن الأخفش(389هـ-998م)، وابن الأصبغ الهمذاني(ت380هـ-1009م)، قال عنه ابن خاقان: "إمام الأندلس وعالمها، الذي التاحت به معالمها، صحح المتن والسند وميّز المرسل من المسند...حصر الرواة، وأحصى الضعفاء منهم والثقات..." توفي سنة 363هـ-947م. (انظر: ابن خاقان، المطمح، ص: 291 وما بعدها. أيضا: ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 407).

[2]- علي زيان، المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (رسالة ماجستير)، إشراف علاوة عمارة، جامعة منتوري، قسنطينة، 1431هـ-1432هـ/ 2010م- 2011م، ص: 102.

[3]- ابن بشكوال، الصلة، ج3، ص: 841.

[4]- إيمان محمود، ، التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص: 28.

[5]- محمد بن زين العابدين رستم، بيوتات العلم والحديث في الأندلس، ص: 76، 77.أيضا: إيمان محمود، التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص: 32.

كتاب "بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس" وهو عبارة عن استكمال لكتاب الجذوة للحميدي(ت488هـ ـ1095م).

وفي النصف الأول من القرن السابع الهجري برز في منطقة الدراسة الكاتب الكبير أبو عبد الله البلنسي القضاعي المدعو بابن الأبار (ت658هـ/1260م) ، قيل أنه ألّف حوالي 41 كتابا لم يصل إلينا منها إلا ثمانية، منها في تراجم الرجال "الثقة في تمييز الثقات من الضعفاء"، اقتصر فيه على الضعفاء من رواة الحديث في الأندلس، والكتاب الثاني "التكملة لكتاب الصلة"، حيث أتم فيه على كتاب الصلة لابن بشكوال(ت578هـ-1182م)[1]، بالإضافة إلى كتاب "تحفة القادم"[2]، وكتاب "المعجم" وكتاب "إعتاب الكتاب"، وهذا الأخير احتوى على تراجم لأهم الأعلام المشارقة[3]، ولهذا فابن الأبار خرج نوعا ما عن المألوف من كتب التراجم الأندلسية في كونه قدّم مصنفه أغلب تراجمه مشارقة.

ب-الجغرافيا:

عُرفت الجغرافيا عند المسلمين بعدة أسماء منها: علم تقويم البلدان وعلم المسالك والممالك وعلم البلدان وعلم الأطوال والأعراض وعلم الأنواء[4] و"**علم الهيئة**" وهو علم وصف الأرض ساكنها ومتحركها بحارها وأنهارها، وأول وجود لهذا العلم كان على يد محمد بن موسى المعروف **بالخوارزمي** (**ت235هـ-849م**)[5] زمن **المأمون** العباسي[1](196هـ-812م/218هـ-833م)[2]، قال

1- إيمان محمود، ، التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس، ص: 36.

2- إعتنى به إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1406هـ-1986م، ط1.

3- تحقيق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1380هـ-1961م.

4- محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الاسلامي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1429هـ-1999م، ط3، ص: 16.

5- **الخوارزمي**: أبو عبد محمد بن موسى الخوارزمي، عاش ما بين 161هـ-235هـ/779م- 849م، في بغداد زمن الخليفة العباسي المأمون، لمع في كل من العلوم الرياضية والفلكية والجغرافية، وكان يلقب بالأستاذ لعلمه وحكمته، اهتم به الخليفة المأمون فعينه رئيسا لبيت الحكمة، ويعتبر مؤسس علم الجبر وواضع قواعد البحث العلمي التجريبي الحديث باستخدام النماذج الرياضية، أما في الجغرافيا فقد اختصر كتاب المجسطي لبطليموس وسماه "السند هند"، كما ألف كتابه "رسم الربع=

فخر الدين فؤاد في هذا الصدد أن الجغرافيا هي: **"علم يتصل بأديم الأرض والثرى ومساحتها وما يحيط بها من مواقع...والتضاريس والجبال والأوتاد والبراكين والسهول والوديان والأحراش والحاصلات والمنتجات الطبيعية والمائية والجوية وما يواجهها من أجواء وأنواء..."**[3]، فحتى و إن ادعى عبد السميع محمد أحمد أن المسلمين لم يطلقوا على علم الهيئة اسم "الجغرافيا" كما كان يسميها بطليموس، فإن ذلك ليس من الصحة بمكان، لأن المؤلف نفسه يستشهد بقول الإدريسي(ت560هـ-1165م) في افتتاح الصورة الأولى التي يبتدئ فيها كتابه نزهة المشتاق والتي جاء فيها: **"وأول ما أبتدئ به من ذلك الكلام على صورة الأرض المسماة بالجغرافية كما سماها بطليموس ووصفها به"**[4]، إذن فالجغرافيا في عموم المعنى هي صورة الأرض أو ما يعرف "بالخريطة"، ولذلك نجد الزهري (ت545هـ/1150م) يترك لنا مصنّفا بالكامل لكنه قلب الغين بحرف العين المهملة فورد باسم "الجعرافية"، إذ يقول محقق الكتاب حاج صادق:" **أما عنوانه فقد ورد هكذا باطراد في سائر النسخ بالعين المهملة عوض الموحدة وذلك على لغة جارية عند**

=المعمور" والمعروف باسم "صورة الأرض".(انظر: علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الاسلامية، ص: 61 وما بعدها).

[1]- عبد السميع محمد أحمد، الإدريسي صاحب "نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق"، مجلة مجمع اللغة العربية، القسم 1، العدد 80، القاهرة، 1417هـ-1996م، ص: 33. أيضا: بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 573.

[2]- **المأمون**: يعتبر عصره من أزهى عصور التاريخ الاسلامي عامة، نظرا لما كان تحت يده من الدولة التي تركها والده هارون الرشيد الممتدة من المغرب إلى الصين، وكانت تضم شعوبا عديدة وأجناسا بشرية مختلفة، وديانات سماوية وغير سماوية، وبفضل دهائه السياسي استطاع التحكم في أموره إلى غاية وفاته، كما بلغت في عهده العلوم مبلغا عظيما، نظرا لانفتاحه على علوم الأمم الأخرى من فرس وروم ويونان، وانتشار الحركة الفلسفية بل كان من مشجعيها والعناية بها وبروادها.(انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص: 381 وما بعدها. ج6، ص: 217 وما بعدها . أيضا: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في الفقه الاسلامي، ج3، ص: 7.خالد محمد أحمد بديوي، الحياة السياسية والادارية والاجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون"170هـ-218هـ/786م-833م"(رسالة ماجستير)).

[3]- الأعلام الجغرافية العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، القسم 1، العدد 80، القاهرة، 1417هـ-1996م، ص: 249.

[4]- الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دتا، ص:7. أيضا: عبد السميع محمد أحمد، الإدريسي صاحب "نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق"، ص: 36.

كُتّاب المغرب والأندلس على ما قيل، ومعنى كلمة "جعرافية" في الأصل خريطة..." [1]، بل إن الزهري يشرح هذه الكلمة بقوله: "وقد اشتملت هذه الجعرافية على جميع أقطار الأرض وما فيها من الخلائق، صفاقم وصورهم وألوانهم وأخلاقهم، وما يأكلون وما يشربون من الفواكه والحبوب وما في كل صقع مما ليس في غيره، واختلاف أرزاقهم وما يجلب إلى كل صقع من الطرف والتحف، والطيب والعطر والمتاع والسلع والمتجر في البر والبحر وما في جميع أقطار الأرض من الحيوان المذكورة المشهورة، بالخواص والسموم القاتلات، والمنافع لذلك، وما في جميع برها وبحرها على ما وصفه الحكماء المتقدّمون والفلاسفة الماضون في هذه الجعرافية من الأرض طولها وعرضها، وما قالته الفلاسفة في تكسيرها وعدد فراسخها وأميالها وما في كل جزء من ذلك"[2]. وهذا لا بَوْنَ بينه وبين ما ذكره البكري في كتابه "معجم ما استعجم"، حيث يقول: "هذا كتاب ذكرت فيه، إنشاء الله جملة ما ورد في الحديث والأخبار، والتواريخ والأشعار، من المنازل والديار، والقرى والأمصار، والجبال والآثار، والمياه والآبار، والدارات والحوار، منسوبة محددة، ومبوبة على حروف المعجم مقيدة"[3]، وبذلك جاء هذين التعريفين شاملين لكل ما وجد على سطح الأرض وما تعلق به من مخلوقات، بل نستطيع القول أنه تعريف شمل ما يعرف اليوم بالجغرافيا الطبيعية والاقتصادية والبشرية بل وحتى النبات والحيوان بل حتى الفكر الجغرافي القديم وآراء الفلاسفة القدماء في هذا العلم، وهذا ما يدخل في إطار التدوين التاريخي.

وعليه "لم تكن الجغرافيا علما منفردا عن التاريخ ولا التاريخ في منأى عن الجغرافيا، فغالبا ما كان التدوين التاريخي يأتي على ذكر المواقع الجغرافية ومَيِّزاتها وخصائصها، وكثيرا ما كانت مصنّفات الجغرافيا تروي أحداثا تاريخية، أو ربّما نجد كتُب التاريخ تتضمن مقدّمات جغرافية وكتب الجغرافيا تتضمن مقدمات تاريخية، ولذلك فعلم الجغرافيا ظهر مع علم التاريخ في آن واحد والمغرب والأندلس في ذلك كالمشرق الإسلامي"، لأن **"التاريخ والجغرافيا في نظر العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التي كانت تسمى الأدب"**، وفي هذا الشأن يضيف حسين

---

[1]- الزهري، الجعرافية، مقدمة التحقيق، ص: حرف "و".

[2]- نفسه، ص: 1، 2.

[3]- أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ص: 1.

مؤنس:" **ومن الجدير بالملاحظة أننا لا نجد كتابا في التاريخ في الأندلس لا نستطيع أن نعده أيضا كتاب جغرافية"**[1]، ومن الجدير بالملاحظة في هذا القول أن نغير "لا" النافية بـــ "إلا" الاستثناء وواو بعدها حتى يتضح المعنى أكثر وهو أن كل كتاب في التاريخ إلا ونعده كتاب جغرافية أيضا.

فعلم الجغرافيا في شرق الأندلس خلال فترة المرابطين والموحدين قد قطع شوطا مميزا، نظرا للكتابات الجغرافية التي ظهرت في المنطقة على يد مجموعة من الجغرافيين المؤرخين وحتى الرحالة والأدباء.

ومن أهم الأعلام الجغرافية الذين عرفتهم منطقة الدراسة نجد العذري، وهو من مدينة المرية، التي بها ولد سنة 393هـــ-1003م، وبها توفي أيضا عام 478هـــ-1085م فحتى وإن كانت وفاته قبيل دخول المرابطين المنطقة إلا أن أهم ما تركه لنا كتاب **"نصوص عن الأندلس"**، وهو من كتاب **"ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"**، الذي أصبح مصدرا في التاريخ والجغرافيا على السواء لمن أتى بعده، وهو كتاب جغرافي تاريخي، كان منهج صاحبه في ذاك أنه يأتي على ذكر الكور وما يتبعها من أقاليم وربما اختص ببعض منها وأتى على ذكر قراها وحصونها، ثم يتبعها بما وقع فيها من أحداث. ولقد تطرق إلى هذا حسين مؤنس في دراسته القيّمة حول الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس[2]، وبالتالي كان العذري (ت478هـــ-1085م) فاتحة من ألّف في علم الجغرافيا في منطقة شرق الأندلس، ونظرا لرحلته التي قام بها نحو المشرق بل ومكوثه به نحو تسع سنوات، أعطت له فرصة الاحتكاك ليس بعلماء الشريعة والأدب فحسب، بل بمفكري علم التاريخ والجغرافيا، وهذا ما عاد على نتاجه في هذا المجال، الذي قيل أنه اتصف بالعمق والتجربة والمشاهدة الشخصية، ولا شيء يعطي أهمية خاصة في مجال الجغرافيا كالسفر والمشاهدة والوقوف بأم العين على مختلف المظاهر الجغرافية، ومن أهم ما تمحور عليه انشاؤه، كان حول الجغرافيا الطبيعية والبشرية، وفي نفس الوقت لم يُهمل جوانبها الباقية في المجال السياسي والاقتصادي، وبذلك يكون قد واصل ما بدأه أحمد الرازي القرطبي(ت344هـــ-955م)،

[1]- حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس- من البداية إلى الحجاري- مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مجلد 7، 8، مدريد، 1959، 1960، ص: 200، 210، 237.

[2]- العذري، كتاب نصوص عن الأندلس، تحقيق عبد العزيز الأهواني. أيضا: حسين مؤنس، نفسه.

الذي كان تركيزه أكثر على البلدان، أما العذري فقد أضاف إليها المسالك والممالك[1]، حتى كان مصدرا للكثير من الجغرافيين أهمّهم أبي عبد الله محمد الادريسي(ت560هـ-1165م)، وزكريا القزويني(ت682هـ-1283م)، لينفرد عبيد الله البكري(ت487هـ-1094م)، بما استفاد من شيخه العذري(ت478هـ-1085م)، فقد كانت بينهما صحبة، ولذلك جمع حصيلة علمه الجغرافي في مصنّفين، أولهما "**المسالك والممالك**" وفي هذا المصنف قلّد صاحبه المؤرخين القدماء دون تمحيص الأخبار غثها من سمينها، لذلك كان جمعا من الأخبار هي أقرب من القصص والخرافات[2]، أما الثاني فهو "**معجم ما استعجم**"، ويبدو حسب حسين مؤنس أنه أول ما صُنّف في الجغرافيا[3]، بل يعتبر أول معجم في تاريخ الجغرافيا عند العرب، لكونه امتاز على غيره من المصنفات التي كانت تقتصر على البلدان والمسالك والممالك، فهذه المرة يأتي بنوع جديد في التأليف، نوع قال عنه مؤنس "**يزهر ويتطور حتى يصل ذروته في معجم ياقوت المعروف**"، أي أنه كان على يديه بداية التأليف الجغرافي على شكل المعاجم، حيث رتب البكري(ت487هـ-1094م) كتابه حسب حروف الهجاء المعروفة عند الأندلسيين وهي :"**أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، ه، و، ي**"، كما جعل ترتيب الكلمات في كل باب على ترتيب الحرفين الأول والثاني الأصليين من الكلمة دون النظر إلى ترتيب ما بعدها من حروف، وهكذا في جميع أبواب الكتاب والتي قدرت بـــ 784 بابا[4]، وبالتالي يبدو هذا النوع من الكتابة فيه مشقّة وتكلّف عن الحاجة إلا أنه في واقع أمره "**أن علم المعاجم كان في طريق التكوين**"[5].

وعليه يمكن القول أن هذا الكتاب فضلا عمّا احتواه من معلومات جغرافية وتاريخية، يعدّ كتابا في العربية والشّعر لما تضمّنه من تفسير للمصطلحات واشتقاقاتها اللّغوية وأوزانها، مستندا في ذلك على الشّعر العربي الجاهلي وما بعد الاسلام، وقد استعمل الكاتب هذا النوع من التدوين حتى

[1]- علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والاسلامية، مكتبة التوبة، دتا، دط، ص: 135، 136.

[2]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 577.

[3]- مؤنس، الجغرافية والجغرافيون، ص: 304 وما بعدها.

[4]- أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم، ص: 2.

[5]- مؤنس، نفسه، ص: 319، 320.

يعطي لِما يكتب تحقيقا دقيقا وتثبتا في إيراد تلك المصطلحات مضيفا إليها المصداقية بالتدليل عليها بالأمثلة الشّعرية، وكأنك به يريد من مُؤَلَّفِهِ ذاك أن يكون مصدرا موثوقا يعتمد عليه كل طالب علم سواءَ في الجغرافيا أو التاريخ أو العربية والشعر...وغيرها.

إن البكري كجغرافي اختلف عن غيره من الجغرافيين الذين اعتمدوا في الغالب على ما كانوا يشاهدونه أو يسمعونه من أخبار، فقد أضاف صاحبنا إلى هذا كلّه الاطّلاع والقراءة مع القدرة الفائقة على الجمع والاستيعاب والتنسيق والترتيب مع المقارنة والتصورات الشخصية، زيادة على ذلك اتّصافه بالدّقة والأمانة، فقد كان يُلقَّب بالمحقّق لأنه يتحرّى الثّقة والتقصّي للحقائق قبل تدوينها[1]، حتى جاء تأليفه مصنّفا تصنيفا علميا دقيقا فاق به أستاذه وشيخه العذري(ت478هـ-1085م) الذي كان مصدرا أساسيا له[2]، ولهذا أبدى الباحث دوزي إعجابه بمؤلَّفِ صاحبنا هذا بقوله: "إن معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري فريد في بابه، فليس لدينا كتاب يمكن أن يوازن به من ناحية السّعة، أو من ناحية دقة التفاصيل...والكتاب يقدّم معونة لا تقدّر في هذا السبيل، ولا غنى عنه لكل من يدرس التّاريخ والشّعر القديمين والجغرافيا والوثائق التاريخية أو الشبيهة بالتاريخية"[3].

بالإضافة إلى هذين الجغرافيين في المنطقة، يأتي بعدهم جغرافي آخر لا يقل أهمية عن سابقيه، ومن نفس المدينة وهو محمد بن أبي بكر الزهري(كان حيا سنة 541هـ-1154م)، كان خلاصة غيره في الجغرافية، إذ استفاد من مؤلفات جغرافيي مدينته المرية، فقد كتب كتابه في هذه المدينة وهي موطن العذري وإليها هاجر البكري وفيها تتلمذ على شيخه الأول، وكأنّ هذا البلد كان مركزا للدراسات الجغرافية، أو على الأقل كانت فيه جماعة تعنى بهذا العلم على حد قول حسين مؤنس[4].

---

[1]- علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والاسلامية، ص: 138.

[2]- مؤنس، الجغرافية والجغرافيون، ص: 319، 320

[3]- علي بن عبد الله الدفاع، نفسه، ص: 138.(نقلا عن دوزي).

[4]- مؤنس، نفسه، مجلد 9، 10، ص: 97.

ودون أن ننسى أنه قد تأثّر أيضا بعلماء الجغرافيا الأوائل أمثال الخوارزمي(ت235هـ-705م) والمسعودي(ت346هـ-957م) والرازي(ت344هـ-955م)، فقد كان اعتمادهم الأكبر هو الاستناد على الخرائط الجغرافية، خاصة وأن الزهري كان معروفا بين أقرانه باهتمامه الشديد برسم الخرائط[1].

وبالتالي كان النتاج الجغرافي لهذا الأخير هو كتاب "الجعرافية" الذي عرضنا به في بداية الموضوع، وقد كان فريدا في نوعه هو الآخر، لما امتاز به عن غيره من المؤلفات فقد قال عنه مؤنس: "**إننا لا ننتظر أن نجد في هذا الكتاب شيئا من الخصائص الأصيلة التي وجدناها عند جغرافيي الأندلس مثل إحاطة الرازي بصفة شبه الجزيرة وصدق تصوره لنواحيها وأقسامها، ودقة العذري وعلمه، وسعة علم البكري ومنهجه العلمي وعبقرية الشريف الإدريسي**"[2]، ولذلك اعتبر الزهري من صانعي المنهج العلمي للبحث في علم الجغرافيا المتبع في العصر الحديث[3].

وعليه... فكثيرا ما اعتمد الجغرافيون على نقل الأخبار من الكتب التي تركها من كان قبلهم، أو من خلال التعرف على فئات من النّاس حيث تستقى منهم معلومات من هنا وهناك، حول مدينة ما أو منطقة معينة وسكانها وطبائعهم بل ومَيّزاتها الجغرافية المختلفة، إلا أن البعض منهم لم يبق يجالس تلك الكتب ويكتفي بمجرد النقل منها وفقط، وإنما يكلّف نفسه عناء السّفر والترحال إلى أقاصي البلاد، وخير من أعطى لنا مثلا حيا على ما نقول في منطقة الدراسة خلال الفترة المقصودة، هو الرحالة ابن جبير(ت616هـ-1219م)، الذي وقف حياته في التنقل بين المشرق والمغرب مسجّلا كل مشاهداته[4]، وابن جبير هو أبو الحسين محمد بن أحمد جبير الكناني من أهل بلنسية، ولد بها وسكن شاطبة في ربيع الأول عام 540هـ/1145م، بعد أن تلقّى تعلُّمه ببلنسية انتقل إلى غرناطة وبها شغل عدة مناصب، إلى أن أصبح كاتبا لأبي سعيد بن عبد المؤمن أمير مدينة

[1]- علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والاسلامية، ص: 141.

[2]- مؤنس، الجغرافية والجغرافيون، ص: 98.

[3]- علي بن عبد الله الدفاع، نفسه، ص: 142.

[4]- شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، دتا، ط4، ص: 71. أيضا: علي عبد الفتاح، أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، ج1، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1431هـ-2010م، ط1، ص: 563.

غرناطة من قبل السلطة الموحدية، كان ذا علم واسع باللغة والآداب والفقه مقتدرا على قول الشعر، قال عنه المقري(ت1041هـ/1631م) نقلا عن ابن الخطيب(ت776هـ-1374م) أنه من علماء الأندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب[1]، ومع ذلك فقد اشتهر بالرّحلة التي جعلت منه جغرافيا ساهم في اعطاء دفع للعلم الجغرافي في عصره، وتميّزت عن باقي الرحلات بأصالتها وسلامة أسلوبها، فهي تحتوي على نمط علمي فريد في نوعه، بل قال عنها بعض الباحثين أنها سجّلا أمينا للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في البلدان التي زارها، نظرا للكم الهائل من المعلومات التي تحملها، فضربت المثل الأعلى لأدب الرحلات، حتى قيل أن ابن جبير هو الأب المؤسس لهذا النمط من الكتابة الأدبية الجغرافية[2]، ومن شدة ما كثر تنقله بين البلدان ومل تلقاه من مشاق، قال شعرا يحبذ فيه للمرء أن لا يفارق بلده جاء منه:

لا تغترب عن وطن   واذكر تصاريف الهوى

أما ترى الغصن إذا   ما فارق الأصل ذوى[3]

وعليه هناك تساؤلات كثيرة تطرح نفسها في كل مقام، خاصة لمّا نتحدّث عن مدينة مثل المرية، لماذا احتوت هذه المدينة على رواد الجغرافيا؟ مثلما اختصت به من صناعة الحرير ومثلما اشتهرت بمينائها وأسطولها، أو مثلما تمركزت فيها الصوفية وأقطابها؟ وغير ذلك من ميّزاتها الكثيرة والمتنوعة بين الاقتصاد والفكر؟

إننا في كل مرة نبحث عن مبرر لهذه التساؤلات ثم لا نعدو نجد أنفسنا نكرر نفس الأسباب والدواعي في ذلك، ليبقى العامل الجغرافي أساسا هو سبب ذلك كله، لأن الموقع المناسب تجتمع فيه الكثير من الخصائص أحيانا أو أن العامل الواحد إذا كان استراتيجيا، جذب إليه واجتمعت لديه ظروف تؤثر بعضها في بعض حتى تضفي على المكان المقصود مكانة تجعل له الخِيَرَةُ على غيره

[1]- المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 383. أيضا: ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 384، ت: 588.

[2]- علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والاسلامية، ص: 173.

[3]- المقري، نفسه، ص: 381 وما بعدها، ت: 178.

من البقاع، حيث تتلاقى به عناصر متنوعة مناخية وحيوية وتاريخية[1]، ولهذا فمدينة المرية بحكم موقعها البحري وامتلاكها لميناء عالمي إن صحّ التعبير خلال تلك الفترة، أصبحت نقطة عبور دولية سواء نحو أوربا أو إفريقيا أو المشرق العربي، فحين نجد الكثير من الحجاج خاصة من العدوة المغربية مثلا يأخذون طريقا لهم من سبتة إلى المرية ومن هناك نحو البقاع المقدسة، فإننا لا نستغرب ذلك لأنها ببساطة، مدينة المرية نقطة ارتكاز ووجهة مقصودة من وإلى كل البقاع، خاصة عندما ندرك جيدا أن فن الملاحة بها قد قطع شوطا مميزا، "فقد كان يربطها بالإسكندرية خط ملاحي منتظم"[2].

ج- الفلك:

وهو النظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل على كيفيات تلك الحركات بطرق هندسية[3]، عرف هذا العلم نبوغا على يد العلماء العرب المسلمين، وذلك لارتباطه بعدة علوم منها الجغرافيا والحساب والفلسفة، ويبدو أن العرب عموما كانت مرجعيتهم الأساسية في هذا العلم فيما مضى من زمنهم هو كتاب "**المجسطي لبطليموس**"، الذي يحتوي على ما توصل إليه قدماء اليونان في علم الفلك[4]، إلا الفترة موضوع الدراسة كان قد أحرز تقدما وقطع أشواطا بعيدة، أخرجت لنا في الأخير أن العرب كانوا منشغلين بإصلاح النظام البطلمي الخاص بالأجرام السماوية، وهو النظام القائم على مركزية الأرض[5]، وأهم من تفحص كتاب بطليموس العالم العربي ابن الهيثم(ت430هـ/1039م)"[6]، وبين فساد آرائه تلك في كتابه "**الشكوك على**

[1]- رينيه كلوزيه، تطور الفكر الجغرافي، تعريب عبد الرحمان حميدة، دار الفكر، دمشق، 1405هـ-1985م، ص: 133.

[2]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 90.

[3]-ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص: 260.

[4]- الحسن بن الهيثم، الشكوك على بطليموس، تحقيق عبد الحميد صبرة ونبيل الشهابي، دار الكتب، جمهورية مصر العربية، 1971م. ص: 25.

[5]- محمد الأمين بلغيث، دولة المرابطين بالأندلس، ص: 228.

[6]- **ابن الهيثم 354هـ-965م/430هـ-1039م** : وهو محمد بن الحسن بن الهيثم ويلقب ببطليموس الثاني رياضي مهندس وطبيب وعارف بالعربية، أصله من البصرة ولد حوالي سنة 354هـ-965م، تولى بعض الدواوين بمصر في =

بطليموس"، ولذلك فتح المجال لمن أتى بعده خاصة في الأندلس، على دراسة هذا النوع من العلوم، حتى ظهرت نخبة من الفلكيين الذين كانوا كابن الهيثم وأكثر، استفادوا من ذلك التراث العلمي وجعلوه علما استقرائيا لا يقف عند العمل النظري كما فعل علماء اليونان[1]، ومن بين علماء الفلك الذين عرفتهم منطقة الأندلس خلال فترة الدراسة، نجد:

- طاهر بن عبد الرحمن بن سعيد بن أحمد الأنصاري من أهل دانية ويعرف بابن سُبَيطة(بضم السين وفتح الباء)، يكنى أبا بشر وأبا الحسن، كان معروفا بالذكاء، وله حظ في علم النجامة وله فيه تآليف، توفي بدانية عام 540هـ-1146م[2].

- أبو الحسن موفق مولى يوسف بن إبراهيم، المعروف بالسفالي ويكنى أبا الحسن، من أهل المرية، كان من أهل الحساب والنجوم، وله في ذلك تأليف سماه "كتاب الاهتداء بمصابيح السماء"، (كان حيا سنة 506هـ-1112م)[3].

د- التصوف وأقطابه في شرق الأندلس:

1- مفهومه:

يقول صاحب مرآة المحاسن: "**التصوف هو العلم المختص بترويض القلوب لتهيئتها لاستحضار الله تعالى في كل نفس وحركة، خلف البرزخ المحمدي الذي هو الشريعة**"[4]، حيث يقرن التصوف بمرتبة الاحسان الذي هو أعلى المراتب التي يحقق بها الانسان المسلم قُربه من الله

= عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي ومن تصانيفه "تحليل المسائل الهندسية" "رسالة في طبيعة العقل" ...وغيرها. توفي بالقاهرة سنة 430هـ- 1039م.(عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج9، ص: 225، 226).

[1]- محمد الأمين بلغيث، دولة المرابطين بالأندلس، ص: 229.

[2]- نفسه، ص: 230.(نقلا عن ابن الأبار-التكملة).

[3]- نفسه، ص: 231. .(نقلا عن ابن الأبار-التكملة).

[4]- أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن(ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب)، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن بن الجد، دتا، دط، ص: 13.

بتطبيق دينه الحنيف على أتم وجه، لأن الدين "إسلام وإيمان وإحسان"، وبالتالي فإن التصوف لا يبلغه إلا من كان على هدى تام على الطريق المستقيم وذلك بالجمع بين الفقه والتصوف، ولم يكتفي صاحب القول بهذا، بل إنه يروي عن الامام مالك قوله: **"من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف وتفقه فقد تحقق"**[1]. ويرى أبو القاسم القشيري أن التصوف:" **ملازمة الكتاب والسنة مع مجاهدة النفس لأهوائها، ومداومة النضال مع نزواتها والبعد عن البدع والشهوات والرخيص من الأعمال"**[2]، ويتحدث ابن خلدون(ت808هـ-1405م) عنه فيقول: "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة.

2- العوامل المساعدة على ظهور التصوف في منطقة الدراسة:

يعود انتشار التصوف في المنطقة على وجه العموم إلى عدة عوامل منها:

- **أولا**: الأوضاع التي آلت إليها البلاد زمن الطوائف فرضت على بعض النفوس التي أرادت أن تجد لها الخلاص بالاتجاه نحو عالم الزهد في الدنيا والتخلي عن حلوائها وأطاييبها، فكان طريق التصوف هو ملجأ هؤلاء وملاذهم الأخير في مجتمع سادته حالة التفسخ والانحلال واللامبالاة بعيدا عن منهاج الشريعة والدين[3]، بالإضافة إلى الهزائم العسكرية وانتشار الخوف والرعب في النفوس[4].

- **ثانيا**: كان للموقع الجغرافي هو الآخر دور في انتشار الأفكار الصوفية والفلسفة في منطقة شرق الأندلس بصفة خاصة، كمدينة بلنسية ودانية ومرسية والمرية، وهذه الأخيرة اشتهرت أكثر من

---

[1]- الفاسي الفهري، مرآة المحاسن، ص: 13.(الكثير من رجال التصوف يروون أحاديث تخدم اتجاههم الصوفي بغض النظر عندهم أصحيحة هي أم موضوعة).

[2]- محمد السعيد الرجراجي، رباط شاكر والتيار الصوفي حتى القرن 06هـ، مؤسسة وليلى للطباعة والنشر، مراكش، 1431هـ-2010م، ط1، ص: 67، 68.(نقلا عن القشيري).

[3]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 50، 51.

[4]- بلغيث، الحركة الفكرية، ج2، ص: 650.

غيرها بالتواجد الصوفي وبها كان أهم رجال التصوف، إنما يعود ذلك إلى موقعها الساحلي ففيها أهم موانئ الشرق، إذ تعد منطقة عبور نحو المشرق لجميع طوائف السكان من تجار وطلاب علم وحجاج وغيرهم، وبها يترل القادمون من المشرق فكانت بذلك ملتقى للكثير من الآراء والتيارات الفكرية، وهذا ما أدى إلى تمركز أقطاب الصوفية بها كابن عطية (ت518هـ-1124م)وابن العريف(ت536هـ-1142م) وأبو القاسم بن ورد (ت540هـ-1146م)، وابن الاقليشي (ت550هـ-1155م)[1].

– **ثالثا**: إن الظواهر الاجتماعية في أي منطقة جغرافية ما، وفي أي زمن ما، مهما كانت تتميز بالجدة، فلا بد من وجود سوابق أو تراكمات خاصةً إذا كانت فكرية، ولهذا كان ظهور اتجاهات صوفية معينة لها ارتباط بما سبق من أفكار، فالمنطقة قد عرفت اتجاها صوفيا فلسفيا سبق فترة الدراسة وهو مذهب **ابن مسرة**(ت319هـ-931م)[2]، وهذا ما يبني عليه أغلب المؤرخين آراءهم، أنه كان القاعدة التي يقوم عليها التصوف خلال عهد المرابطين والموحدين، يقول ميغيل كروز: **"لقد أصبح المذهب المسري يشكل القاعدة الأساسية لفكر المتصوفة الجدلي بالأندلس، وأثر بشكل بارز في المدرسة التي سماها آسين بلاتيوس– المدرسة الألميرية–"**[3].

3– التصوف والفلسفة:

إن الفكر المسرّي الذي كانت له استمرارية في المدرسة الألميرية ومن ثم تجسد في شخص ابن عربي(ت638هـ-1240م) الذي تأثر كثيرا بهذه المدرسة، كان له دور أساسي في التصوف

[1]– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ص: 16 وما بعدها. أيضا: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص: 636. دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 51. عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 405.

[2]– **ابن مسرة**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة، ولد بالقرب من قرطبة سنة 269هـ-883م، ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى وطنه، حيث توفي سنة 313هـ-931م، وهو من المتصوفة المتفلسفين السالكين مسلك الباطنية الذين يؤولون العقيدة حسب أغراضهم السياسية، قال عنه ابن خاقان: "...كانت له اشارات غامضة وعبارات عن منازل الملحدين غير داحضة، ووجدت له مقالات ردية، واستنباطات مردية..."ومن آثاره "كتاب التبصرة" و"كتاب الحروف".(ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص: 237. أيضا: محمود اليعقوبي، معجم الفلسفة–أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، ص: 221).

[3]– ميغيل كروز هيرنانديس، الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية–دراسة شاملة– (الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية في الأندلس)، ج2، ص: 1093.

الأندلسي كأداة وصل للمذهب الأفلاطوني الحديث الذي يحدد شكله الجدلي[1]، كما تجسدت أفكار ابن مسرة(ت319هـ-931م) بشكل كبير في متصوفة مدينة المرية ومن أفكاره: "**الوحدة الصوفية بين الله والروح في دعوة صريحة إلى تأليه الكون**"[2].

إلا أن رواد المدرسة الألميرية لم يكن تأثّرهم بأفكار ابن مسرة وحده في تكوينهم الفكري الصوفي وإنما أفادوا أيضا من مصادر أدبية مشرقية، إلى جانب تجاربهم الروحية الخاصة[3]، فهذا ابن السيد البطليوسي الذي عاصر الطوائف والمرابطين (444هـ-521هـ/1053م-1127م) يبدو أنه قد تأثر إلى حد كبير برسائل **إخوان الصفا**[4]، التي دخلت في زمنه الأندلس على يد **الكرماني** (ت458هـ-1065م)[5]، في سرقسطة زمن بني هود، حتى أن فكره كان دائما يقوم على التساؤلات التي من شأنها تعطي له في النهاية دليلا منطقيا ما، فكثيرا ما تراه يُظهر تأثره بالفيلسوف العربي

[1]- ميغيل كروز هيرنانديس، الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الايبيرية، ج2، ص: 1093. أيضا: الطاهر مكي، دراسات في التاريخ والأدب، ص: 346.

[2]- الطاهر مكي، نفسه، ص: 346.

[3]- كلود عداس، التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي، (الجيوسي، الحضارة العربية في الأندلس، ج2)، ص: 1274.

[4]- **إخوان الصفا**: وهم جماعة ربطت بينهم أواصر الصداقة وكان لهذه الفرقة الفكرية طابع سياسي ديني سري، إسماعيلية النزعة اتخذ أعضاؤها البصرة مركزا لنشاطهم في القرن العاشر الميلادي، حيث جمعوا بين الفكر الإسلامي والفكر اليوناني خاصة الفيثاغورسي، إذ جعلوا الحساب دورا كبيرا دونوا تعاليمهم في 51 رسالة، ملخص عقيدتهم: أن العالم صادر عن الله وأن الله علة كل فيض وقد فاض عنه بالتسلسل: العقل ثم النفس ثم المادة الأولى ثم عالم الطبيعة ثم الأجسام ثم الأفلاك ثم العناصر، أما المعلومات عن تأثيرهم السياسي فلا تزال ناقصة ومبهمة.(انظر: المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق، 1986، ط27، قسم الأعلام، ص: 28. أيضا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج1، ص: 59، 60).

[5]- **الكرماني**: أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الكرماني، أحد الراسخين في علم العدد والهندسة ...لم يكن أحد يجاريه في العلم الأخير كانت له رحلة إلى المشرق حيث اهتم هناك بالهندسة والطب، ولما عاد استقر بسرقسطة وأدخل إليها رسائل إخوان الصفا التي لم يكن أحد أدخلها الأندلس قبله، توفي بسرقسطة سنة 458هـ-1065م (انظر: صاعد، طبقات الأمم، تحقيق حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1985م، ط1، ص: 71، 72).

الفارابي (ت339هـ-950م)[1]، في محاولاته لإثبات معرفة المنطق عند هذا الأخير خاصة لمّا يتعلق الأمر **"بالعقول الأرسطية الثلاثة"**[2]، وقد ترك أفكاره معظمها في مؤلفاته وأهمها: "كتاب الاستتباب"، في إطار تعليقه على دليل الكتاب لابن قتيبة "كتاب الفطنة الثابتة"، الذي يعالج الأسباب التي تحدث اختلاف الآراء في الإسلام. ثم كتاب المسائل خاصة كتاب "الحدائق"[3].

وبالتالي يؤكد ميغيل كروز العلاقة المتينة التي ربطت بين الفكر الصوفي الأندلسي بصفة عامة والفكر الفلسفي[4]، إذ لا يمكن الفصل بينهما "فالعلاقة حميمية جدا"[5]، ودليل كروز فيما ذهب إليه هو دراسته لكتاب المدخل لصناعة المنطق لابن طملوس وهو من جزيرة شقر(522هـ-620هـ / 1175م-1223م)[6]، ولعل هذا الأخير في دفاعه عن المنطق اتّهمه البعض بالزّندقة وهذه التّهمة كثيرا ما كانت تلصق ببعض رجال التّصوف على وجه الخصوص، وكاد أن يترك سبيله لولا أنه توصّل إلى كون الذين اتّهموه مقلّدون لغيرهم فحسب، وليست لهم معرفة بالمنطق، هذا من جهة ومن أخرى أن هؤلاء لا زالوا متمسكين بما تركه لهم الفاتحون الأولون الذين كانت لا تتعدى معرفتهم

---

[1]- **الفارابي**: أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي ولقب بالمعلم الأول، ولد بفاراب في ما وراء النهر سنة 259هـ-872م، ورحل إلى بغداد ثم حلب، وأقام عند سيف الدولة الحمداني، كان عارفا باليونانية واللغات الشرقية، يعتبر من أشهر الفلاسفة والمعلم الثاني بعد أرسطو، نظرا لآثاره التي كانت في مجملها شروح كتب أرسطو في المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة والأخلاق، منها "إحصاء العلوم" و"فصوص الحكم" و"المدينة الفاضلة" و"السياسة المدنية"، توفي بدمشق سنة339هـ-950م.(أبو نصر الفارابي، المدينة الفاضلة ومختارات من كتاب الملة، تقديم عبد الرحمان بزيدة، اعتنت بنشره دار موفم للنشر، 1990م،ط2. أيضا: زكريا بشير إمام، لمحات من تاريخ الفلسفة الاسلامية، دراسة مدخلية ميسرة، الدار السودنية للكتب، الخرطوم السودان، 1418هـ-1998م، ط1، ص: 111 وما بعدها. محمود اليعقوبي، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، 1998م، ط2، ص: 221).

[2]- ميغيل كروز، الفكر الإسلامي، (الجيوسي، الحضارة العربية، ج2)، ص: 1099، 1100.

[3]- نفسه. أيضا: زكريا بشير إمام، نفسه، ص: 176 وما بعدها.

[4]- ميغيل كروز، نفسه، ص: 1116

[5]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 651.

[6]- ميغيل كروز، نفسه، ص: 1116.(حول ابن طملوس انظر الدراسة القيمة التي قام بها فؤاد بن أحمد، ابن طملوس والوضعية الفكرية في الأندلس في مراجعة دعوى دومينيك أورفوا، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، جوان 2016).

الفكرية الفقه وحده وفقط، فكل ما هو جديد عنه كفر وزندقة[1]، إلا أن القضية سوف يتفهّمها الفقهاء تدريجيا إذ سيقبلون المنطق فمسألة تغير المواقف ليس سوى مسألة وقت كما قيل[2].

4- طوائف الصوفية:

إن المتتبع لأحوال زعماء المرابطين الأوائل وبالأخص يوسف بن تاشفين يدرك حقيقة أن الرجل كان زاهدا في الدنيا، لباسه الصوف لم يلبس غيره قط، مكتفيا في معاشه على خبز الشعير ولحم الابل وألبانها[3]، وحتى خليفته علي بن يوسف قال عنه صاحب المعجب: **"يعدّ في الزهاد المتبتلين أقرب منه أن يعدّ في الملوك المتغلبين"**[4]، ويقول في موضع آخر أنه: **"عكف على العبادة والتبتل، فكان يقوم الليل ويصوم النهار، مشتهرا عنه ذلك..."**[5]، بل كان يحب مجالس المريدين[6]، وبذلك نجد الساسة المرابطون كانوا على طريقة من الزهد[7]، تعد أقرب إلى السنة أكثر منها مما عُرِف عن المتصوفة الذين ملؤا البلاد طولا وعرضا بزهدهم وتصوفهم المبني على رؤى وأفكارا فلسفية، حتى أصبحوا اتجاهات صوفية تختلف فيما بينها في الفكر والزعامة، فكل منها حسب القاعدة الفكرية

---

[1]- ماريا ايزابيل فيروا، الزندقة والبدع في الأندلس، (الجيوسي، الحضارة العربية، ج2)، ص: 1254، 1255.أيضا: بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص: 324.

[2]- فؤاد بن أحمد، ابن طملوس والوضعية الفكرية في الأندلس في مراجعة دعوى دومينيك أورفوا، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الانسانية، الرباط، 2016م، ص: 4.

[3]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 136. أيضا: محمد محمود عبد الله بن بيه، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين (رسالة ماجستير)، إشراف محمد أحمد حسب الله، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1997م، ص: 102.

[4]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 235.

[5]- نفسه، ص: 241.

[6]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 651.

[7]- هناك فرق بين الزهد والتصوف، فالأخير قد عرجنا على تعريفه في بداية الموضوع، أما الزهد فهو عكس الرغبة أي عدم إرادة الشيء وعدم قصده وعدم الانشغال به وعدم طلبه.(محمد السيد الجَلَيند، من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، ص: 21).

التي انبنى عليها مشروعها أو حسب المصلحة الخاصة، رغم اشتراكها في القاعدة الأساسية الأولى متمثلة في **المذهب المسري**[1]، لكن تأثّرهم بهذا الأخير كان بدرجات متفاوتة[2]، وكانت أعدل هذه الاتجاهات تشمل إقليم شرق الأندلس بزعامة أبو العباس بن العريف، وما يؤيد هذا الرأي هو ما نقله كلود عداس عن موقف ابن العريف من السلطان الشرعي لكنه جائر، ما نصه: "**والقدح في الدول وانتظار مهدي يصلح به، لا يعتقده مصيب ولا يظن مثله مسلم إلا ضعيف: بكى الناس ملك بني أمية وتكلّموا فيه حتى تكلّموا في المهدي وخروجه، فانقضى ملك بني أمية وظهر المهدي: فإذا هو ملك بني العباس، وحين ظهر وقع في الناس النّدم وبكوا على بني أميّة بالدمع والدم، ورأوا من سفك الدّماء وانتهاك الحرم خلاف ما ظنّوا... وعجّ أهل إفريقية من أمراء بني العباس وتكلّموا فيه حتى ذكروا المهدي: إذا هو شيعي رافضي كافر**"، وبذلك لا يمكن الاعتقاد أن ابن العريف كان من مشجعي ابن قسي في الثورة على السلطة[3]، أما الطائفة الثانية فكانت تميل إلى المذهب الظاهري بزعامة أبو بكر محمد بن الحسن **الميورقي**[4]، أما الجناح الثالث وهو المتطرف بزعامة ابن قسي(ت554هـ- 1159م)[5]، ويقال أنه يميل إلى المذهب الباطني، حيث يقول ابن الخطيب(ت776هـ-1374م) عنه وعن أتباعه: "**وكثر خوضهم في الكتب الصوفية وموضوعات الغلاة الباطنية والكلف برسائل إخوان الصفا..**"[6].

---

[1]- نسبة إلى ابن مسرة (ت319هـ-931م).

[2]- كلود عداس، التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي، ص: 1274.

[3]- نفسه، ص: 1280، 1281.

[4]- **الميورقي:** محمد بن الحسن بن أحمد بن يحي الأنصاري الخزرجي الميورقي، أصله من جزيرة ميورقة وسكن غرناطة، قال عنه ابن الخطيب "كان محدثا عالي الرواية، عارفا بالحديث وعلله، وأسماء رجاله، مشهورا بالإتقان والضبط ثقة..متقللا من الدنيا.."، ويضيف ابن الخطيب أنه بعد محنته مع أقطاب الصوفية ابن العريف وابن برجان، سرحه الأمير علي بن يوسف وعاد إلى وطنه ثم انتقل إلى بجاية، ولكن المقري يذكر أنه قد فرّ من سجنه وإلتجأ إلى بجاية، إلا أنه توفي بعد عام من ذلك أي سنة 537هـ-1142م.(ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص: 190. أيضا: المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 155، ت: 106).

[5]- دندش نهاية المرابطين، ص: 57، 58.

[6]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص: 249.

قلنا أن الطائفة الموجودة في منطقة الدراسة هي الأكثر اعتدالا، لأن ابن العريف وأتباعه قد آثروا طريق السلم وضرورة تغيير المنكر دون اللجوء إلى العنف أو الثورة ضد السلطان، ومستندهم في ذلك جوهر طريقتهم، والمتمثّل في الزّهد في كل شيء ما عدا الله بما في ذلك الزّهد في منازل الصوفية والعطايا والمواهب الإلهية والكرامات وما إليها من المنن التي يهبها الله للنفس الإنسانية، وقد دون شيخ الطريقة أفكاره ومبادئه في مصنّف أسماه "**محاسن المجالس**"، ضمّنه أصول طريقته[1]، ورغم ما اشتهرت به الطريقة من الاعتدال، فإن ذلك لم يمنع أن تقوم السلطة المرابطية بملاحقة أتباعها، طبعا بإيعاز من الفقهاء والقضاة خاصة قاضي قضاة الشرق **ابن الأسود**(536هـ-1141م)[2]، الذي ما فتئ أن حقق مراده فاستدعى الأمير علي بن يوسف أقطاب الصوفية الثلاث ابن العريف و**ابن برجان**[3] والميورقي، وذلك لاستقصاء أخبارهم عن كثب، فتبيّن بنفسه من ظلم القاضي لابن العريف وتحقق من نزاهته وبراعته فأكرمه وسمح له بالرجوع إلى بلده، لكنه لم يرجع لأن الموت قد أخذه[4]، ليقى ابن برجان مصيره على يد السلطة المرابطية، بينما الباحث بلغيث يذكر أنه هرب وتوفي بميورقة[5]، أما صاحبه الميورقي فقد هرب هو الآخر نحو بني حماد ناجيا بنفسه[6].

1- عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية، ص: 184.

2- **ابن الأسود**: أبو بكر محمد بن إبراهيم الغساني، من أهل المرية، تولى قضاء مرسية ثم أجزع عنها إلى المرية و لم يكن محمود السيرة، توفي في مراكش بعد نكبته، حيث أنهى الأمير علي بن يوسف حياته بسبب ظلمه لابن العريف فقد كان سببا في موته، سنة 536هـ-1141م، أي بعد وفاة ابن العريف.(ابن بشكوال، الصلة، ج3، ص: 849، ت: 1294).

3- **ابن برجان**: محمد بن عبد الرحمان اللخمي الاشبيلي، إفريقي الأصل يعرف بابن برجان أبو الحكم، ويذكره التنبكتي بأبي الرجال، كان من أهل المعرفة بالقراءة والحديث، وتحقُّقٍ علم في الكلام والتصوف، مع زهد واجتهاد في العبادة، توفي عقب استدعائه من طرف الأمير علي بن يوسف سنة536هـ-1141م.(التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 238، ت: 277).

4- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 26. الطاهر مكي، دراسات أندلسية، ص: 145 وما بعدها. عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية، ص: 184.

5- بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 664.

6- ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص: 190. أيضا: المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 155، ت: 106.

تزامنت نهاية ابن العريف مع آخر أيام السلطة المرابطية في المغرب والأندلس، ليبدأ أتباع المدرسة الألميرية بذلك عهدا جديدا سواء من ناحية الزعامة الروحية لطريقتهم، أو من ناحية علاقاتهم بالسلطة السياسية الجديدة لإقليم الشرق من الأندلس، خاصة وأن المنطقة عصفت بها ريح الثورة على المرابطين أولا، ثم وقوع عاصمة صوفية الشرق مدينة المرية في أيدي الاحتلال النصراني لمدة عشر سنوات(542هـ-552هـ/1147م- 1157م)، وسيطرة ابن مردنيش على الإقليم لمدة ربع قرن، ثم دخول الموحدين المنطقة واستخلاصها من يد ابن مردنيش، كل هذه القوى في المنطقة ديدنها الحرب والقتال من أجل السيطرة على الإقليم.

هنا تعترضنا بعض التساؤلات حول وضع صوفية الشرق وتعاملهم مع الأحداث الراهنة منها:

- ما هو مصيرهم أولا بعد موت زعيمهم ابن العريف؟ خاصة وأن مدينتهم وقعت تحت الاحتلال النصراني؟

- في نفس الوقت كان الإقليم في ظل سيادة ابن مردنيش، فكيف كان تعاملهم مع الوضع إذا ما قورن بزمن السيادة المرابطية؟ ثم بعد ذلك السلطة الموحدية؟

لم يكن أعلام الصوفية على منهج واحد في التفكير ولا في الأهداف المرجوة من الزهد في الحياة الدنيا، فقد اختلفت طباعهم واتجاهاتهم، كل حسب ظروفه الخاصة، ولذلك انقسم الصوفية اتجاهات مختلفة، فمنهم **المتصوفة الزهاد** الذين آثروا الاقتداء بالسلف الصالح وذلك بعدم التمسك بالدنيا، بل وطلب الآخرة لكن بالطريقة العملية[1]، خاصة وان الأندلس كانت دار حرب وجهاد ولذلك فالكثير منهم إلتزم منهج المرابطة في الثغور ومجاهدة العدو، إما النصر وإما الاستشهاد وتلكم هي غايتهم الكبرى، وعددهم في ذلك لا يحصى منهم قاضي المرية ابن الفراء(**أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد الله بن زكريا**) أحد العلماء العاملين الزهاد في الدنيا والعادلين في القضاء

[1]- فاطمة الزهراء جدو، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين- 479هـ-635هـ/1086م-1238م- (رسالة ماجستير)، إشراف إبراهيم بكير بحاز، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007م-2008م، ص: 32 وما بعدها.

شهيد موقعة كتندة، وأحمد بن هارون النفزي الذي لم يظهر له على أثر بعد مشاركته في **معركة العقاب**[1] سنة 609هـ-1212م.

ومنهم من اتخذ التبتل والعبادة والتقشف مأكلا وملبسا منهجا له، وهم على ثلاث فئات[2]:

- الأولى ركزت جهدها على الاكثار من العبادات كالصلاة والصيام، منها علي بن محمد بن هذيل(546هـ-1168م)[3]، ومحمد بن يوسف بن سعادة(ت535هـ-1140م)، فقد كان متبتلا عابدا ليلا نهار[4].

- الثانية كان أسلوبها الدعوة إلى الله والوعظ والتذكير، منها علي بن حسين بن محمد وينسبه ابن عبد الملك بالشّقري لا ندري إن هو من جزيرة شقر أم من شقورة، إلا أنه سكن بلنسية، توفي بها سنة 578هـ-1182م[5]، ومن هذه الفئة من خاطر بنفسه لتغيير المنكر كعليم بن عبد العزيز العمري(ت570هـ-1124م)[6].

- الثالثة آثرت الوحدة والخلوة والاعتكاف في المساجد أو البيوت، وهذه الفئة حرمت على نفسها التدخّل في شؤون الدولة أو التعامل مع أعوانها[7].

---

[1]- **معركة العقاب:** تعتبر من المعارك الفاصلة في التاريخ الاسلامي في الأندلس، وهي بمثابة بداية النهاية للدولة الموحدية في المغرب والأندلس، وقعت في منطقة بين جيان وقلعة رباح، بين الموحدين في عهد الخليفة الناصر والنصارى وعلى رأسهم مملكة قشتالة، حيث أسفرت عن هزيمة المسلمين وزيادة طمع النصارى في بلادهم سنة 609هـ-1212م.(عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 265).

[2]- فاطمة الزهراء جدو، السلطة والمتصوفة، ص: 35.

[3]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج 963هـ-1036هـ، ج1-2، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1989م، ط1، ص: 312، ت: 394.

[4]- السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص: 277، ت: 511.

[5]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر5، القسم1، ص: 203، ت: 406.

[6]- فاطمة الزهراء جدو، نفسه، ص: 36.(نقلا عن ابن الزبير).

[7]- كلود عداس، التصوف في الأندلس، ص: 1282.

وربما السلطة الموحدية لم تتخذ موقفا عدائيا ضد طوائف الصوفية، محاولة بذلك كسب ودهم للانضمام إلى الدعوة الموحدية، أو على الأقل العمل على ابعادهم وحيادهم حتى لا يكون لهم موقفا عدائيا[1]، مثل ما كان بينهم وبين المرابطين قبلهم، إلا أن ذلك لا يمنع أن تتخذ الدولة عيونا لها لمراقبة تصرفات الصوفية أيا كان اتجاههم، فإبراهيم بن محمد بن إبراهيم السلمي أبو إسحاق البلفيقي الذي اشتهر بكرامات منها مدواة المرضى خاصة الأطفال وهو من مدينة المرية[2]، وقد حدث له مثل ما حدث لأقطاب الصوفية مع السلطة المرابطية، حيث سعى به بعض الفقهاء لدى السلطة الموحدية، وتم استدعاؤه إلى مراكش حتى وإن أشار عليه بعض أصدقائه بعدم الاستجابة إلا أنه أنكر عليه، لأنه في نظره وجوب طاعة السلطان ولا يمكن الخروج عليه بأي حال من الأحوال، لكن السلطان أكرمه وأعاده إلى موطنه، توفي عام 616هـ-1219م[3]، وأغلب متصوفة هذا الاتجاه كان متمركزا في منطقة الدراسة-شرق الأندلس- أكثر منه من الوسط والغرب[4]، إلا ما كان طفرة في أحداث المنطقة وظروفها، حيث هناك من كان على سيرة الزهد والانقباض مشهود له من العامة والعلماء بذلك، لكن لما واتته فرصة القبض على زمام الأمور سارع إليها ولم يألُ جهدا، ومثالنا في هذا متصوّف عالم كان زاهدا منقبضا طيلة حياته، حتى وإن كانت له مواقفه من سلطة البلدة التي بها المسالمة والموادعة بل والتأييد، ونعني به أبو بكر عزيز بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن خطاب الذي ينتمي إلى أسرة من المولدين، ذاعت شهرتها في العلم وبلغت شهرة أسرة بني زهر، فهو الشخصية الرابع عشر في هذه الأسرة ذات الصيت البعيد في العلم[5]، قال عنه ابن الأبار: "كان له -مع شرف البيت ونباهة السلف- تقدم معلوم في العلوم، وتميز بالمشاركة في المنثور والمنظوم"[6]، ورغم زهده إلا أنه تولى إمارة مرسية بعد مقتل ولي أمره ابن هود سنة

[1]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 291.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص: 37، ت: 5.

[3]- نفسه، ص: 37.

[4]- فاطمة الزهراء جدو، السلطة والمتصوفة، ص: 38.

[5]- سحر السيد عبد العزيز سالم، بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري-أسرة من المولدين بمرسية في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1989م، ص: 68 وما بعدها.

[6]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص: 308، ت: 167.

636هـ/1239م، وتحول إلى ملك جبّار سفّاك للدماء، لكنه غُلِبَ من طرف أبي جميل زيان بن مردنيش[1].

وإلى جانب هذا الاتجاه هناك **المتصوفة المتفلسفون،** وهؤلاء بدورهم فئتين المعتدلون والغالب عليهم الالتزام بتعاليم القرآن والسنة، ويتميزون بالمسالمة والموادعة والابتعاد قدر المكان عن الدخول في صراع مع السلطة[2]، وهم أتباع ابن العريف ولذلك لم يظهر لهم أي أثر سياسي في المنطقة سواء مع ابن مردنيش أو مع الموحدين، أما الغلاة الباطنية كما يسميهم ابن الخطيب، فهؤلاء من كان على شاكلة ابن قسي وأتباعه، الذين كانوا على فكر إخوان الصفا وما شذّ عن مدرسة ابن مسرة، حيث كان تمركزهم في الغرب أكثر منها في الشرق[3].

5- أهم أقطاب التصوف في المنطقة:

أ- **أبو العباس بن العريف**: وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي، من مدينة المرية وفيها نشأ، قيل أصله من طنجة وسمي بالعريف لأن والده كان من حرس الليل، قال عنه صاحب التشوف: " **كان متناهيا في الفضل والدين منقطعا إلى الخير**"[4]، وكان مقبلا على الدراسة والتعلم رغم ما لقيه من طرف والده الذي أنكر عليه ذلك، موجّها إياه للعمل، نتيجة الصعوبات المالية التي كانت تعاني منها أسرته، إلا أن الولد لم يخضع لظروف العيش الصعبة تلك، وإنما واصل تعلّمه ومع مرور الزمن اعترف الوالد بصواب رأي ابنه وخطأ رأيه هو: "**رأي ابني كان أرشد من رأي، لأني أعلم أني به أكرم**"[5]، قال عنه ابن الأبار فقيه زاهد إمام في الزهد، عارف محقق، ولما بلغ الرتبة العلية في التحصيل والدرس ولي الحسبة ببلنسية إلى جانب التعليم،

[1]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص: 310، 311. أيضا: ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 252، ت: 519.

[2]- فاطمة الزهراء جدو، السلطة والمتصوفة، ص: 39.

[3]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص: 249.

[4]- يوسف بن يحي أبي يعقوب التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ط2، ص: 118، ت: 18.

[5]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 26.

فكان عالما وبَعُد صيته في العبادة، توفي سنة 536هـ-1141م، وذلك بعد استدعاء السلطة المرابطية لأقطاب الصوفية في الأندلس، للتأكّد من الأخبار الواردة عليها من قبل الفقهاء الذين زرعوا الشك والرِّيب في هؤلاء لدى السلطة[1]، وذلك بسبب ما حدث بين الفقهاء والمتصوّفة من وحشة، ظهرت بشكل جلي أثناء اصدار حكم حرق كتب الامام الغزالي، حيث أبدى هؤلاء المتصوفة رفضهم لهذا القرار وتمثّل في الفتوى التي أصدرها قاضي مدينة المرية البرجي[2]، بتأييد من رجال التصوف، ولذلك وجد الفقهاء الفرصة للنيل من ابن العريف الممثّل الأكبر للصوفية في شرق الأندلس، لا لشيء إلا لأنه أنشأ طريقة انخرط فيها عدد كبير من الأتباع، وكانوا يتدفقون من مختلف بلاد الأندلس ليضعوا أنفسهم تحت إمرة شيخها[3]، ولما تبيّن لدى الأمير علي بن يوسف براءة ابن العريف أطلق صراحه، إلا أنه مات فجأة قيل مات مسموما[4]، وقيل أن الأمير علي بن يوسف لما علم بما كان من القاضي ابن أسود مع ابن العريف، قال: " (لأعذبنه)، ولأسمنّه كما فعل بابن العريف، فبعثه إلى السوس الأقصى وأمر أن يسقى سما هنالك فامتثل ما أمر به فمات"[5].

قال ابن العريف في بعض مقطوعاته:

تمشى والعيون له ســـوام	وفي كل النفوس إليه حـــاجة
وقد ملئت غلائله شعاعا	كما ملئت من الخمر الزجاجة

وله: إذا نزلت بساحتك الرزايا فلا تجزع لها جزع الصبي

[1]- محمد الأمين بلغيث، الرُّبُط بالمغرب الإسلامي ودورُها في عصْري المرَابطِينَ والموَّحِّدِينَ، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص: 274 وما بعدها.

[2]- الطاهر مكي، دراسات أندلسية، ص: 346.

[3]- نفسه، ص: 347.

[4]- ابن الأبار، ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 26.

[5]- التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، 120.

فإن لكل نازلة عـــزاء بما قد كان من فقد النبي[1]

وله أيضا:

قفا وقفّة بين المحصّبِ والحـــمى نصافح بأجفانِ العيـــونِ المغانيا

ولا تنسيا أن تسألا عن سمُر اللّوى متى بات من سُمْـــر الأسنَّة عاريا

فعهدي به والماء ينســـاب فوقه سماءَ وماءُ الوردِ ينســـاب واديا

كأنّ فؤادي في فمِ اللّيثِ كلّمـــا رأيت سنا برق الحـــمى أو رآنيا

أقام على أطلاله ضـــوءُ بارقٍ من الحسن لا يُبقي على الأرض ساليا

سلامٌ على الأحباب تحدوه لوعـــةٌ من الشّوق لم يفقد مـــن البينِ حاديا[2]

وله أيضا فيمن له عذر في عدم أداء الفريضة مواسيا:

شَدُّوا الرّكاب وقد نالوا المُنى بِمِنى وكُلُّهم بأليم الشّوق قد لاحـــا

راحت ركابهم تندي روائحهـــا طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا

يا واصلين إلى المختار من مُضـــر زرتم جُسُومـــا وزرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على شوق وعن قـــدر ومن أقام على عذر كمـــن راحا[3]

ب- إبراهيم بن يوسف بن دهاق الأوسي: ويكنى أبا اسحاق ويعرف بابن المرأة، كان متقدّما في علم الكلام، حافظا ذاكرا للحديث والتفسير، والفقه والتاريخ، وكان الكلام أغلب عليه، ذاكرا لكلام أهل التصوف، يطرز مجالسه بأخبارهم، وكان بحرا للجمهور بمالقة ومرسية، إلا أن ابن

[1]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 26.

[2]- نفسه، ص: 27.

[3]- الضبي، بغية الملتمس، ص: 166، ت: 360. أيضا: التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، 121.

الخطيب(ت776هـ-1374م) طعن فيه، لأن الشيخ أبو بكر بن المرابط نافره وباعده، لما رأى منه ما لا يليق به، ورغم ذلك فقد ترك تواليف منها:

- شرحه لكتاب الارشاد لأبي المعالي.

- شرح الأسماء الحسنى.

- ألف جزءً في إجماع الفقهاء.

- شرح كتاب" محاسن المجالس" لابن العريف.

توفي بمرسية سنة 611هـ-1174م[1].

ج- **ابن عطية**: غالب بن عبد الرحمان بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية بن مالك بن عطية بن خالد بن خفاف بن خالد بن عطية المحاربي، فقيه زاهد محدّث، ولد سنة 441هـ-1049م وتوفي سنة 518هـ-1124م[2]، قال عنه ابن خاقان: **"شيخ العلم وحامل لوائه"**[3]، فهو من الفقهاء الزهّاد المحدّثين، اتّصل بكثير من العلماء خلال رحلته إلى المشرق وتأدية الفريضة[4]، كما برع في صياغة الشعر، لاستضلاعه بالأدب الذي أحكم أصوله وفروعه، ومن أقواله في الزهد الذي اشتهر به:

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة تلهيك فيه من القبيح فنونه

واعلم أنك لا تنال قبولـــــه حتى تكون تصومه وتصونه[5]

وله أيضا في هذا الباب قوله:

---

[1]- ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص: 325، 326.

[2]- الضبي، بغية الملتمس، ص: 440، 441.

[3]- ابن خاقان، قلائد العقيان، ص: 636.

[4]- الضبي، نفسه، ص: 440، 441.

[5]- ابن خاقان، نفسه، ص: 636.

إذا لم يكن في السمع مني تصـــــاون وفي بصري غض وفي منطــقي صمت

فحظي إذن من صومي الجوع والضما وإن قلت: إني صمت يومي فما صمت[1]

وله أيضا:

أيها المطـــــرود عن باب الرضى كم يراك الله تلهو معرضــــا

كم إلى كم أنت في جهـــل الصبا قد مضى عمر الصبا وانقرضا

قم إذا الليل دجت ظلمتـــــــــه واستلذ الجفن أن يغمضـــــــا

فضع الخـــــــد على الأرض ونُح واقرع السّن على ما قد مضى[2]

د- ابن الاقليشي: أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي الزاهد، ويكنى أبا العباس، أصله من اقليش وولد بدانية، ورحل إلى بلنسية فتلقّى علوم اللغة والآداب عن أبي محمد البطليوسي، وسمع الحديث من صهره أبي الحسن طارق بن يعيش وأبي بكر بن العربي وأبي الوليد بن الدباغ، كما لقي بالمرية ابن ورد وابن عطية وابن العريف، رحل إلى المشرق سنة 542هـ-1147م لآداء الفريضة[3].

لقد كان ابن الإقليشي عالما عاملا شاعرا مجودا مع التقدم في الصلاح والزهد، والعزوف عن الدنيا وأهلها، مقبلا على العلم والعبادة، له تصانيف مفيدة منها كتاب "الكوكب"، وكتاب "النجم من كلام سيد العرب والعجم"، عارض به كتاب الشهاب للقضاعي، وكتاب "الغرر من كلام سيد البشر" وكتاب "ضياء الأولياء"[4]، وأكثر شعره كان في الزهد منه:

أسير الخطـــــــايا عند بابك واقف له عن طريق الحق قلب مخالـــــــفُ

1- ابن خاقان، قلائد العقيان، ص: 636 وما بعدها.

2- نفسه، ص: 637.

3- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة،ج1، ص: 74، 75.

4- نفسه، ص: 75.

تطلع صبح الشيب والقلب مظلـــــم   فما طاف فيه من سنا الحـــــق طائفُ

فهل أرّق الطرف الزمان الذي مضى   وأبكاه ذنب قد تقدّم ســــــــــالفُ

فجُد بالدّمـــوع الحُمر حزنا وحسرة   فدمعك ينبي أنّ قلبك آســــــــــفُ[1]

توفي سنة 550هـ-1155م أو 551هـ1156م.

هـ- ابن عربي: وهو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، ينسب إلى قبيلة حاتم الطائي ، ويلقب محي الدين والشيخ الأكبر وابن أفلاطون، وأضاف له ابن عبد الملك لقب أبو بكر بن العربي، من غير قصد للقاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي، والفرق بينهما الأول نكرة والثاني معرّف[2]، ولد في مدينة مرسية يوم الاثنين 17 رمضان 560هـ-1165م، نشأ في أسرة متديّنة يغلب عليها الزّهد والتصوف في مدينته تلك، انتقل كباقي طلبة العلم نحو بعض المدن الأندلسية كإشبيلية منذ سنة 568هـ1172م إلى غاية سنة 598هـ-1192م[3]، حيث تلقّى فيها العلم عن جلّة علمائها كأبي بكر بن خلف وأبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني، كما كانت له رحلة إلى المشرق، خاصة الحجاز التي أقام فيها مدة، ثم ارتحل عنها إلى بغداد والموصل وكانت له زيارة إلى بلاد الروم ثم العودة إلى دمشق وبها توفي ليلة الجمعة 28 ربيع الأول سنة 638هـ-1240م، حيث أجازه خلال رحلته تلك جماعة منهم الحافظ السلفي وأبو الفرج بن الجوزي[4].

كان أديبا بارعا كاتبا بليغا ذا حظ من قرض الشعر، قيل أنّه كتب في الأندلس عند بعض الأمراء لكنه ترك ذلك زهدا منه، وسار في طريق التصوف وبحث عنه ولازم بعض أعلامه حتى صار من كبار المتصوّفة في المغرب والمشرق، ومن ثم بدأ رحلته إلى المشرق ولم يعد إلى بلده حتى توفي، وجلّ عِلمه كان مقتصرا على ما ذكرنا من التصوف والزهد في الدّنيا حتى أنّ كل مصنّفاته

[1]- ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة،ج1، ص: 76.

[2]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج6، ص: 493، ت: 1277.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 161، 162، ت: 113.

[4]- نفسه، ص: 162.

كانت في ذلك الاتجاه، أحصاها ابن عبد الملك فبلغت 149 مصنفا، وقال البعض تقارب الثلثمائة، أغلبها مقالات صغيرة الحجم[1]، فحتى الشّعر عنده لا يخرج عن التصوف في شيء، جاء منه:

أنظر إلى هذا الوجود المحكمِ	ووجُودنا مثل الرِّداء المعلــــــمِ
وانظر إلى خلفائِهِ في مُلكِهم	من مُفصح طلق اللسان وأعجمِ
ما منهم أحـــــد يحبُّ إلاهه	إلا ويَمْزُجـــه بحبِّ الدرهــــم[2]

وعلى الجملة من ذاك قال عنه فيصل بدير عون واصفا إياه بتميّزه عن باقي صوفي المشرق والمغرب، ولم يكن كباقي الصوفيين التقليديين لأنه كان فريدا في كل شيء "**فريدا في غزارة الانتاج الصوفي العميق، فريدا في تمكّنه من الأدب في استخدام الأسلوب الرمزي، كان فريدا في معالجته لبعض ألفاظ العربية الواردة في القرآن وتفسيرها تفسيرا لا نجد له من قبل ولا من بعد نظيرا، فريدا في موقف الأصدقاء والمريدين معه من جهة ووقوف خصومه في وجهه من جهة أخرى**"[3].

وعليه ليس هذا التميّز أو بالأحرى الانفراد بمَيِّزَات عن غيره، تجعله في مرتبة من الايمان فوق الآخرين، فكل من شادد الدين إلا غلبه، وابن عربي هذا مهما كان قد بلغ به الحب الالهي مبلغه، إلا أن ذلك جعله يخرج من واقع الحياة إلى ما وراء الطبيعة، وإن شئت قل نهج منهج الفلاسفة الذين أخذتهم عقولهم إلى أمور ما كان لهم الخوض فيها أصلا، حيث كانت الفكرة الرئيسية التي يقوم عليها تفكيره هي الزهد والقول بوحدة الوجود والشك الصوفي، فمن خلال تتبع بعض أقواله التي تنم إن صح التعبير عن شرك بواح منها مثلا: " **إن عبادتي لأي موجود من الموجودات، وفي أي مكان من الأمكنة، وعلى أية صورة من الصور إنما هي في –الحقيقة–عبادة لله وحده**"،

[1]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج6، ص: 494 وما بعدها.

[2]- نفسه، ص: 496.

[3]- فيصل بدير عون، التصوف الاسلامي الطريق والرجال، دار الطباعة للثقافة والنشر، القاهرة، 1982، ص: 265.

وقال أيضا: "**والعارف من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، لذلك سموه كلهم إلها مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك**"[1]، وهذا ما يمكن فهمه من قوله:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة   فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف   وألواح توراة ومصحف وقرآن

أدين بدين الحب أنّى توجَّهت   ركائبه فالدّين ديني وإيماني[2]

وبالتالي ليس هناك فرق بين من يعبد اللات والعزى أو من يعبد مناة أو يعبد الشمس والقمر والنار...وغيرها كثير، وبين من يعبد الله فكلهم في نظر الشيخ عبادة لله وحده، ربما يقول بعض المتفلسفين أن تفكيره كان أبعد أن يفهمه العامة أو بعض أهل العلم، لأنه كان يدرك أن المشرك في حد ذاته يعلم أن هناك خالق للكون هو الله، ولكن يعبد بعض مخلوقاته ببساطة لتقربه من الله زلفى كما قال مشركوا مكة منذ قرون، وقد بين ابن خلدون في حديثه عن الصوفية وأحوالهم إذ: "**ويزعمون فيه أن الوجود له قوى في تفاصيله، بها كانت حقائق الموجودات وصورها وموادها وكذلك مادتها لها في نفسها قوة...والقوة الجامعة للكل من غير تفصيل هي القوة الالهية، هي التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية...فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية**"[3]، ويذهب في ذلك أنه يمثل الفكر المسرّي الذي تأثر به كثيرا خاصة **العملية الفكرية** التي هي عبارة عن جنس من التأمّل يقود حسب رأيه إلى البصيرة، وبالتالي إلى التعرف على الله وحده، "**فإذا فكروا أبصروا وإذا أبصروا وجدوا الحق واحد على ما حكت الرسل عليهم السلام**"[4]، وهذا ما يسميه ابن مسرة **بالاعتبار** الذي جعل منه مصنّفا جسّد فيه أفكاره، منها أن الاعتبار ينطلق من العالم المنكشف(الأرضي) ليبلغ العالم العلوي، وهذا ما يجعله يلتقي والنبوءة (الوحي) التي تصدر

[1]- فيصل بدير عون(نقلا عن فصوص الحكم لابن عربي)، التصوف الاسلامي الطريق والرجال، ص: 314، 315.

[2]- نفسه، ص: 315.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص: 231.

[4]- كلود عداس(نقلا عن كتاب الاعتبار لابن مسرة)، التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي، ص: 1270.

من الأعلى نحو الأسفل[1]، إلا أنه ما كان للمرء أن يذهب عقله إلى حيث يشعر من نفسه أنه قد تميز عن غيره بمثل هكذا أفكار.

وهنا يحق لأي باحث في هذا المجال التساؤل حول أعلام التصوف هؤلاء، وليس كلهم فطبيعة الفرد تختلف من أحدهم إلى آخر، فهناك من كان زاهدا زهدا سنيا لا لبس فيه، وإنما الكلام هنا موجه لأولئك الذين كانت منازلهم في التفكير الصوفي فوق الاخرين وابن عربي واحد منهم، هل بلغوا مرتبة في الحب الالهي أكثر من الأنبياء أم هم خصّهم الله وحدهم بهذا الحب دون الأنبياء، الذين حملوا رسالات وكتب سماوية لو حملتها الجبال لأشفقن منها كما الله تعالى في كتابه العزيز؟

- وهل كان الزهد الذي أرادوه أصفى من زهد أنبياء الله وعلى رأسهم نبي الأمة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟ وهل هم أفضل من الصحابة الذين كانوا قدوة النبي قولا وعملا وأحوالا؟

لم يؤثر لا عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولا عن الأنبياء قبله هذه الأحوال التي ذهب إليها هؤلاء المتصوفة، ولا حتى الصحابة لم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه بالخصوص، بل كانوا كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة، تشهد بذلك سيرهم وأخبارهم[2].

إن موضوع البحث في هذا المضمار يتطلب صبرا وأناة وجهدا مضاعفا وفكرا ثاقبا، يستطيع تبيان الأفكار وتحليلها تحليلا علميا سليما وليس هذا مقاما كافيا لذلك، وعليه يبدو من خلال ما توصل إليه بعض الباحثين أن الغالب على بدايات التصوف كان الاعتدال وعدم الغلو، ثم إن الأخير بلغ قمّة الانحراف في القرن السابع على يد ابن عربي **وابن الفارض**[3]-[4]. وبالتالي فإن صاحبنا كان من المغالين في هذا الاتجاه حتى أخرجه غلوه إلى ما لا يرضى من القول والعمل،

[1]- كلود عداس، التصوف الأندلسي وبروز ابن عربي، ص: 1270.

[2]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص: 239.

[3]- **ابن الفارض:** أبو حفص عمر بن علي بن مرشد بن علي شرف الدين بن الفارض، ولد بالقاهرة سنة 576هـ-1181م، وتوفي بها سنة 632هـ-1235م،يعد أكبر الشعراء المتصوفين، ومن القائلين بوحدة الوجود.(اليعقوبي، معجم الفلسفة، ص: 221).

[4]- محمد العبده وطارق كريم، الصوفية نشأتها وتطورها، دار الأرقم، الكويت، 1997م، ط2، ص: 20.

فكانت مواقفه مع الأنبياء مثلا تتسم بالجرأة أو إن شئت فيها تهكم بمقام النبوة والأنبياء، وأكثر من ذلك قوله: **"أن أعلى ما عُبِد الهوى، وأن من اتخذ إلهه هواه، فما عبد إلا الله"**[1]، يمكن القول في هذا الباب أن مقصوده كان موجّها لمن كان هواه كله لله تعالى، فأينما وجَّهه هواه فقد توجّه نحو الله، ولكن ما الذي يحدو بالإنسان إلى التعلق بمثل هكذا تفلسف في عبادة الله والله آمر ناه لا غموض ولا لُبس في أمره ونهيه، ثم إن هوى العباد مهما كانوا على درجة من التقى إلا وكان سببا في ابتعادهم عن خالقهم لأنه ببساطة الهوى سبيل من سبل الشيطان، وإلا لما قال الله تعالى في محكم تتريله: **[أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيْهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ]**[2]، وقال في موضع آخر: **[وَلَوْ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُم لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرضُ وَمَنْ فِيْهِنّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِم فَهُم عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُون]**[3] وما صاحبنا عن هذا ببعيد. وبهذا فإنه قد بلغ مرتبة من التفكير أخرجته عن حدود إعمال الفكر والعقل الذي هو مأمور به من أجل الوصول إلى اليقين في الله وكفى.

رابعا- العلوم التجريبية:

أ- **الطب**: إن للفظة الطب موقعا عميقا في الحياة البشرية منذ القدم، ولذلك تدوالها العرب والعجم على السواء، إلا أن الاختلاف كان في نطقها كل حسب لغته، فاليونانيون كان اسم الطب عندهم "إِيَّاتْرِيكي" واسم الطبيب "إِيَّاتْرُوس"، واللاتين كانت اللفظة المتدوالة بينهم "ميديكو" أي الدواء، والطبيب هو "دكتور"، أما العرب فهو يعني عندهم "الحذق والمهارة"، فيقولون فلان "طِبٌّ بالأمور" أي يسوسها بتلطف ورفق على حد قول الشاعر:

وإذا تغيّر من تميم أمرها كنت الطبيب لها برأي حاذق[4]

---

[1]- محمد السيد الجَلَيند (نقلا عن ابن عربي في الفصوص)، من قضايا التصوف، ص: 179.

[2]- **الآية 23 سورة الجاثية.**

[3]- **الآية 71 سورة المومنون.**

[4]- عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هينداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م، ص: 39.

والاسم الشائع لـــ"الطبيب" عادة عند جمهور العامة هو الحكيم ولذلك قام اسحاق بن حنين(ت298هـــ911م) بوضع مصنّف أسماه "تاريخ الأطباء والحكماء"، وتبعه في ذلك ابن جلجل في مصنفه هو الآخر"طبقات الأطباء والحكماء"[1]. وفي هذا قال أحدهم:

الطبّ أشرف خدمة لبني الورى ولَكَمْ بها أضحى السّقيم سليمـــا

ليس العلاج سوى مظاهر حكمة فلذاك قد دُعي الطبيب "حكيما"[2]

وعليه...يعتبر علم الطب من فروع **العلم الطبيعي**[3]–[4]، وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح، إذ يتفحص الناظر في ذلك أسباب البُرء أو الوقاية إما بالأدوية أو الأغذية[5]، وقد بلغ هذا العلم في منطقة الدراسة مرتبة متميزة كغيره من العلوم، نظرا لاهتمام الكثير من الأعلام به، باعتباره علم لا يمكن الاستغناء عنه فهو لصيق بحياة الأمم والشعوب، بحيث انصب اهتمامهم ذاك على تشخيص الأمراض وطرق معالجتها مع التعمق في دراسة وتحليل واكتشاف الأدوية، فبالإضافة إلى مطالعة كتب الأقدمين في هذه الصناعة من يونان وفرس، كانت لهم تجاربهم الخاصة التي من خلالها عملوا على تطويرها، كانت سببا في تقدم الطب في أوربا كلها، ونظرا للكم الهائل من الأطباء الذين ذاع صيتهم خلال عصر المرابطين والموحدين في منطقة الدراسة، ومما يؤكد اهتمام السلطة الحاكمة بالطب، وجود منصب يعرف بـــ"رئيس الصناعة الطبية"، وهو منصب هام إذ يبدو أنه المسؤول الأول أمام الأمير عن صناعة الطب وما يتعلق بها من صناعة

[1]– تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـــ-1984م، ط2.

[2]– عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الطب، ص: 40.

[3]– ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، ص: 156.

[4]– **العلم الطبيعي**: علم يُبحث فيه عن أحوال الأجسام الطبيعية بأنواعها، وموضوعه الجسم من كونه متغيرا، ومنفعته معرفة أحوال الأجسام البسيطة من الأفلاك والعناصر والمركبة...وله سبعة فروع وعند البعض عشرة وهي: علم الطب، البيطرة، الفراسة، تعبير الرؤيا، أحكام النجوم، السحر، الطلسمات، السيمياء، الكيمياء، الفلاحة. (انظر: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، موسوعة مصطلحات السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق علي دحروج، بيروت لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، 1998، ط1، ص: 25، 26).

[5]– ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص: 268.

الأدوية والعقاقير[1]، ضف إلى ذلك وجود المؤسسات الاستشفائية بالمنطقة، إذ تنقسم إلى رواقين أحدهما خاص بالرجال وآخر بالنساء، حيث تتوفر على نظام دورية الأطباء على المرضى في أوقات مخصوصة في الصباح أو المساء، هذا من جهة ومن أخرى ترتيب أوقات معينة أيضا لزيارة المرضى، وهذا ما تم الكشف عنه بعد سقوط بلنسية في أيدي النصارى، حيث عثر على وثائق لاتينية تحث على التبرع بالأموال لغرض إدامة أسرّة المرضى في مستشفى المدينة المذكورة[2]، ويستدل خوان فيرنيه فيما يذهب إليه هنا، أن مفردة "maristan" أو "malistan" والمرادفة في العربية لــ"مارستان أو بيمارستان"، وهذه الكلمة فارسية الأصل، حيث تعني "بيمار" المريض و"ستان" محل فهي إذن محل المريض[3]، حيث وردت تلك المفردة في (معجم المفردات العربية vocabulista in arabico) للبرشلوني رامون مارتي Ramon marti "627هــ-682هــ/1230م-1284م"، وأن الأمر مستحيل لو لم تكن تلك المفردة شائعة في تلك الفترة[4].

أما أعلام هذه الصناعة في منطقة الدراسة فإننا نأتي على ذكر بعض منهم على سبيل المثال لا الحصر:

منهم أبو عامر محمد بن يحي بن ينق من أهل شاطبة(ت547هــ-1152م)، أثنى عليه ابن سعيد(ت685هــ/1286م) وروى له أبياتا من الشعر[5]، فبالإضافة إلى مهارته في العربية بلاغة وكتابة وشعرا، فإنه قد أخذ علم الطب عن ابن زهر وتمرّن عليه حتى برعه وبعد صيته[6] .

[1]- عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 409.

[2]- خوان فيرنيه، العلوم الفيزياوية والطبيعية والتقنية في الأندلس، ترجمة أكرم ذا النون(الحضارة العربية في الأندلس، ج2)، ص: 1311.

[3]- عيسى اسكندر المعلوف، تاريخ الطب، ص: 40.

[4]- خوان فيرنيه، نفسه، ص: 1311.

[5]- ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 388، ت: 593.

[6]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص: 198، ت: 674.

– أبو جعفر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي، رفيق ابن جبير في رحلته، قال عنه المقري(ت1041هـ/1631م)، كان متحقّقا بعلم الطب وله فيه تقييد مفيد، مع المشاركة الكاملة في فنون العلم، توفي سنة 599هـ- 1193م[1].

– محمد بن سعد بن زكريا بن عبد الله بن سعد ويكنى أبا بكر(كان حيا سنة 516هـ-1122م)، من ساكني دانية، قال عنه المقري(ت1041هـ/1631م)، أنه كان من أهل العلم بالطب والتعاليم والفلسفة، وله مؤلف " التذكرة" الجاري عليها اسم السعدية نسبة إليه[2].

– يحي بن بقي أبو بكر ويعرف بالسلاوي الواعظ، أقام بمرسية التي كان عليها ابن مردنيش أميرا، إذ اشتغل أبو بكر بالطب وظهر فيه، فكان يعيش بما يعود عليه منه، ولا يسأل أحدا، توفي بمرسية سنة 563هـ-1167م[3].

– عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن سعدون الأزدي، ويكنى أبا الأصبغ، من أهل بلنسية، حيث اعتنى بعلم الطب حتى برع فيه، توفي سنة 605هـ-1308م[4].

– ويبقى أهم أطباء فترة الدراسة الذي بلغ الرتبة العلية في هذه الصناعة، الطبيب الاشبيلي الذي كانت له إقامة في مدينة دانية، نظرا لما وجده من إكرام وإقامة تليق بمقامه، حتى أخريات أيامه أين يعود إلى موطنه اشبيلية، وهو الطبيب أبو مروان بن أبي العلاء بن عبد الملك بن زهر ويعود نسبه إلى أسرة لمعت في ميدان الطب والعلوم الطبيعية والكيميائية[5].

---

[1]– المقري، نفح الطيب، ج2، ص: 382، ت: 179.

[2]– ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ج6، ص: 202، ت: 592.

[3]– الضبي، نفسه، ص: 671، 672، ت: 1469.

[4]– ابن الأبار، نفسه، ج2، ص: 632، ت: 1768.

[5]– عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 409.

ب- الحساب والهندسة:

أما علوم **الحساب** الذي اعتبره العرب علما فنيا[1]، فهو فرع من العلوم العددية إذ هو صناعة عملية في حساب الأعداد، أما **الهندسة** فهي علم النظر في المقادير، إما المتصلة كالخط والسطح والجسم[2]، وإما المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض العددية، ومن فروعها الأشكال الكروية والمخروطات والمناظرة[3]، وقد أخذ العرب كلمة الهندسة من الكلمة الفارسية "**أندزة**" وهي تعني القياس[4]، ولقد اهتم أهل العلم بهذا الفن في الأندلس كلها للحاجة الملحة سواء في العمران أو السقاية والري، إذ يتطلب طرقا هندسية لرفع المياه من منابعها وإيصالها، إما لسقي الغلال والزروع أو إلى المدن والتجمعات السكنية، باعتبارها موردا أساسيا للحياة، خاصة ومنطقة شرق الأندلس التي عُرف أهلها ببراعتهم في استخراج المياه وأساليب الري، ومن بين أهم أعلام الهندسة نجد:

- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت من دانية توفي سنة 529هـ-1135م، "من أكابر الفضلاء في صناعة الطب...كان أوحد في العلم الرياضي، متقنا لعلم الموسيقى"، ويبدو من خلال تجربته الهندسية التي نقلها الباحث بلغيث عن أبي أصيبعة، وذلك بعد سفر أبي الصلت إلى مصر، فكانت نتيجة فشله قضاء مدة في سجن أبي الجيوش[5]، تقوم دليلا على الفكر الحر ومحاولة الابداع لحل المعضلات وفق عملية رياضية حسابية دون الاستسلام للقضاء والقدر.

- أبو عبد الله بن عائشة من بلنسية، قال عنه ابن سعيد(ت685هـ/1286م): "أي فتى هو طهارة أثواب، ورقة آداب، وأكثر ما عول على علم الحساب، فهو اليوم فيه آية لا يقاس عليها، وغاية لا

[1]- بلغيث، الحياة الفكرية، ج2، ص: 731.

[2]- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، ج4، تقديم عليوش عبود، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م، ص: 222.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص: 257.

[4]- بلغيث، نفسه، ص: 726.

[5]- محمد الأمين بلغيث، دولة المرابطين بالأندلس، ص: 224، 225. أيضا: المؤلف نفسه، الحياة الفكرية، ج2، ص: 728.

يضاف إليها[1]، استدعاه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ووكل إليه حسابات جميع المغرب، ووضع في يديه مقاليد الأعمال وحكمه في الأموال[2].

– محمد بن يوسف بن عميرة الأنصاري، من أهل أوريولة يكنى أبا عبد الله، كان عالما بالفرائض والحساب، توفي سنة 549هـ-1154م[3].

– الفضل بن محمد بن أحمد بن اسحاق بلنسي أبو العباس، كان اسمه أحمد ثم تسمى الفضل، كان أديبا ذا بصر بالحساب والفرض، توفي ببلنسية في النصف من ذي الحجة سنة 564هـ-1169م[4].

– أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاري، ويكنى أبا بكر، من أهل بلنسية، مهر في علم الحساب والهندسة وفرائض المواريث، حيث تصدر لتعليم ذلك ببلده، توفي سنة 593هـ- 1197م[5]

– أحمد بن إبراهيم بن علي بن منعم العبدري، أصله من دانية، كان أحد البرعة في العدد والهندسة، وله فيهما تصانيف جليلة، وتلاخيص نبيلة واستنتاجات بديعة منها "فقه الحساب"، وكتاب "تجريد أخبار كتب الهندسة على اختلاف مقاصدها"، يروى عنه أنه كان لا ينام حتى يعرض على خاطره كتاب "الأركان" لأقليدس، بادئا من آخره إلى أوله، وهذا دليل على قوة فهمه، كما كانت له مشاركة في علم الطب، قال عنه ابن عبد الملك حفظت له مجربات شفا الله بها خلقا كثيرا، توفي سنة 626هـ-1229م[6].

---

[1]- ابن بسام، الذخيرة، قسم3، مجلد2، ص: 887. ابن سعيد، المغرب، ج2، ص: 314، ت: 559.

[2]- ابن سعيد، نفسه، ص: 314.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج2، ص: 199، 200، ت: 678.

[4]- ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ص: 540، 541، ت: 1060.

[5]- نفسه، ص: 63، ت: 44.

[6]- ابن عبد الملك، نفسه، السفر1، القسم1، ص: 59، 60، ت: 36.

الفصل الخامس

العمران

أولا- العوامل المتحكمة في التوسع العمراني

ثانيا-المدن والقرى

ثالثا- المنشآت العمرانية

رابعا- الفنون

يعتبر العمران الجانب الحضاري الأصعب معرفة ووصولا إلى الحقيقة التاريخية، لكونه متوقف على ضرورة توفر المادة بين أيدي المؤرخين والباحثين، لإثبات الشواهد الدالة على أية حضارة انسانية قامت في فترة ما وفي مكان ما، وهذا ما ذهب إليه الخليفة الناصر(300هـ-912م-350هـ-961م) في قوله عن البنيان الذي يبقى شاهدا على عظيم شأن من أقامه:

هِمَمُ المُلُوك إذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبألسن البنيـــــان

أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم مَلِكٌ محاه حوادث الأزمـــان

إن البناء إذا تعاظم قـــــدره أضحى يدل على عظيم الشان[1]

وليست بعيدة منطقة مدار البحث التي حافظت بعض نواحيها بعض الشيء على كنوز العمارة الاسلامية، والتي حوت آثارا فريدة ابتكرها صناع ومهندسون مسلمون بمهارة فائقة، لها أكثر من دلالة على أهمية هذا المجال في حياة الأمم والشعوب بوجه عام، وهذا ما أكّده ابن عبدون(ت525هـ-1131م) في رسالته: **أن "البنيان فهي الأكنان لمأوى الأنفس والمنح والأبدان، فيجب تحصينها وحفظها لأنها مواضع رفع الأموال وحفظ المهج"**[2].

أولا- العوامل المتحكمة في التوسع العمراني:

لعبت عدة عوامل دورها في حركة البناء والتعمير في منطقة شرق الأندلس خاصة في فترة المرابطين والموحدين، وأهمها:

1-كان للتضاريس وطبيعة السطح دور في تخطيط وتوزيع العمران في المنطقة خاصة وأنها تحتل موقعا متميزا على الساحل الغربي للبحر المتوسط، ولذلك كانت النتيجة طبيعية وهي تمركز أهم وأغلب المدن ضمن الشريط الساحلي، حيث انعكس شكل الطبيعة على تخطيط تلك المدن وإنشاء

[1]- بسام العسلي، عبد الرحمان الناصر، دار النفائس، بيروت، 1400هـ-1980م، ط1، ص: 96.

[2]- رسالة في الحسبة، ص: 31.

أسوارها التي تحيط بها[1]، فهذه مدينة دانية قال عنها العذري(ت478هـ-1085م): **"مدينة حصينة على ساحل البحر وقصبتها في أعلى جبلها، وحواليها سبخة تمتنع بها من أن يقربها عدو بحصار"**[2]، وهنا ظهرت الوظيفة الدفاعية من خلال تلك الجبال والهضاب والتعرجات والأنهار، حيث ساعدت هذه الأخيرة على إقامة الأسوار والقلاع والحصون، وهذه مدينة المرية مثلا فمن شمالها يرتفع جبل القصبة ومن جنوبها يؤدي البحر وظيفته كخندق طبيعي، ضف إلى ذلك وادياها اللذين يكتنفانها من الشرق والغرب حفيرين تصعب المخاطر الاقتراب منها[3]، ومدينة قونكة والتي قال عنها ابن صاحب الصلاة(ت594هـ-1198م):" **وقد أحدق بها من جهة الغرب وادي شوقر المذكور بأجراف وحافات لا يمكن منها الوصول، ومن شرقها واد آخر على مثاله في المنعة لها،...ويدخل إلى المدينة على قنطرة عظيمة، في جانبيها برجان عظيمان مانعان على الواديين ...ومن جهة الجوف حفير قد حفر في الحجر الصلد في عمقه نحو قامتين، عليه ستارة منيعة...**"[4]، وبالتالي كانت الطبيعة هي المتحكم الأول في تحديد الشكل العمراني للمدن في منطقة الدراسة، وحتى التوسع الذي ستعرفه أكثرها خلال العهد المرابطي والموحدي، إنما يأخذ رأيه الأول من الطبيعة في ذلك، بحيث لما ضاقت البلدة القديمة لمدينة المرية بالوافدين من مختلف الأنحاء، دعت الضرورة لعملية توسع فكانت الطبيعة سببا في العمران نحو جهة الشرق على امتداد فحص المرية وباتجاه الغرب في المنطقة بين وادي الرملة وجبل الكنيسة، فتكونا بذلك ربضين الأول وهو الشرقي ويسمى ربض المصلى والثاني ربض الحوض نسبة إلى جب كبير كان موجودا هناك، و لم يتجه العمران نحو الشمال لاعتراض جبل القصبة أو الجنوب نظرا لوجود البحر[5].

2- عرفت مدن شرق الأندلس حركة توسع عمراني كبير خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، بسبب الظروف السياسية والأمنية على إثر نهاية الدولة الأموية وبداية عصر

---

[1]- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 110.

[2]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 19.

[3]- عبد العزيز سالم، نفسه، ص: 110.

[4]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص: 415.

[5]- عبد العزيز سالم، نفسه، ص: 111، 112.

الطوائف الذي وضع له المرابطون حدا على أيديهم مع نهاية القرن، وبالتالي حالة الفوضى التي سادت معظم مدن الأندلس دفعت بالكثير من السكان إلى الهجرة إلى المناطق الأكثر أمانا، فكانت منطقة الشرق ملاذا لهم، حتى ضاقت بهم أسوار مدنها فخرجت عن نطاقها الجغرافي القديم واتسعت إلى حيث تحوي كل التعداد السكاني الذي حل بها، هذا من جهة ومن أخرى لعبت حركة الاسترداد النصراني للكثير من المدن الأندلسية خاصة الواقعة على الثغور، دورا هي الأخرى في دفع مجموعات بشرية كبيرة من المسلمين إلى التروح نحو الجنوب فكانت الكثير من مدن الشرق محط استقرار للكثير ممن فضلوا البقاء في الأندلس على الذهاب نحو المشرق أو إفريقيا.

3- لما كانت منطقة شرق الأندلس خاصة السواحل أماكن مناسبة تماما لمختلف الأنشطة الاقتصادية وعلى رأسها التجارة، عرفت الأخيرة ازدهارا لا نظير له خلال عصري المرابطين والموحدين، فوجود الموانئ ودور الصناعات المختلفة ضف إلى ذلك انتشار الأسواق ومراكز التجارة عبر كامل مدن المنطقة، كلها كانت دافعا قويا لأن تصبح قبلة للتجمعات السكانية التي وجدت الظروف ميسورة تسمح لها بممارسة الحياة اليومية على أحسن حال. وعلى الجملة فإن الحركة العمرانية أوجدت في النهاية تجمعين سكنيين بينهما اختلافات جوهرية سواء من ناحية الفن المعماري، أو من حيث النمط المعيشي الخاص الذي يعكس لنا طرازا معينا من ذلك الفن وهما المدن والقرى.

ثانيا-المدن والقرى:

أ- المدن: عرفت بلاد الأندلس عموما نظام المدن منذ دخول المسلمين إليها، خاصة بعد استقرار السلطة في أيدي الأمويين، وبالتالي لا مجانبة للصواب إذا كان الرأي أن جل المدن التي تأسست في العصر الاسلامي كان تأسيسها قبل نهاية القرن الرابع الهجري العاشر للميلاد، إلى جانب بعض المدن القديمة منذ عهد الفينيقيين أو الرومان، أما الملاحظ على تلك المدن جميعها أنها عرفت خلال فترة الدراسة حركة توسع لا تأسيس، نظرا للحركة البشرية التي عرفتها المنطقة لأي سبب من الأسباب المذكورة آنفا خاصة الأمن والتجارة، ولهذا نجد الجغرافي الادريسي(ت560هـ-1165م) الذي كان له دور فعّال في الفكر الجغرافي خلال عصره ومن بعده، لمّا يتعرض إلى ذكر المدن، إلا

ويذكر موقعها باعتباره من العوامل الثابتة التي تتحكم في تحديد مكان المدن والقرى[1]، بالإضافة إلى ذكر تركيبها الوظيفي أي ما تضمّه من وظائف دينية أو سياسية أو اقتصادية..وغيرها[2]، كأن يقول مثلا: **"ومدينة بلنسية ..من قواعد الأندلس، ...كثيرة التجارة والعمارة"** أو في قوله: **"ومدينة المرية كانت في أيام الملثم مدينة الاسلام، وكان بها من كل الصناعات كل غريبة..."**[3].

وعليه قام التخطيط العمراني للمدن في منطقة الدراسة وفق ما كان معروفا ومألوفا في أغلب المدن الاسلامية سواء في المشرق أو المغرب، ونظرا لغلبة السمة الاسلامية على مختلف مظاهر الحياة، فإن أهم مركز عمراني اعتمد عليه المسلمون في انشاء الحواضر هو المسجد الجامع، فهو الأساس الذي يقوم عليه التنظيم العمراني في كل مدينة، وهو المركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية، فكان المتحكم في تخطيطها وفي توجيه كل الطرق المؤدية إلى ظواهرها، بل إن تأثير هذا المركز العمراني على بقية المراكز العمرانية الأخرى سواء الدينية أو المدنية، قد بلغ حتى الشكل العام للبناء كوجود الصحن المركزي والايوانات التي تحيط به، فإنك لا تجد اختلافا بين تخطيط الدار والقصر وبين تخطيط الفندق والمارستان[4].

وفي الغالب كانت المدن تتألف من مراكز عمرانية مختلفة كل حسب أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهي:

– المدينة القديمة أو الداخلية وهي النواة التي تلتف حولها التجمعات السكنية الباقية، ومركزها الأساسي مثل ما ورد آنفا المسجد الجامع وما حوله من بنيان، وسميت بالمنطقة الدينية–القضائية[5].

---

[1]– رائد راكان قاسم الجواري، جهود الشريف الادريسي في الفكر الجغرافي العربي–493هـ–560هـ/ 1100م–1166م–مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد 11، العدد3، جامعة الموصل، 2011م، ص: 375.

[2]– نفسه، ص: 376.

[3]– الادريسي، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، ص: 281، 289.

[4]– أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 195.

[5]– شريف عبد الرحمن جاه، لغز الماء في الأندلس، ص: 73.

- القصبة وغالبا ما تختار المناطق العالية والمرتفعة لإنشائها[1]، فهي مركز المدينة الذي إن سقط في أيدي الأعداء سقطت المدينة تبعا لذلك وهي المنطقة العسكرية[2].

- ثم تأتي المناطق السكنية وتشمل (دور نبلاء البلاط) والمنطقة الشعبية (الأرباض أو الأحياء) وهذه الأخيرة تكون خارج أسوار المدينة[3].

- وإلى جانب هذه الأجزاء من المدينة هناك جهة أخرى أطلق عليها بـــ "المنطقة التجارية"، وتشمل السوق والقيسارية. أما منطقة القصر والادارة (قصر السلطان وملحقاته)، فغالبا ما كانت بالقرب من الجامع الكبير[4].

ويختلف الشكل العام للمدن في شرق الأندلس حسب الموقع الجغرافي لكل منها، فهذه مدينة المرية مثلا فقد كانت ذات شكل مستطيل مساحته 560 x 350 متر مربع، لكن المساحة الاجمالية للمدينة تختلف باختلاف الظروف، تبعا لازدياد عدد السكان، إلا أن ما يميّزها هو شوارعها الضيقة المتعرجة الملتوية، وأزقّتها المغلقة، وميادينها الصغيرة القليلة[5].

وتظهر المدن الساحلية مثل طرطوشة ودانية والمرية ومرسية عن غيرها، بغلبة الطابع الحربي على عمرانها نظرا لإحكام صنعة أسوارها وقصابها وقلاعها[6]، خاصة في عصر المرابطين الذين كان جل همّهم مُنصبًّا على الجهاد والدّفاع عن حوزة المسلمين[7]، وهذا ما يؤكده ابن خلدون (ت808هـــ-1405م) في قوله: **"ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون**

---

[1]- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 113.

[2]- شريف عبد الرحمن جاه، لغز الماء في الأندلس، ص: 73.

[3]- نفسه.

[4]- نفسه، ص: 73، 74.

[5]- توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، تعريب علية إبراهيم العناني، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، العدد 01، 01، السنة الأولى، 1372هـــ- 1953م، ص: 112.

[6]- أبو مصطفى، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، ص: 84.

[7]- عبد العزيز سالم، نفسه، ص: 144.أيضا: عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 374.

بين أمة من الأمم موفورة العدد تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو... فإن لم تكن كذلك كانت في غرة للبيات، وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها"[1].

ب- القرى:

كان الريف الأندلسي غالبا ما تشغله التجمّعات السّكانية التي تختلف في حجمها العمراني حسب موقعها الجغرافي، ولذلك كثيرا ما تحدث المؤرخون عن كثرة القرى الأندلسية والقريبة من بعضها البعض، فالمسافر لا يكاد يمشي ثلاثة فراسخ إلا ووجد الخبز والزيت في الحوانيت على طول سفره، وقد اختلفت القرى من حيث المساحة العمرانية التي تشغلها فهناك بعض منها يكاد يعادل المدن، نظرا لموقعها ربما على الطرق أو على السواحل أو ربما تكون في حد ذاتها محطة تجارية[2]، لكن الغالب في ذلك أن القرى أغلبها كانت ذات مساحة صغيرة تحوي عددا من الدور تتراوح بين اثنتي عشرة وثلاثين دار، وبالتالي عدد سكانها قليل، هذا ما بيّنته إحدى نوازل ابن رشد، وتضيف نازلة أخرى أن القرية تضم أيضا عددا معين من الحارات وكل حارة منسوبة إلى قوم معين أو إحدى الأسر المعروفة[3]، فمدينة بلنسية كانت بها تجمعات قروية كثيفة تدعى الجماعات، وهذه لها علاقات بالسلطة خاصة في جباية الضرائب، كما كانت تلك القرى تتوزّع بها مجموعة من القصور يديرها أولئك القرويون، ولما سقطت منطقة بلنسية في أيدي النصارى، فإنّها قد سلّمت لهم بواسطة مجالس تتألف من مسلمين أو من مسيّرين سابقين، ويضيف غيتشار أن تلك الأبنية كانت في واقع الأمر قرى صغيرة تحوي عددا من السكان أو مسورات تستخدم كملاجئ لسكان تلك القرى[4].

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص: 17.

[2]- رابح فيسة محمد، إحصاء جملة من قرى بلاد الأندلس من خلال مصادر وكتب التاريخ الاسلامي، مجلة الانسان والمجتمع، العدد 9، جامعة تلمسان، ديسمبر 2014م، ص: 78.

[3]- أبو مصطفى(نقلا عن ابن رشد)، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، ص: 27.

[4]- بير غيتشار، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين- من بداية القرن الثامن إلى بداية القرن القرن الثالث عشر- دراسة شاملة (الحضارة العربية، ج2)، ص: 987.

ثالثا– المنشآت العمرانية:

أ– ذات الطابع الاجتماعي:

1– الأرباض: ومفردها الربض (Arrabal) وهو ما يطلق على الأحياء المتطرفة أي التي تكون خارجة عن أسوار المدينة، وفي الغالب بعيدة عن مركزها[1]، وكان لكل مدينة أرباض تحمل أسماء الجهات التي تقع فيها، كالربض الشرقي في الجهة الشرقية والغربي في الجهة الغربية من المدينة كما هو الحال في مدينة المرية، حيث لما اتسعت المدينة واتصل سورها بربضيها الشرقي والغربي أعيد تسويرهما[2]، ومدينة طرطوشة لها ربضين أحدهما من جهة الشمال والآخر من الجنوب، إلا أن ما تتميّز به عن غيرها من مدن الأندلس كل أرباضها تقع داخل سور المدينة[3]، لأن أغلب المدن في المنطقة إلا وتعرضت لعملية توسيع داخلي، نظرا لازدياد عدد السكان مع مرور الوقت خاصة في فترة الدراسة التي عرفت فيها ما يسمى "بالزيادة غير الطبيعة"، أي زيادة سكان المدينة خارج عدد المواليد، وهذا يتأتّى غالبا من الهجرة من مناطق بعيدة أو التروح من الأرياف نحو المدن.

2– المنازل: امتازت المنازل بصفة عامة بالضّيق، إذ لا تتعدى المساحة الاجمالية للمترل الواحد أكثر من خمسين مترا، حيث تلتصق ببعضها البعض مُشَكِّلة بذلك شوارع ضيقة جدا، وكثيرا ما منعت **شماساتها**[4] على المارة الجواز بين تلك الشوارع، ولذلك أمر الملكان الكاثوليكيان بإزالتها، بعد سقوط تلك المدن في أيدي النصارى، ضف إلى ذلك فقرها إلى مظاهر الجمال من الخارج بخلاف ما بداخلها من أبهة، حيث ينقل بالباس عن لترا أنّ **"واجهات منازل مالقة بعد الاستيلاء**

---

[1]– أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 201.

[2]– توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، ص: 108.

[3]– الحميري، الروض المعطار، ص: 124.

[4]– **الشماسة**: وهي بمثابة النافذة، وهذه الكلمة مشتقة بدورها من"الشمس"، حيث تستطيع النساء مشاهدة من بالخارج دون أن يراهن أحد. وقد وجد في الأدب القشتالي كلمة Ajimez في القرن الرابع عشر الميلادي، وهي كلمة قشتالية مشتقة من الشماسة. يبدو أن هذا الطراز المعماري حسب بالباس أنه تقليد لنظام المشرفيات المصرية، حيث انتقلت إلى الأندلس وأول ما انتشرت في منطقة الشرق وأراغون ثم انتقلت إلى طليطلة وغيرها(انظر: توريس بالباس، نفسه، ص: 124، 126، 127).

عليها بقليل كانت مطبوعة بطابع الحزن والكآبة على خلاف ما كانت عليه من الداخل" [1]، وأما مداخل المنازل فأبواب تتميز بالصّغر نوعا ما، تقفل بضلفتين خشبيتين ومزلاج خشبي أيضا، والأبواب التي تكون على جانبي الطريق فغالبا ألا يتواجه بابان إلى بعضهما، أما الجزء الرئيسي في المترل فهو الصحن، إذ يبدو من خلال كتابات بالباس أن الأخير ظهر خلال عصر المرابطين، ويكون في وسطه بركة ماء وتزرع به شجرة أو أكثر، فترسم بذلك منظرا جميلا للمترل، حيث تقوم المرأة فيه بأعمالها المترلية، والكثير من المنازل كانت لها طوابق علوية يصعد إليها بسلالم ضيقة، وغالبا ما تخصّص للنساء والحياة الخاصة، مزودة بنوافذ تطل على الصحن[2].

أما عدد المنازل فيختلف من مدينة إلى أخرى حسب أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد ذكر عبد العزيز سالم نقلا عن توريس بالباس، أن عدد دور المرية في الفترة ما بين أواخر القرن الخامس الهجري والنصف الأول من القرن السادس الهجري، حتى سنة 542هـ ـــ 1147م، بنحو 4604 دار يسكنها أكثر من 27 ألف نسمة بمعدل ستّة أشخاص في كل دار، وهو أقل تقدير لعدد سكان المدينة في ذلك الوقت[3]، وذلك بعد أن قدّر عدد السّكان في الهكتار الواحد 350 نسمة، والمدينة هذه في تقديره لها تبلغ مساحتها داخل السور طبعا حوالي 79 هكتار أيام أن كانت في عِزِّها، لأنّها ستعرف فيما بعد تناقصا كبيرا في تعداد سكانها جراء وقوعها تحت الاحتلال النصراني لعشر سنوات(542هـ-552هـ/1147م-1157م)، و لم تعُد كما كانت أيام المرابطين، أما بلنسية فقدّرها بحوالي 44 هكتار فكان الناتج السكاني للمدينة قرابة 15000 نسمة[4].

3- الحمّامات: تأثرت العمارة الاسلامية إلى أبعد حد بالمبادئ التي بُني عليها الدِّين، لذلك ظهرت العمارة في شتى أنحاء البقاع تحمل الطابع الديني، ومن بين أهم المنشآت العمرانية التي ربّما لها من

---

[1]- توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، ص: 122 وما بعدها.

[2]- نفسه، ص: 127.

[3]- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 114.

[4]- بير غيتشار، التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين- من بداية القرن الثامن إلى بداية القرن الثالث عشر- دراسة شاملة (الحضارة العربية، ج2)، ص: 984.

الأهمية بمكان بعد المساجد، نجد الحمّامات فهي التي تعمل على طهارة الانسان الحسية والروحية، تبعث فيه بهجة الحياة، ولذلك كانت الحمامات في الغالب تقام بالقرب من المساجد[1].

وقد شبه الأعمى التطيلي الحمّامات التي هي ماء ونار بالقلب الانساني بأفراحه وأتراحه[2]، كما كانت هذه الأخيرة أماكن للراحة والمرح، بل يتساوى فيها السّيد والخادم والعالم والجاهل، ولهذا فقد تعرّض الشاعر البلنسي عبد العزيز بن أحمد القيسي(ت427هـ-1036م)في شعره إلى دور الحمّام ويجمله في أبيات ثلاث:

ومترل أقوام إذا ما اعتدوا به   تشابه فيه وغـــــده ورئيسه

يخالـــط فيه المرء خليطه   ويضحى عدو المرء وهو جليسه

يفرج كربي أن تزايد كربه   ويؤنس قلبي أن يعـــد أنيسه[3]

وكثيرا ما كانت بعض الحمّامات تخلو ممّا يلزمها، من هدوء ونظام، نظرا لدخوله كل أطياف المجتمع، النّذل والنبيل، فهذا أبو جعفر عبد الملك بن سعيد يذم حمّاما:

يا رُبّ حمّامٍ لعنّا بِمَـــا   أبدى إلينا كلّ حمّـــــامِ

أُفْقٌ له قَطْرٌ حميمٌ كمَـا   أصمتْ سهامٌ من يَدَيْ رامي

وازدَحَم الأنْذَالُ فيـــه   وضَجُّوا ضجيجًا دون إفهامِ

وجُملة الأمر دخلنـا بني   سام وعدنا كبني حـــامِ[4]

---

[1]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 214.

[2]- توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، ص: 108.

[3]- شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دتا، ص: 206. أيضا: أبو مصطفى، نفسه، ص: 214.(نقلا عن المقري).

[4]- المقري، نفح الطيب، ج4، ص: 182.

وكان الحمّام الأندلسي في الغالب يتألف من مدخل ثم ثلاث أو أربع حُجرات أساسية مغطاة بأقباء، وكلّها لغرض الاستحمام ويكمّلها في النهاية حجرات الوقود، ويدخل إليه بباب منخفض ويلي ذلك صحن صغير مغطى أو مكشوف يلحق به مرحاض[1]، وعند المدخل مباشرة حُجرة ضيقة طويلة مغطاة بقبو نصف دائري، وتسمى هذه الحُجرة **"البيت البارد"** أطلق عليها بعض المؤرخين اسم **"بيت المسلخ"**[2]، وفيها كان يخلع المستحمون ملابسهم، وفي بعض الحمّامات المترفة كان يسبق هذه الحُجرة حُجرة أخرى لخلع الملابس والاستحمام، أما في الشتاء فكان المستحمّ يخلع ملابسه في الحجرة الوسطى الدافئة لقربها من البيت الساخن، ويلي البيت البارد قاعة أعظم حجما وأهمية في وسطها فضاء مربع مغطى بقبة، وممرّاتها مغطاة بأقباء تحملها أعمدة تحفّها بجوانب الصالة أو من جانبين أو ثلاث منها وتسمى **"البيت الوسطاني"**، وأخيرا نصل إلى **"البيت الساخن"**، وهو حُجرة ضيّقة طويلة كالأولى مغطاة في نهايتها بالحنايا، وفي الحائط الذي يقع في صدر الحُجرة قِدْر كبير من النّحاس الأحمر، تخرج منها أنابيب نحاسية تحمل الماء السّاخن إلى أحواض مصنوعة من الرّخام أو الحجر أو الطوب الأحمر وتسمى صهاريج، وهناك أنابيب أخرى تحمل الماء البارد[3].

وكانت الأقباء التي تغطّي الحُجرات تتخلّلها فتحات أو كوات في وسطها ذات شكل نجمي تسمّى مضاوي وتقفل بزجاج ملون، تسمح بمرور الضوء لإنارة الحجرات[4]. وتتميز الحجرتان الساخنة والباردة في الحمّامات المترفة عن غيرها، حيث تُرصف بقطع من الرخام وترتكز أرضيتها على أكتاف من الطوب الأحمر تاركة تحتها فضاءً يبلغ ارتفاعه من متر إلى متر ونصف، وأما مكان تسخين الماء فيوجد تحت القدر، ويتسرب الدخان والهواء السّاخن من أرضيات الجزأين المجاورين، ثم يخرج من مداخن ملصقة بالجدران، وحُجرة الوقود تكون ملاصقة للقدر لكن مدخلها مستقل تماما عن غيره من مداخل الحمام[5].

---

[1]- توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، ص: 110.

[2]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 214.

[3]- توريس بالباس، نفسه، ص: 110 وما بعدها.

[4]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 345. أيضا: أبو مصطفى، نفسه، ص: 215.

[5]- توريس بالباس، نفسه.

ونظرا لأهمية الحمّامات في الحياة الاجتماعية فلا تخلو مدينة من مدن الشرق منها، فهذه مدينة بجانة قبل فترة الدراسة، كان بها أحد عشر حمّاما، لكنها خربت بتعمير مدينة المرية[1]، ومن أهم الحمّامات الأخرى في شرق الأندلس نجد:

- حمّام مرسية ويرجع بناؤه إلى القرن 13م، وذلك قبل سقوط المدينة في أيدي النصارى.

- حمّام توريس توريس وهو على بعد ستة أميال من مربيطر وتبعد بواحد وعشرين ميلا شمالي بلنسية[2].

- حمّام مربيطر كان يقع غربي المدينة، ولم يتبق منه إلا ثلاث ممرات بطول 9.83م وعرض 3.30م، تعلوها قنوات نصف أسطوانية وتتخلّلها طاقات نجمية الشّكل (مضاوي)، حيث تولّى ملكية هذا الحمّام بعد سقوط المدينة اليهودي يوسف شبروط[3].

- حمّام جزيرة شقر.

- حمّامات شاطبة ولعل الآثار المتبقية في المدينة شاطبة تدل على كثرة الحمّامات بها، فأحد أبوابها كان يسمى باب الحمّام، وهناك حمام آخر يعرف بـــ حمّام شاطبة. وقد ورد عند ابن الأبار في تحفة القادم أن هناك حمام يسمى "حمّام بيار"، وذلك حينما أورد أبياتا من الشعر قالها ابن مغاور وابن غتال حين دخلا هناك مع أحد الأدباء، قال ابن مغاور:

شرفت بحمّام النوار بيار فدخانه تعشى به الأبصار

وقال آخر: بينا تروم تنعما في دفئه يغشاك قر ما عليه قرار

فقال ابن غتال: لو أن لي فيه عصا موسى على آياتها ما فر عني الفار[4]

---

[1]- توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، ص: 108.

[2]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 345 وما بعدها.

[3]- نفسه، ص: 346.

[4]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 29.

- حمّامات شنشالة وهذه المنطقة كانت من أهم المواقع الاقتصادية في شرق الأندلس التي اشتهرت بالبسط والأوطية[1].

- حمّامات ميورقة فقد عثر على بقايا حمّام في أحد دروب المدينة ويقع في أحد البيوت، حيث قال عنه البارو كمبانير أنّه: **"من الآثار القليلة الباقية من حملة التخريب الوحشية، التي تعرضت لها المباني العربية منذ الاستيلاء على مدينة ميورقة في الحادي والثلاثين من ديسمبر سنة 1229م"**[2]، ومن بين الآثار الاسلامية الباقية في مدينة ميورقة أيضا باب الكحل، حيث يصفه مانويل جومنث قائلا: "وجدير بالذّكر أن نذكر باب سانتا مرجريتا المهدّم في بالمادي بميورقة (باب الكحل) والذي يشبه تماما من حيث نظام بنائه، أنظمة البناء في المرية، القائمة على أساس تعاقب الكتل طولا وعرضا، مع صف مزدوج من اللوحات ممتدة، وعلى هذا النحو تكون عقدان، لعلّهما كانا على شكل حدوة الفرس، يجري بينهما باب، يقوم مقام السّد، اقتصر تنسيجهما على الجزء المركزي، وتتنوع أجزاؤه من مركز يقع أسفل مركز الدائرة، ويشمل نظام البناء نفسه الكسوات الجانبية في نطاق كتل الملاط القوي الذي يغلف البناء كله"[3].

ب- ذات الطابع الاقتصادي:

1- دُور الصناعة: نظرا لأهمية النشاط الذي تقوم عليه دور الصناعة في المجال الاقتصادي، فإنها لم تكن تشغل حيّزا جغرافيا يستهان به، فدائما يفضل أفراد المجتمع الأماكن التي تكون لها أهمية في حياتهم اليومية، ودور الصناعة غالبا ما كانت تتمركز في أماكن مهمّة من المدينة، فهذه دار الصناعة في مدينة طرطوشة مثلا، كان يحيط بها سبعة عشر برجا لتوفير الحماية، هذا قبل سقوطها في أيدي النصارى سنة 543هـ- 1148م، لأنّها بعد هذا التاريخ تعرّضت للإهمال كمركز اقتصادي، لكنها تحوّلت إلى تجمع سكاني يحوي حوالي ستين منزلا للأسر اليهودية، بعد تصريح صاحب برشلونة رامون برنجير الرابع Berengar Raymond لهم بذلك، سنة 544هـ-1149م[4]،

---

[1]- أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 345 وما بعدها.

[2]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 559.(نقلا عن كمبانير).

[3]- نفسه، ص: 560.(نقلا عن مانويل جومنث).

[4]- أبو مصطفى، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الأندلس، ص: 88.

كما أخذت دار الصناعة في المرية مساحة كبيرة من المدينة، حيث قسّمت قسمين، أحدهما يحوي المراكب الحربية والآلة والعدة، والثاني في القيسارية، رتّبت فيها كل صناعة منها حسب نوعها، ولذلك أشاد بها العذري(ت478هـ-1085م) بقوله: "قد أمن فيها التجّار بأموالهم وقصد إليها الناس من أقطارهم"[1]، كان ذلك قبيل دخول المرابطين المدينة، أما فيما بعد فإنّها قد كانت سببا في زيادة تدفق العنصر البشري من كل جهة إليها، لأن الوضع أصبح أكثر مما وصفه العذري.

2- المراكز التجارية (الأسواق والقيساريات):

غالبا ما كانت الأسواق بالقرب من المساجد وهي السّمة العامة للمدن الاسلامية، وهي أماكن غير محددة بذاتها، يقصدها التجّار والباعة، وتقام فيها الحوانيت للبيع والشراء[2]، خاصّة الأماكن العامّة والرحبات حيث تكون مقصد كل فئات المجتمع، ولا تكاد تخلو مدينة من مدن شرق الأندلس من هذه المراكز فهي مصدر تموينهم بمختلف احتياجاتهم اليومية من غذاء ولباس وأثاث...وغيرها، مما تقوم عليه حياتهم.

أما القيساريات وهي في أصل الكلمة يونانية لاتينية Kaisareie وتعني السوق القيسري التابع للدولة[3]، وتقام في الأماكن المخصوصة بمبان معينة، تعرض فيها السلع والبضائع في شكل أسواق مستقرة كمراكز تجارية دائمة، وتكون بالقرب من المساجد الجامعة، وتحوي حوانيت ذات مساحات صغيرة، لها أبواب تفتح مباشرة أمام الشارع الموجودة فيه، وتكون قليلة الارتفاع تعلوها مظلات مائلة من الخشب أو الحصير وذلك من أجل وقاية الباعة والبائع من المطر وحرارة الشمس[4].

---

[1]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 86.

[2]- فايزة بنت عبد الله الحساني، تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها 316هـ-512هـ/928م-1118م- دراسة سياسية وحضارية-(رسالة ماجستير)، إشراف سعد عبد الله البشري، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1429هـ-1430هـ/2009م-2010م، ص: 143.

[3]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية، ص: 230.

[4]- نفسه، ص: 231.

3- الفنادق: كان للنشاط التجاري الذي شهدته منطقة الدراسة خلال عصري المرابطين والموحدين، دور كبير في ايجاد وانشاء الفنادق فهي متزل التجار وأمتعتهم ودوابهم، خاصة في المراكز العمرانية الكبرى[1]، أما من الناحية العمرانية فكانت بسيطة في شكلها العام، فالأدوار السفلى تكون للأمتعة والدواب وأما العليا فلإقامة التجّار والمسافرين، وما تميّزت به أنها لا تتوفر على الخدمات الضرورية، حيث يجد المسافر نفسه مضطرا لأن يوفر غطاء يتدثّر به وحصيرا ينام عليه، حتى الطعام فإن المقيم يعده بنفسه[2]. ولهذا نجد الحافظ ابن ورد يعبّر عن حالة الفنادق وحتى البيوت التي كانت من الضيق بمكان في بيتين من الشعر إذ يقول:

سُكنى الفنادقِ ذلٌّ والبيتُ منه أذلٌّ

فإن دُفِعْتَ إليها فَحُجرة لا أقلّ[3]

وعليه فقد كانت الفنادق في شرق الأندلس من الكثرة بمكان حتى أنك تجد المدينة الواحدة تتوفر على قرابة الألف فندق، كما هو الحال في مدينة المرية، نظرا لما اشتهرت به المدينة من نشاط تجاري عالمي[4]، أما من ناحية الفن المعماري فيبدو أن أغلبها كانت بنايات بسيطة أغلبها تستعمل فيها مادة الخشب لإقامة أروقتها أو لإيصالها ببعضها البعض، والدليل على ذلك أنها لم يبق منها شيء يدل على وجود سابق لها، والبقايا التي وصلت إلينا كانت لفنادق غنية نوعا ما حيث استعمل في بنائها مادة الطوب الأحمر[5]، وغيرها من مواد البناء التي تتميز بالصلابة التي تجعلها تعمر طويلا، ولهذا يمكن القول أن أغلب تلك الفنادق لم تكن ترق إلى هذا الاسم الذي يدل على الرفاه

[1]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية، ص: 231.

[2]- توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، ص: 118 وما بعدها. أيضا: أبو مصطفى، نفسه، ص: 231، 232.

[3]- ابن الأبار، تحفة القادم، ص: 33.

[4]- الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص: 289، 290.

[5]- توريس بالباس، نفسه، ص: 119.

والراحة وتوفر الخدمة، وإنما هي **مراقد**[1] للمسافرين إن صح التعبير، ولذلك فكل **مرقد** اعتبر فندقا في نظر الادريسي(ت560هـ-1165م) وغيره، إلا ما كان يتوفر فعلا على ضروريات الخدمة خاصة الفنادق الغنية.

ج- ذات الطابع الديني:

1- المساجد: كانت المساجد أهم المراكز العمرانية في المدن الاسلامية، بل هي النواة التي تتأسّس وتقام على إثرها تلك المدن، ويأخذ المسجد هنا حجما بحسب عدد سكان ذلك الموقع الجغرافي، لأن المسلمين كان عليهم جميعا تأدية صلاة الجمعة، وكان دوره يتعدى إقامة الشعائر الدينية إلى مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والسياسية، إذ كان مركزا تعقد فيه الاجتماعات العامة، وينظر في قضايا السلم والحرب[2]، بل هو قلب المدينة النابض بكل نشاطاتها[3]، لذلك عدّه مؤنس ضرورة دينية وضرورة سياسية وضرورة اجتماعية[4]، ويعود تاريخ إنشاء المساجد في منطقة الدراسة إلى السنوات الأولى للفتح الاسلامي لها، هذا في المدن التي وجدت قائمة من قبل، أما المدن التي تم إنشاؤها خلال العصر الأموي فكان المسجد أول بناء يباشره الأمير أو الخليفة ومن ثم تعطى الصفة العمرانية التي تقوم عليها هذه الأخيرة، ومع مرور الوقت وازدياد عدد السكان فإن المسجد حتما تضاف له التوسعة اللازمة لاحتواء سكان المنطقة، وذلك بزيادة عدد أروقته التي تخضع للمساحة التي يشغلها المسجد وهذا بدوره يخضع لعدد السكان في المنطقة، فمسجد المرية كان فيه سبعة أروقة ومسجد بجانة ستة أروقة وطرطوشة خمسة أروقة، هذا بالنسبة للجامع المركزي للمدينة، أما

---

[1]- **المراقد:** وهي المكان الذي يستطيع المسافر اليوم المبيت فيه دون اشتراط وجود كل الخدمات، إلا ما كان ضروريا جدا كالسرير والغطاء والماء، وبعد مقارنتها بالمعلومات الواردة أعلاه، اتضح أنها لم تكن ترقى فعلا إلى كلمة فنادق والتي أيضا كانت وظيفتها هي إقامة المسافرين إلا أنها تختلف عن المراقد في احتوائها على مختلف الخدمات التي توفر الراحة للمسافر.

[2]- توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، ص: 99، 100.

[3]- أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 205،. أيضا: بلحاج طرشاوي، العمارة الاسلامية أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية (أطروحة دكتوراه)، إشراف، معروف بلحاج، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1428هـ-1429هـ/2006م-2007م، ص: 10.

[4]- حسين مؤنس، المساجد، مجلة عالم المعرفة، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص: 30.

المساجد الصغيرة والمصليات فقد كانت هي الأخرى موجودة ومنتشرة في مختلف الأحياء، وكثير منها كان في أماكن عمرانية تابعة للأشخاص، ولهذا يفسّر توريس بالباس كثرة عدد المساجد التي أحصاها المؤرخون في الكثير من المدن، إذ كانت تلك المصلّيات ضمن التعداد هذا[1].

وفي عصر المرابطين وبعد ارتفاع عدد سكان المدن واتساعها، كانت المساجد ضمن أهم المراكز العمرانية التي لحقتها التوسعة، بل إنها عرفت تجديدا هاما تمثل في استخدام أكتاف من الطوب الأحمر لترتكز عليها الأعمدة، بدلا من الأعمدة الحجرية أو الرخامية[2]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خضوع حتى عملية التوسعة أو الزيادة بأي شكل كانت للمبادئ التي بنيت عليها الدولة، فدولة المرابطين خاصة في أيام يوسف بن تاشفين كانت دولة جهاد زاهدة في المظاهر الدنيوية وزخرفها، مستبدلة بها الآخرة ونعيمها، لذلك استعملت أكتاف المساجد المضافة من الطين بدل الرخام الدال على الأبهة والفخر، فطبيعة المسجد تتنافى مع الضخامة والاسراف في الزينة، لذا ينبغي أن تتناسب هيأته مع بساطة الاسلام وصفائه[3]، ولكن التأثيرات الأندلسية غلبت تدريجيا على سياسة الأمراء المرابطين، فهذا علي بن يوسف بن تاشفين الذي تربى تربية أندلسية أكثر منها مغربية تأثر إلى حد كبير ببعض مظاهر الحضارة الجديدة، فقد شغف هو الآخر بالزخارف النباتية وأدخلها في زخرفة المساجد، بعد أن استوحى الكثير من الفنون الزخرفية التي كانت تطبع قصر الجعفرية بسرقسطة وغيرها من مدن شرق الأندلس، لذلك تميزت أغلب آثار المرابطين المعمارية في منطقة الدراسة بالزخارف النباتية، إلا أن هذه الفنون سرعان ما اختفت مع دخول الموحدين للأندلس محاولة منهم التخلص من كل المظاهر التي توحي بالسيادة المرابطية في المنطقة[4].

كانت المساجد تتزيّن بحدائق غنّاء تتلوّن بمختلف أنواع الأشجار خاصة الليمون، فمسجد المرية مثلا كانت له حديقة كبيرة مربعة الشّكل بها أشجار ليمون وأنواع أخرى من الأشجار، وأرضيتها

---

[1]- توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، ص: 102، 103.

[2]- نفسه، ص: 103.

[3]- حسين مؤنس، المساجد، ص: 29.

[4]- عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص: 345، 346.

مرصوفة بقطع رخامية في وسطها نافورة[1]، أما نمط البناء فكان النظام القرطبي هو الغالب على مساجد المنطقة مع بعض الاضافات التي كانت زمن المرابطين والموحدين من ناحية تزيين جدرانه.

2- الرباطات:

كثيرا ما ورد لفظ الرُّبط أو المرابطة، حيث اقترنت مع مصطلح الثغور وهي المناطق الفاصلة بين البلاد الاسلامية وأرض الأعداء، خاصة في الأماكن التي تكون محل صراع بين المسلمين وغيرهم من الملل والنحل، ولهذا فاللّفظ في معناه العام هو **" الإقامة على جهاد العدو بالحرب ورباط الخيل وإعدادها"**[2]، وغالبا ما تجد أهل هذه المراكز من أهل التديّن والصّلاح والجهاد في سبيل الله، وهذا ما أضاف قوة إلى قوة الأساطيل البحرية في إمدادها بأشد المقاتلين الذين كرّسوا حياتهم للجهاد في سبيل الله[3]، وأكثر القواعد التي كانت معاقل للمرابطة كانت منتشرة على طول الساحل الشرقي للأندلس ما بين أكيلة Aquila وألقنت Alicante[4]، ومن بين الأربطة في المنطقة هناك "رابطة كشكى"، إذ يروي الزهري بعض أعاجيبها[5]، وفي نفس المدينة هناك رابطة كشطالي التي تقع بساحل طرطوشة على مسافة قريبة من مصب نهر ابرة، وصفها الادريسي(ت560هـ-1165م) بالمنعة والحصانة[6]، وأشهر رباط كان بمدينة المرية ويقع على الساحل منها، وقد صار قاعدة أساسية أساسية للأسطول الإسلامي بها[7]، وهو في الواقع أن المدينة في حدّ ذاتها أول ما أنشئ منها، هذا الرباط وابتنيت فيه المحارس، حيث كان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها، لكن في عصر المرابطين تطوّر هذا الرّباط وأصبح مدينة ذات شأن كبير في كل النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية

---

[1]- توريس بالباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، ص: 104.

[2]- محمد الأمين بلغيث، الرُّبط بالمغرب الإسلامي، ص: 43.

[3]- نفسه، ص: 154.

[4]- نفسه.

[5]- الزهري، كتاب الجعرافية، ص: 103.

[6]- أبو مصطفى، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، ص: 90 (نقلا عن الادريسي).

[7]- رضا كحيلة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، ص: 20.

والفكرية[1]، ما يمكن قوله أن الرّباطات في الوقت الذي عُدَّت عمرانا دينيا، تعتبر كذلك عمرانا عسكريا نظرا للدور الذي كانت تقوم به، حيث جمعت بين تبتّل الزّهّاد والعُبَّاد وبين الجهاد والدفاع عن حوزة المسلمين، ضف إلى ذلك أنه كان معهدا تدرس به شتى العلوم[2].

د- ذات الطابع العسكري:

لما كانت دولة المرابطين دولة جهاد في الأصل توافق ذلك مع وجودهم في منطقة صراع شرس بين المسلمين والنصارى، حيث يقع شرق الأندلس على حدود مع دول الاسترداد النصراني مملكة قطلونية من جهة وأرغون من جهة ثانية، وبالتالي أثّر هذا الموقع على تغيّر حسابات السياسة الخارجية، فانعكس على الواقع الداخلي للمنطقة في الناحية الأمنية، خاصة بعد تلك الحملة العسكرية التي قام بها ألفونسو المحارب Alphonso Batallado في شرق الأندلس سنة 520هـ-1126م، حيث كشفت هذه الحملة ضعف البُنَى الدفاعية للمنطقة، هنا اضطرت السلطة على إثرها إلى إعادة النظر في التحصينات اللازمة، كإنشاء حصون وقلاع جديدة أو إعادة ترميم القديمة منها، بل إن الدولة لم تشأ أن تتحمل تكاليف هذه المشاريع لوحدها وإنما أقحمت أفراد المجتمع للمشاركة معها، وذلك أن فرضت ضريبة عرفت بـــ"ضريبة التعتيب" الخاصة بإنشاء التحصينات اللازمة لدرع خطر الأعداء، ولهذا كان الطابع الحربي هو ما يميّز أكثر من غيره العمران المرابطي في هذه المنطقة، أي أن المرابطين اعتنوا أكثر في جميع منشآتهم بالعناصر الضرورية قبل عناصر الفخامة والجمال والزخرفة[3]، ولم يختلف الوضع السائد في عصر الموحدين من بعدهم فإنهم قد ورثوا ذلك الصراع مع النصارى، ولهذا استمر الطابع الحربي يميز عمران المنطقة، إلى أن سقطت كل المدن الأندلسية تباعا في أيدي النصارى، ولم تبق لنا إلا شواهد معمارية تحكي أيّاما كانت في الأندلس دولة اسلامية، ومن بين أهم الآثار الحربية التي خلفها كل من المرابطين والموحدين نجد:

[1]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 86.

[2]- محمد الأمين بلغيث، الرُّبُط بالمغرب الإسلامي، 258.

[3]- عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 345.

1- الأسوار:

تعتبر الأسوار الدرع المنيع الذي يرد عادية الأعداء عن مدن بكاملها، لذلك كانت ضرورية لكل المدن التي بُنيت في تاريخ البشرية جمعاء، خاصة في المناطق التي تكون محل صراعات طويلة، ومنطقة شرق الأندلس تمثل بحق الصراع الانساني حول مناطق النفوذ، فقد يكون بين إخوة أشقاء أو جارين مسلمين فما بالك بفئتين فئة مسلمة وأخرى كافرة نراهم رأي العين، وعليه كان دخول المرابطين للمنطقة في فترة من أشد فترات الوجود الاسلامي حرجا في الأندلس، ولهذا كان همّ السلطة المرابطية هو الاحتفاظ قدر الامكان على ذلك الوجود، ومن ثم كان تحصين المدن ببناء الأسوار أو ترميمها ميزة ميّزت العمران في عهدهم أكثر من أي وقت مضى، ولّما كانت الأزمة تلد الهمّة فرضت الظروف على المرابطين الابتكار في أساليب بناء الأسوار، حيث أوجدوا نظاما جديدا في تخطيطها، فعمدوا إلى الاكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور متخذة بذلك شكل خطوط متعرجة متكسرة، وميزة هذا النظام هو ترك الأعداء يتقدّمون داخل إحدى الزوايا، ومن ثم الاندفاع نحوهم والقضاء عليهم من على السور، وهذا الأخير يكون في أعلاه درب يسمى **"ممشى السور"** يسير عليه المحاربون، مزود بشرفات يقذفون منها سهامهم، ودورات يحتمون خلفها، ويتخلّل جسم الدورات فتحات تساعد المحارب على النظر إلى الأسفل دون أن تصيبه سهام الأعداء[1]، كما كانت تزود بأبواب تحد كل طرف منهما بابان متواجهان امعانا في التحصين، وفوق ذاك تحاط تلك الأسوار بخنادق[2].

ومن بين الأسوار التي قام المرابطون بإصلاحها في منطقة الدراسة، نجد أسوار مدينة المرية وقد تولى النظر في هذا الأمر رجل منهم يعرف بابن العجمي من أصحاب ابن ميمون، **"فأخذ بالحزم، واستكثر من السياسة والعزم، ولم ينفق شيئا من المال إلا في موضعه، ولا استعان إلا بمن جد في نصحه، ورأى الناس ذلك فتساهلوا في الأداء وتواصلوا حمل تلك الأعباء، فكمل السور على**

[1]- عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري، ص: 374.

[2]- سلامة محمد سليمان، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين – 500هـ/537هـ(رسالة ماجستير)، إشراف أحمد السيد دراج، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى- مكة المكرمة- 1402هـ-1982م، ص: 448.

واجبه من التحصين والتحسين، بيسير من المونة دون ضرب ولا سجن"[1]، وفي القول دلالة على رضى أهل المرية بالضريبة التي فرضها المرابطون عليهم من أجل إصلاح الأسوار وتوفير الأمن، وذلك لمّا رأوا أموالهم تُستغل أحسن استغلال من طرف ابن العجمي هذا، فأدركوا أن أموالهم لم تكن لحساب السلطة وإنما عادت عليهم بالنفع العميم.

وعليه لا تخلو مدينة من مدن شرق الأندلس من الأسوار التي تحيط بها، لأنها تعتبر جزءً ضروريا لا بد منه لقيام وتأسيس المدن كبلنسية وشاطبة ومرسية ودانية، وهذه الأخيرة ونظرا لقُربها الشديد من البحر فإن سورها كما قال عنه عبد الواحد المراكشي(ت647هـ/1249م) تلتطم به أمواج البحر[2]، بل إن بقاءها مرتبط ببقاء أسوارها تلك.

كما كان للأسوار أبواب ولكل باب اسم يعرف به إما لموضع ذلك الباب أو لوجود شيء دال عليه كحمام أو ربض أو غيرها، فهناك أحد أبواب سور مدينة المرية يدعى باب الزياتين، فأغلب الظن أن بائعي الزيت كانت لهم سوق خاصة بهم قرب ذلك الباب[3]، وسور مدينة بلنسية قال عنه العذري (ت478هـ-1085م): **"لا يعلم في ببلاد الأندلس أتقن بناء و لا أجمل منه"**، وقد أحصى أبوابها السِّتَّة في: الباب الشرقي يسمى باب القنطرة لأنه يؤدي إلى القنطرة التي منها يكون العبور في المرور إلى مدينة طليطلة وسرقسطة وطرطوشة، وإلى الشرق من هذا الباب نجد باب الوراق ومنه يخرج إلى الربض، أما في ناحية القبلة باب ابن صخر، وفي الجوف باب الحنش، وفي الغرب باب بيطالة ويليه باب القيسارية ومن هذين البابين يتم الخروج إلى دانية وشاطبة والجزيرة[4].

2- القلاع والحصون: تعتبر القلاع والحصون صورة أخرى للعمران الحربي خلال عصري المرابطين والموحدين، ولفظ القلعة في حد ذاته كان من أكثر الألفاظ شيوعا في ضروب العمران، وهو ما يقابله في اللغة الاسبانية لفظ Alcala ، ومنها اشتق لفظ القليعة بالتصغير Alcolea وقد

[1]- ابن عذارى، البيان، ج4، ص: 74.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 298.

[3]- ابن الأبار، التكملة، ج1، ص: 214.

[4]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 17، 18.

وجد ضمنيا في لفظ قشتليون Alcalatén، ومن جهة أخرى فإن لفظ القلعة في الكثير من الأحيان خاصة في فترة الدراسة كان مرادفا للفظ القصر Alcazer[1]، وبذلك استعملوا اللفظ بمعناه الأصلي لأن العرب أخذوه من اللفظ اللاتيني Castra حيث يقول مؤنس أنه يفسر معنى القلعة[2]، لأن القلعة هي الحصن الممتنع في الجبل[3]، ومن الألفاظ المرادفة لها أيضا "المُدينة" Almudaina، وهو تصغير غير قياسي للفظ المدينة وقد استخدم في مدينة لقنت وفي جزيرة ميورقة، أما لفظ الحصن فقد كان شائعا أيضا في كل مدن الأندلس، وهو كل موضع حصين لا يوصِل إلى ما في جوفه[4]، وإلى جانبه هناك ألفاظ تتضمن معنى المناعة مثل لفظ "المحرس" Almaraz أي الموضع الذي يعهد للقائمين عليه بحراسة الثغر[5]، حيث أدى اهتمام السلطة الحاكمة خلال فترة الدراسة بها إلى اضافة المزيد من الابداع الهندسي الذي من شأنه يؤدي الوظيفة الدفاعية عن المنطقة، وقد كان للقلاع أماكن محددة غالبا ما تقام في مرتفع من الأرض قريبة من النطاق العمراني للمدينة، نظرا لدورها المهم في الدفاع عنها، فهذه مدينة طرطوشة وقد بُنيت قصبتها(القلعة) على أرض صخرية واسعة سهلة المرتقى، لكنها صعبة المنال لما امتازت به من روعة البنيان والحصانة[6]، وكانت مادة البناء المستعملة في تشييدها كغيرها من مراكز التحصين، من مادة الطوب أو الحجر أو كلاهما معا، كما تزود بمختلف المؤن من غذاء وسلاح وماء، وخير مثال في هذا النموذج الممزوج بين شدة صلابة المراكز الدفاعية خارجيا وبين أبهة القصور للنزهة والرفاه من الداخل، خاصة في عصر المرابطين نجد قلعة منتقوط أو مونتي أجيدو[7] Monteagodo وتسمى القصير ، بل إن الكثير من المؤرخين اعتبروها

---

[1]- محمود علي مكي، مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في اسبانيا، مجلة مجمع اللغة العربية، ج80، قسم1، القاهرة، 1417هـ-1996م، ص: 71 وما بعدها.

[2]- الجغرافية والجغرافيون، مجلة معهد الدراسات الاسلامية، ج9-10،1961، 1962، ص: 267.

[3]- عبد المطلب جبار عبد الله، القلاع والحصون في المدن الاسلامية (دراسة تاريخية)، معهد الفنون الجميلة للبنات، دتا، ص: 3.

[4]- نفسه، ص: 3، 4.

[5]- محمود علي مكي، مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في اسبانيا، ص: 71 وما بعدها.

[6]- أبو مصطفى، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، ص: 87.

[7]- جيريلين دودز، فنون الأندلس، ترجمة جاسر أبو صفية(الحضارة العربية في الأندلس)، ج2، ص: 874. أيضا: علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ص: 184، 185.

قصرا من القصور التي خلّفها المرابطون في الأندلس، ولذلك فمحمود علي مكي في حديثه عن المصطلحات الجغرافية يقدّم لنا مفهوما خاصّا حول لفظ القصر إذ يقول: **"إننا نجد لفظا كالقصر لا يعني مجرد المترل الفخم الجدير بسكنى الأمراء وعلية القوم كما يتبادر إلى الذهن، بل هو في أغلب الأحوال أشبه بقلعة حصينة، فهو أقرب إلى العمارة الحربية منه إلى العمارة المدنية المعتادة"**[1]، فقد اختير لها مكانا بين بساتين مرسية، ولذلك شكلت صورة جمالية لما تحويه من حدائق ونافورات وبرك وزخارف متنوعة مكونة من تشبيكات سداسية وثمانية وزخارف كتابية متنقلة بين الخطي الكوفي والنسخي[2]، وأهم ما تميّز به هذا القصير هو ذلك التناسق التام في مخارج سوره ومداخله وفي توزيع غرفه، ولمّا كانت الصحون جزءً أساسيا في عمران المرابطين، فقد كان يتوسّطه صحن مستطيل يطل على جانبيه القصيرين جوسقان مربعان بارزان، كما يتقاطع به ممشيان وهما بمثابة محوري البناء، مخلّفان بذلك أربعة أقسام مستطيلات تملؤها أشجار البرتقال والليمون[3].

ذكرنا آنفا أن الظروف السياسية التي كانت تمر بها منطقة شرق الأندلس، سببا في اهتمام أولي الأمر بمشاريع التحصين، كونها سر بقاء ملكية أي إقليم جغرافي في يد مالكه، خاصة في أوقات الحرب، فهذا الأمير **السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن**[4]، خلال تقدّمه نحو مدينة المرية التي كانت في يد النّصارى من أجل استرجاعها سنة 552هـ-1157م، فإنّه قد أنزل معسكره بالقرب من المدينة، ونظرا لبعد سياسته الاستراتيجية محاولة منه على المدى البعيد اضعاف سلطة النصارى في المدينة وذلك بمحاصرتها لمدة أطول، فإنه أقام حول معسكره سورا حصينا[5]، حيث كان يقع بين

---

[1]- محمود علي مكي، مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في اسبانيا، ص: 70.

[2]- سلامة محمد سليمان الهرفي، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين (رسالة ماجستير)، ص: 442 وما بعدها.

[3]- جيريلين دودز، فنون الأندلس، ترجمة جاسر أبو صفية(الحضارة العربية في الأندلس)، ج2، ص: 874. أيضا: عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس، ص: 372.

[4]- **السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن** : عثمان بن عبد المؤمن يكنى أبا سعيد كان من نبهاء أولاد عبد المؤمن ونجبائهم، وذوي الصرامة منهم، وكان محبا في الآداب مؤثرا لأهلها، يهتز للشعر ويثيب عليه. (عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 293).

[5]- ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص: 193.

ساحل البحر والجبال المطلّة على المدينة، وبذلك استطاع التصدي لقوات التحالف النصراني فرجعت خائبة تاركة وراءها مدينة المرية تقع في يد الموحدين[1].

ويرتبط بمهام الدفاع تشييد الأبراج في مواقع متقدّمة من الحدود خاصّة على الثغور والمناطق الفاصلة بين الدولة الاسلامية ودول النصارى، وتدعى هذه المراكز العمرانية بالطلائع Altalayas، والتي تقام خارج أسوار المدن تدعى "البرانية" Torres Albarranas، وفي صيغة التصغير نجد"البريجة" مثل ما هو موجود في بلنسية بصيغة Alboreya أو Alborayet ، وفي ميورقة Alborache وفي البسيط Aborax، ولما كان الطابع الذي يميز هذه المنشآت هو الطابع الحربي فقد أطلق على بعضها اسم "العسكر" مثل البلدة الموجودة في بلنسية والتي تدعى Alasquer [2].

ولا تزال بعض بقايا الحصون ماثلة إلى اليوم مثل قلعة كاب دوبرا Cap de pera وبرج عرطة Arta في شمال شرق جزيرة ميورقة، وفي باب الشرق في أسوار الكدية Alcudia وفي حصون بلانسة Pollentha في شمال الجزيرة[3].

وأما من حيث تعداد الحصون الموجودة بالمنطقة فإنها من الكثرة بمكان، فلا تخلو جهة من شرق الأندلس منها، فمدينة المرية تتوزع الحصون حولها كحصن برجة ويقع في الجنوب الغربي، وحصن شنش ويقع على مرحلة منها وحصن القبطة إلى الجنوب الشرقي، وأما بلنسية ففيها حصون كل من أبيشة، وركانة، وكواليه، وشريون، وشارقة ويقال لها قلعة الأشراف، وطرنتة[4]، كما يوجد حصن القديسة بربارة Santa Barbara بمدينة لقنت[5].

---

[1]- عباس فضل حسين المسعودي، الأمير السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن الموحدي ودوره العسكري والسياسي والحضاري في المغرب والأندلس، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مجلد8، العدد2، جامعة المثنى، 2010م، ص: 64.

[2]- محمود علي مكي، مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في اسبانيا، ص: 73.

[3]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 561.

[4]- العذري، نصوص عن الأندلس، ص: 20. أيضا: الرشاطي، اقتباس الأنوار، ص: 28، 31، 52. أبو المعاطي، الملكيات الزراعية، ص: 330.

[5]- العبادي، صور من حياة الحرب، ص:20، 21.

رابعا- الفنون:

والمعلوم تاريخيا أن المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية وفي مرتبة أخرى يأتي النظام السياسي في أي مجتمع أو إقليم جغرافي ما، أن لها تأثيرا مباشرا على الطابع الفني فيظهر الأخير انعكاسا لها.

ولهذا فالمرابطون لما تحكموا في بلاد الأندلس والشرق جزء منها، عُرف عنهم خاصة في زمن يوسف بن تاشفين(ت500هـ-1106م)، أنهم زُهّاد في الدنيا طالبوا آخرة، فقد اختلفت اهتماماتهم الفنية عمّن كان قبلهم، ويظهر ذلك جليا من خلال حرصهم الشديد على حركة البناء التي لم تخرج عن إطار التحصينات المختلفة من أسوار وحصون وقلاع، أو مساجد ورباطات، وكلّها نابعة من فكرة دينية أساسها الجهاد في سبيل الله، وفي المقابل ندرة العمران الخاص بالتمتع بمظاهر الحياة وزخرفها، فالاهتمام الأكبر كان بقوة ومتانة التحصينات وليس بالمظاهر الزخرفية والجمالية الخارجية، فكان بذلك تغيّر واضح عما سبق- عصر الطوائف- في الأذواق الفنية لتتلاءم والاسلام وحكم المرابطين للبلاد[1].

ولكن الظرف سيتغير سريعا ويتجاوز مرحلة الخشونة والبساطة والبداوة، إلى ممارسة الحياة كذوق فني في إطار التحضر والتمدّن، محقّقين بذلك **"ولا تنسى نصيبك من الدنيا"**، وذلك مع منتصف عهد علي بن يوسف(ت537هـ-1142م)، وهنا يمكن التوصّل إلى نقطة أخرى مؤثرة على الناحية الفنّية وهي نوع التربية والحياة التي يتلاقاها الفرد في تكوينه العام، فعلي بن يوسف نشأ تنشأة أندلسية أدّت به إلى التأثّر بنوع الحياة التي كانت سلفا، خلال عصر الطوائف حيث بدأت الفنون تعرف نوعا من الانفراج، وفتح الأخير المجال أمام الفنانين والمهندسين لممارسة نشاطهم الفني[2].

وخير مثال على هندسة البناء في الحقبة المرابطية في شرق الأندلس قلعة منتقوط، والتي كانت من الداخل بمثابة قصر نظرا للزخارف الجصية والرسومات الهندسية، الدالة على التصميم الهندسي في الزخرفة والأشكال المعمارية. ضف إلى ذلك اهتمام المرابطين بالأخشاب التي كانت مادة

---

[1]- جيريلين دودز، فنون الأندلس، ترجمة جاسر أبو صفية(الحضارة العربية في الأندلس، ج2)، ص: 874.

[2]- نفسه.

أساسية في المساجد، وذلك لصناعة المنابر المطعّمة بالعاج والمزخرفة بأشكال هندسية، كالكتابة بمختلف أنواع الخطوط أو تلك التي تتوافق وذوقهم الفني الذي لا يتعارض مع تعاليم الدين خاصة الأشكال النباتية، وحتى في بناء المنازل والفنادق...وغيرها.

من جهة أخرى لم تنحصر الفنون خلال هذه الفترة وفي منطقة الدراسة في بعض أشكال العمران فحسب، بل أخذت أشكالا لها مِيْزتها الخاصة كما لها ذوقها الفني الرفيع في الولع الشديد بالأقمشة الثمينة ذات الجودة العالية، خاصّة وأن مدينة المرية كانت عاصمة عالمية الشهرة في هذه الصناعة وهذا الفن، وهذا ما تعارض ومبادئ الدولة الموحدية في بدايتها[1]، والتي وجد فيها هؤلاء الفرصة في الطعن في المرابطين والتقليل من شأنهم في نظر العامة من الناحية الدينية، واستمرت الفنون لكن دائمة في الاطار الديني، خاصة ما عُرف خلال عهد من سبقهم بالفن المعماري الحربي، وهذا بتأثير الظروف السياسية القائمة على الحرب، إما ضد المرابطين وبقاياهم في الأندلس، أو ضد النصارى المتقدّمين نحو الجنوب لطرد المسلمين من البلاد[2].

كما حظيت بعض الدور والمنازل التي كانت ملكا لبعض الأغنياء وأصحاب الثروة بنصيب كبير من الفنون والزخرفة ذات الأشكال الخزفية الجميلة، كما هو الحال في بلنسية[3].

ومن المظاهر الفنية خلال عصر الموحدين كتلك التي كانت تظهر على جدران المساجد، مثل العقود الصماء الصغيرة القائمة على عمد وتجاويف مقوّسة ومراوح نخيلية ملساء متصلة فيما بينها عند أطرافها المعقودة لتكون عقودا، وهذا ما تم اكتشافه في مسجد المرية الذي أعيد تجديده من طرف الموحدين، حيث قال عبد العزيز سالم أن ذلك تم بعد عام 552هـ-1157م أي بعد استعادتها من طرف النصارى[4].

[1]- كولان، الأندلس، ص: 169.

[2]- جيريلين دودز، فنون الأندلس، ص: 875، 876.

[3]- نفسه.

[4]- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 148.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال دراسة إقليم شرق الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، كإقليم جغرافي لعب دورا حضاريا من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعمرانية، تبينت لنا بعض النتائج التي يمكن حصرها فيما يلي:

- أن للجغرافيا موقعا وموضعا أثر بالغ وفعّال في توجيه الأحداث والوقائع، وينعكس أثرها ذاك على مختلف نواحي الحياة، وهذا ما مثّله بحق إقليم منطقة الدراسة-شرق الأندلس- الذي اكتسى أهمية كبيرة في بلاد الأندلس ظهرت في الاقتصاد والمجتمع والفكر والعمران، خاصة وقد تغيرت السلطة الحاكمة والتي كانت متمثلة في الأسر العربية العريقة خلال الدولة الأموية ثم انقسمت بين العرب والبربر والموالي في عصر الطوائف، أما فترة الدراسة بغض النظر عن فترات الفتن مع نهاية عمر كلا الدولتين المرابطية والموحدية، فإن السلطة استقرت مدة زمنية طويلة في يد البربر متمثلة في المرابطين والموحدين، بل قل إن السلطة انتقلت من أهل المشرق إلى أهل المغرب، ولهذا فتحول السلطة من العرب إلى البربر لم يكن تحولا مباشرا وإنما مرّ بمرحلة انتقالية وهي عصر الطوائف، وبالتالي كانت الجغرافيا السياسية شاهدَ عصر.

- ولما كان للجغرافيا أثر واضح فقد تعددت المصطلحات الجغرافية المتعارف عليها في المنطقة وظهر التباين بينها وبين ما هو مستعمل عند أهل المشرق، حيث اختلفت المقاصد حتى وإن اتفقت الأسماء والألفاظ.

- إن الاقتصاد عمود قيامه وسيرورته بل وتطوره هو ما تجود به بيئة الإقليم من مقومات زراعية وصناعية وتجارية، فالأرض ودور الصناعة ومراكز التسويق كلها لا تنفك عن الجغرافيا في شيء، ونظرا لما تميزت به أرض الاقليم من عوامل مساعدة على ازدهار النشاط الزراعي والصناعي ومن ثم التجاري، فإن مساهمة الأفراد والمجتمع هو من يكشف عن أهمية الاقليم من خلال مساهماتهم

العملية في ذلك، فتكون النتيجة بقدر ما هم أبناء بيئتهم فالبيئة تتكيف مع ما يقدّمونه لها من جهود.

- ظهور وبروز بعض المدن كعواصم اقتصادية بكل ما تحمله الكلمة من معان، فكان ذلك التميّز الذي طبع بعض المدن، خاصة الواقعة على الواجهة البحرية للحوض الغربي للبحر المتوسط، كمدينة المرية ومرسية ودانية وبلنسية وجزر البليار...وغيرها، ويبدو أن هذه المدن خلال فترة الدراسة خاصة عصر المرابطين قد حازت قصب السبق وذاعت شهرتها وفاقت مدنا أندلسية أخرى كقرطبة واشبيلية.

- إن المجتمع في إقليم الدراسة وفي فترة الدراسة يبدو أنه قد عرف تغيّرا جذريا عما كان عليه أيّام الدولة الأموية، فالمجتمع لم تبقى له صفة التميّز التي كانت تطبع أفراده بين العرب والبربر والنصارى واليهود، لأنه ببساطة وقع ذلك الانصهار الشبه كامل بين مختلف هؤلاء الأصناف، وكان التزاوج سببا في ظهور وبقوة فئة سكانية-المولّدين- وأصبحت تمثّل ما يسمّى بالمجتمع الأندلسي، حيث غابت بعض الشيء ظاهرة التفاخر بالنسب خاصة العربي، وصار الرابط الحقيقي هو الجهة أو الاقليم وفوق ذلك المصلحة.

- ودائما في هذا المجال ذهب بعض الباحثين المحدثين مذهب بعض المستشرقين الذين كانت العنصرية تطبع كتاباتهم، خاصة حول مسألة طرد العرب للبربر إلى الأماكن الوعرة، إذ حاولت في هذا البحث نفي تلك النظرة العنصرية وذلك بتقديم بعض الحجج الدالة على تواجد العنصر البربري في منطقة الدراسة منذ الأيام الأولى للفتح، بل إن الدلائل تشير إلى أن نسبة البربر الداخلين إلى الأندلس كلها أكثر من العرب، كما تم تحديد أماكن تواجد كلا العنصرين على السواء في المنطقة بالاعتماد على بعض المصادر ودراسات لباحثين سابقين في هذا المضمار.

- من جهة ثانية مثّلت المنطقة المجتمع الذي جمع بين عناصر بشرية تختلف تماما في اللغة والدين والمعتقد والتاريخ، وضربت مثلا في التسامح الاسلامي، من خلال التعايش الحاصل بينهم والتمازج

إن لم يكن في الأنساب كان في العادات والتقاليد، حتى وصل الأمر إلى إحياء مناسبات وأعياد تتعارض في مضمونها مع تعاليم الدين الاسلامي فقد كان "التعايش المثالي"، رغم فتاوى الفقهاء الكثيرة في هذا الأمر.

- أما الناحية العلمية فيبدو أن الكتابات العنصرية لبعض المستشرقين عملت عملها، في الحط من مساهمة المرابطين في المجال الفكري، وهذا يتعارض تماما مع الواقع التاريخي المدعم بالقرائن والحجج التي يمكن أن نستخرجها من أقوال حتى أولئك الباحثين في حد ذاتهم، فرغم ما قيل عن الحركة الفكرية خاصة خلال عصر المرابطين، فإن مستوى تلك الحركة كان استمرارا لعصرها الذهبي عصر الطوائف ولم تعرف ذلك النضوب الذي تحدث عنه أولئك، فهؤلاء استغلوا الظروف السياسية التي كانت تمر بها المنطقة منذ دخول المرابطين إلى نهاية حكمهم، كانت أيامهم أيام جهاد وحرب وليس مجالا للمدح والغزل واللهو الذي كان عليه الطوائف قبلهم، لذلك قل تعاطي الشعراء لفن الشعر خاصة الغزل واللهو والموسيقى، وهذا انعكاس فعلي للتعاليم التي بُنيت عليها كلا الدولتين خاصة في السنوات الأولى من قيامهما، بل قُلْ إن الشعر عرف في أغلب أغراضه توجها غير الذي كان قبلا، فالمدح مثلا كان افتخار بالنصر وأميره ولم يكن تزلفا لمكسب العيش، وبالتالي كانت التعابير تعرف الصدق لا الكذب والحق لا النفاق، ضف إلى ذلك فعصر المرابطين بدت فيه بوضوح المشاعر الانسانية القائمة على الفطرة الخالية من الدنس واللؤم، وذلك من خلال تجسيد بل وتمازج الطبيعة مع الشعر فأصبح هو الطبيعة وليس هناك أنقى من الطبيعة ومظاهرها الجمالية.

- ظهور وانتشار الفكر الصوفي المعتدل نوعا ما في منطقة الدراسة إذا ما قورن بغيرها من أقاليم الأندلس الموسطة والغرب، فطبيعة الموقع الذي تتلاقى فيه تيارات فكرية مختلفة من كل بقاع العالم، أكسب أهل العلم بها مرونة فكرية إلا ما كان شاذا كابن عربي الذي خرج من المنطقة ولكنه لم يعد.

- إن التعاليم الدينية التي قامت عليها كلا الدولتين المرابطية والموحدية كان لها تأثير مباشر على الحياة العامة، خاصة في السنوات الأولى أين كانت الثقافة مغربية بحتة، إذ سرعان ما تلتقي بالثقافة الأندلسية المنفتحة بعض الشيء يقع ذلك التساهل في الأمور التي كان ربما جزاؤها القتل في الأيام الأولى لنشوء الدولة.

- كان لتلك التعاليم دور في توجيه حركة الفنون، إذ ميزتها بطابعها الخاص، حيث اختفت مظاهر الأبهة والفخر من كل مظاهر العمران على وجه الخصوص، ولم تظهر إلا ما كان ليس بينه وبين الدين من تعارض كالأشكال الهندسية والخط العربي، والصور النباتية على اختلافها وتعددها.

الملاحق

أولا- النصوص

ثانيا- الخرائط والصور

ثالثا- الجداول والأشكال

أولا: النصوص/ الملحق الأول: قصيدة الشاعر ابن الأزرق التي عدّد فيها جملة الأطعمة المعروفة في الأندلس[1]

عـمِ باتِّصالِ الزَّمـــنِ   ولا تُبَالي بِمَـــنِ

وهو يُواسِي بالرِّضــى   مِن سَمَجٍ أو حَسَـنِ

يا عَاذِلِي في مَذْهَبِــي   أَرداك شرب اللبــن

وتحسن الفكرة بالــ   عدوس السمنســني

واللحم مع الشحـــم ومعْ   طوابق الكبش الثـــني

والبيض في المقـــلاة بالز   يت اللذيذ الدهـــن

وجلدة الفروج مشـــ   ويا كثير السمـــن

وعلة قد استـــوى   فيها الفقير والغـــني

هل للثريد عـــودة   إلي قد شوّقـــني

تغوص فيه أنملـــي   غوص الأكول المحسـن

ولي إلى الاسفنج شـــو   ق دائم يطربـــني

وللأرزّ الفضـــل إذ   تطبخه باللبـــن

وللشواء والرقـــا   ق من هيام أنثـــني

واسكت عـــن الجبن فإن   بنته تذهلـــني

ظاهرها كالـــورد أو   باطنها كالسوســن

أي امرئ أبصـــرها   يوما و لم يفتتـــن

تهيم فيها فكر الأســ   تاذ والمـــؤذن

لو كان عندي معـــدن   لبعت فيها معـــدني

[1]- المقري، نفح الطيب، ج3، ص: 298 وما بعدها.

لكنـــــــــــي عزمت أن   أبيـــــــــــــع كم البدن

والكـــــــــم قد أكسبه   بعد ولا يكسبـــــــــــني

لا تنسبوا لي سفهـــــــا   فالجوع قد أرشـــــــدني

وهات ذكر الكسكســــــو   فهو شريف وســـــــني

لا سيما إن كان مصـــــــــ   نوعا بفتل حســـــــــن

أرفع منه كـــــــــــورا   بهــــــــــن تدوي أذني

وإن ذكـــــرت غير ذا   أطعمة في الوطــــــــن

فابدأ بالمثومـــــــــــــا   ت بالجبن الممكـــــــــن

من فوقها الفــــــــروج   قد أنهي بالتسمُّـــــــــــن

وثني بالعصيدة التـــــــــ   ي بها تطربنـــــــــــــي

لا سيـــــــــما إن صنعت   على يدي ممركـــــــــــن

كذلك البلياط بالــــــــــ   زيت الذي يقنعـــــــــني

تطبخـــــــــه حتى يرى   يحمرّ في التلـــــــــــوّن

والزبزبن في الصحـــــــا   ف حسب أهل البطـــن

فاسمع قضاء ناصـــــــــح   يأتي بنصح بيِّـــــــــــن

من اقتنى التفين فهـــــــــــ   و الآن نعم المقتـــــــــني

الملحق الثاني: قصيدة الشاعر ابن حزمون يخلد فيها مآثر الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف إثر انتصاره على النصارى في موقعة الأرك سنة 591هـ[1].

حيتك معطـــــرة النفس　　　نفحات الفتح بأندلس

فذر الكفـــــار ومأتمهم　　　إن الاسلام لفي عـــرس

أإمام الحق وطاهــــره　　　طهرت الأرض من الدنس

وملأت قلوب الناس هدى　　　فدنى التوفيــــق لملتمس

أجزيرة أندلس اعتصمي　　　بإمام الأمــــة واحترسي

ورفعت منار الدين على　　　عمد شم وعلى أســــس

وصدعت رداء الكفر كما　　　صـــدع الديجور سنا قبس

لاقيت جموعهمو فغدوا　　　فرصـــــا في قبضة مفترس

جاؤوك تضيق الأرض بهم　　　عـــــدد لم يحصى و لم يقس

خرجوا بطرا ورئاء النــــا　　　س ليختلســوا مع مختلس

ومضيت لأمــر الله على　　　ثقـــــــة بالله و لم تخس

فأناخ المـــــوت كلاكله　　　بظباك على بشـــر رجس

وتساوى القاع بهامهـــــم　　　الربض مع الحرب الضرس

سقيت بنجيعهمـــوا أكم　　　وطئوا منهن على دهــــس

فأولئك حزب الكفر ألا　　　إن الكفـــــار لفي نكس

أذوي الصلبان وراءكمــوا　　　خيل الملك الخبر النـــدس

لو أن البحر تناولـــــه　　　جرعـــــا وطئته على يبس

[1] – عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 370، 371.

ولو أن الصم تراجمهـــا | أصحت كحل المقل النعس
ملأ التوحيد أعنتهـــــــا | وأغار بها روح القـــــدس
نهضت فمضت فقضت أملا | أنسى عتب الدنيـــا فنسي
جاست جنبات الكفر فلم | تترك لهموا ما لم تجــــس
لم يبق بها مثوى رجــــل | إلا وعليه شذى فـــــرس
لحقوا بقرون الشـــــم فلا | سقيا لطلولهم الــــدرس
إن كان نجا أدفونشهمــــوا | فإلى عيش نكد تعــــس
نظر الملك الأعلى فـــــرأى | ملكـــا ما بين قنى وقسي
كالصبح توشح رونقـــــه | كالطـــور بنور الله كسي
فمضى لم يلوي على أحـــد | ورمى بالـــدرع وبالترس
لصليل الهند بمفرقـــــــه | لا يسمع صلصلة الجـــرس
سهــــر الموتور وأرقـــه | تذكـــــار المنصل والمرس
وبكاء عقائل هاتفـــــة | كالورق ينحن مع الغلـــس
برزت وكأن ذوائبهـــــا | أذناب روامحة شمــــــــس
ترنو كظباء الرمـــل على | وجل لضراغمة شــــرس
قد كن مها أنس فغـــدت | تحت الرايــــات بلا أنس
إن الأيام قد ازدهـــرت | كالـــــروض يروق لمغترس
وتناسقت الآمال لنــــا | كالثغر تنظم في لعـــــس
وتلألأ نور الحق على الـــــــــــــأثر المهدية فاقتبس
أجزيرة أندلـــــس اعتصمي | بإمـــــام الأمة واحترسي

أرعاك حـــــــراسته ملك	جبريل له أحــــــد الحرس
حكمت أسيافك سيّـــــدنا	في كل مصر الكفر مسي
ومضت في الروم مضاربها	وكذلك تفعل في الفـــــرس
لا يخلف ربك موعدهـــــم	دوخ أقطارهمـــــوا ودس[1]

[1] - عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص: 372، 373.

الملحق الثالث: **بعض رسائل ابن العريف لبعض رجال الصوفية**[1]

رسالة إلى الامام أبي الحكم بن برجان:

الله ولي الفقيه الامام أبي الحكم شيخي وكبيري، ورحمة الله وبركاته، عليه من المقتبس منه، والمتطلع إلى ما لديه عبيد الله الضعيف أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على محمد رسوله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، اللهم صل حقيقة وجود الشيخ إمامي وكبيري، بوجود حقيقة المعرفة بك، والتعرف منك، واجعله لمعالم طهارات النفس زمامًا ولأعلام الهدايات إمامًا، وبارك به وعليه بالبركة التي بدايتها من محمد صلوات الله عليه ونهايتها إليه.

كان من همي أن يصل كتاب الشيخ واحدي نظرًا، ومتقدمي تسليمًا ومعتبرًا، بما يتحرك له حامل براهين السمع مني حركة تحول بين النفس وهواها وتورثها الحياء من مولاها، فوصل من ذلك دعاؤه وكتابه وخطه وإعلامه بالمحبة والمودة لي، كل ذلك من آثار ما سألته جل اسمه فيه- ولم يكن عينه، فإني كنت آمل إشارة من إشارته علمية أو عملية، ولقد أشكل علي إشكالاً باباً من قبول البيان تفصيلاً وإجمالاً. كيف يداوى السكران؟ أو يداوي وسكره غالبه- وغفل صديقه، واستيقظ مطالبه؟.

اللهم إنها الحيرة من ضعيف لا عذر فيه، وجود لا قدرة عليه بالحكم إلا لضعيف مغرور، اللهم استرك لطافح السكر من حب الدنيا. ميت الحقيقة عن رؤية مشاهد الأخرى ليس له سواك رب يتولاه، ولا يجد من الجوارح إلا ما ملاه وغلبه هواه. فإذا أزعجه إليك ما عندك من الجود، أزعجه عنك ما عنده من قبيح الوجود، فارحم وتجاوز عما تعلم، وافتح قلوباً قاسية بمفاتيح العناية فتحاً ننظر به إليك ونستحي به منك، وأنت يا إمامي برحمة الشيب، اذكرني إذا رقدت عند من له رقدة أحبك الذي أحببتني له. والسلام معاد مكرر عليك ورحمة الله وبركاته.

رسالة إلى أبي الحسن بن غالب:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وسلم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مرحبا أيها الصادق النظر الرائق العين والأثر بكتابك فلقد كشف الله به غماّ ورفع به نابية وهماّ، فإن النفوس سجاياها عند ورود الايمان مخبولة وعلى غير ثبوت العلم والتعليم محمولة، والنفس أمارة بالسوء إلا ما سبق في الأزل من صلاح المضمون، أفهمنا الله به عنه، وأوصلنا به إليه. وثبتنا بعد الوصول فإنه غاية الخصوص والمأمول، وأما مرور الخواطر في تلك الآيات البينات على نظام واحد، وأمن قاصد ببرهان الاقبال على مواضع الآمال. هناك الله وزادك وجعل اليقين إلى مقعد الصدق عنده زادك بقدرته وأما أخوك وما يتشوف إليه من المعرفة ما لديه فما ازدحمت عليه الفتن قط أكثر من ازدحامها عليه في وقته هذا، ومن ذكر مشهور وسر بخلاف المشهود معمور وقد وجب واجب السكوت ولزم لزوم البيوت، ولا مفر إلا الإنكار ولو كان المحل صالحاً للأعمال الأبرار.

[1]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 457 وما بعدها.

اللهم إنها الحيرة العظمى إدبارًا عن الحق في غرره وإقباله في محاره وكلاهما ذهب لا يغفر وإن كان يغفر وعمل في إسقاط الحياء وهو أدهى وأكبر، ولئن كان المنتسبون إلى الخير والصلاح قبلنا ومثلنا ومعاذ الله، وحاشى لله، لقد ماتت الطريقة موتا و فات التوفيق فوتاً وعند الله تعالى تحتسب هذا المصاب. وإلى الله سبحانه نشكو هذه الأوصاب.

اللهم. نسألك رفيقا- فاجعل طريق الحق لنا قبل العطب طريقاً بلطفك، وفيّ إلى التطلع إلى من ذكرته جمرة محرقة، فما أمكنك الاعلام بما تجرد فافعل مأجورًا والسلام..

من رسالة إلى أبي الحسن بن غالب:

اللهم حسن أخلاقنا ووسع أرزاقنا وأمن بالإيمان والاسلام إلى يوم الدين بلادنا. وأخانا أبو موسى نزيل جيان كان معي في رمضان ومضى هذا المنسلخ عنا وعنده فوائد وأعلام قدرة وفارقني على السفر إليكم. وتكلف لي رغبة إلى الله سبحانه في حاجة[.....] بالسنة الصالحين فإن وصل إليكم يجتمع رأيكم. ووكدوا عليه.

أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد بن محفوظة أكرمه الله كتب إلي عازما على استيطان اشبيلية حرسها الله وذكر الآن أنه في كنف رعاية الشيخ أبي الحكم أدام الله توفيقه. وذكر شرًا دار هناك وأمورًا نحو هذا أو خطر بالبال، أنه يريد سفرا بناحية المشرق وأن رأيه في الأمن بخلاف ما كان وهو الذي منعني من مخاطبته في الوصول إليكم ومن الناس مغلوب عليه في آرائه وأحق الناس بالرحمة من لا فراسة له، وأخبر إسماعيل هداه الله بأنه سافر إلى بلاد المغرب، وورد كتابه من مراكش، ولا يحقق له حال، فادع الله أن يفتح له في نفسه بهداية وكفاية وأن يمت الجميع ميتة إخلاص وخلاص.

ومن رسالة إلى محمد بن الكبش:

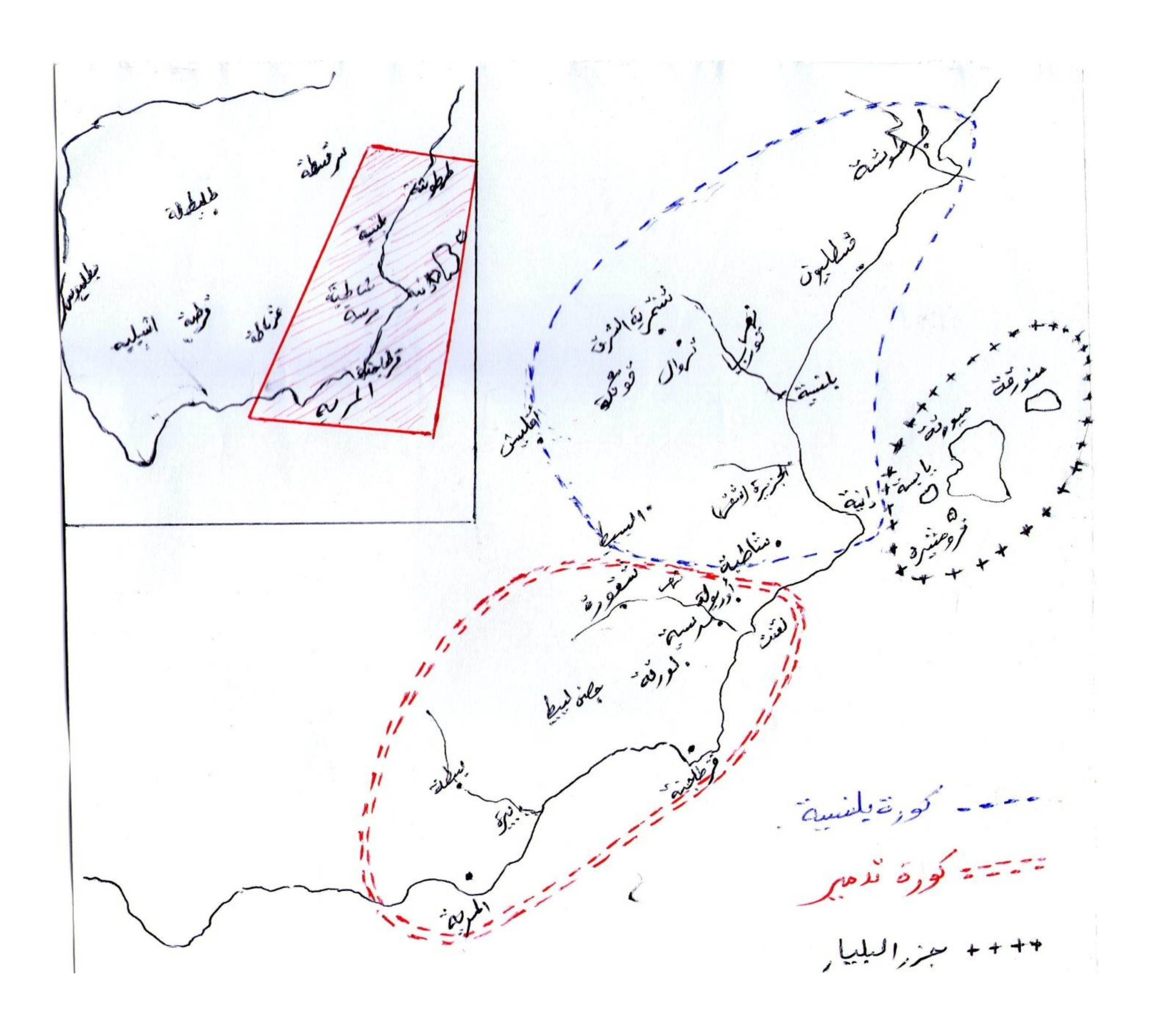
ورد كتاب العالم الصادق أبي فلان قدس الله روحه بوصاياه الصادقة، وهداياه الفائقة. فيا له من أخ في الله عم بأصناف تلاوين العلوم فهو طاووس علمائهم وخص بأنواع غوامض محاسن الفهوم، فهو قاموس فهمائهم صلوات الله وسلامه على كل من أباح لنا الكتاب والسنة أن يتقرب إليه، فصلوات الله عليه وسلامه.

سبقت وصية الله بالتقوى كل تذكير بوصية فقال تعالى: [**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا** الله]، ثم ورد حاجة أخي أن يكون شعاري ودثاري لا إله إلا الله محمد رسول الله فإنها كلمة شرف العابدين إلى آخر الباقيات الصالحات وأعجب ما عندي من العجب وأجدره بحال الرغب والرهب عبداً وجد قلباً واتخذ غير الله مع الله ربا.

ويا عالمي وكبيري أن من دعوته بلسان الرفق والشفقة أخاك حجب على قلبه بكل حجاب وطرد عن ربه.

ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا حجة إلا الله.

ثانيا: الخرائط والصور/ الملحق الرابع: خريطة تبين الموقع الجغرافي لشرق الأندلس[1]

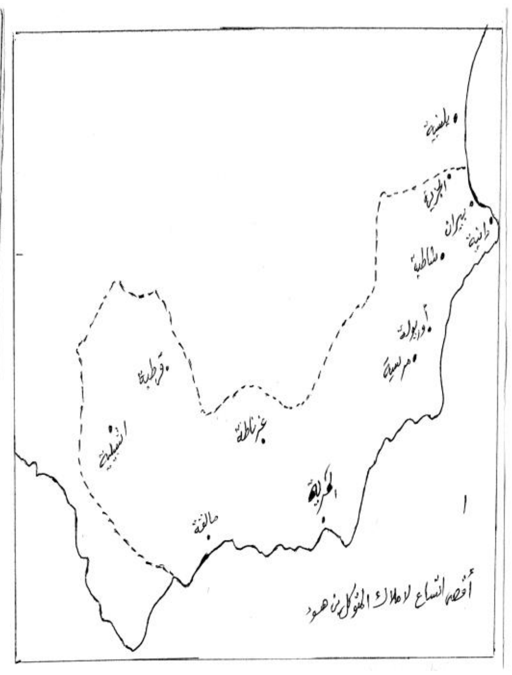


[1]– توزيع الحدود الجغرافية لكور إقليم شرق الأندلس من اجتهادي الخاص.

الملحق الخامس: **الامتداد الجغرافي لدولة محمد بن سعد بن مردنيش**[1]



الامتداد الجغرافي لدولة المتوكل بن هود



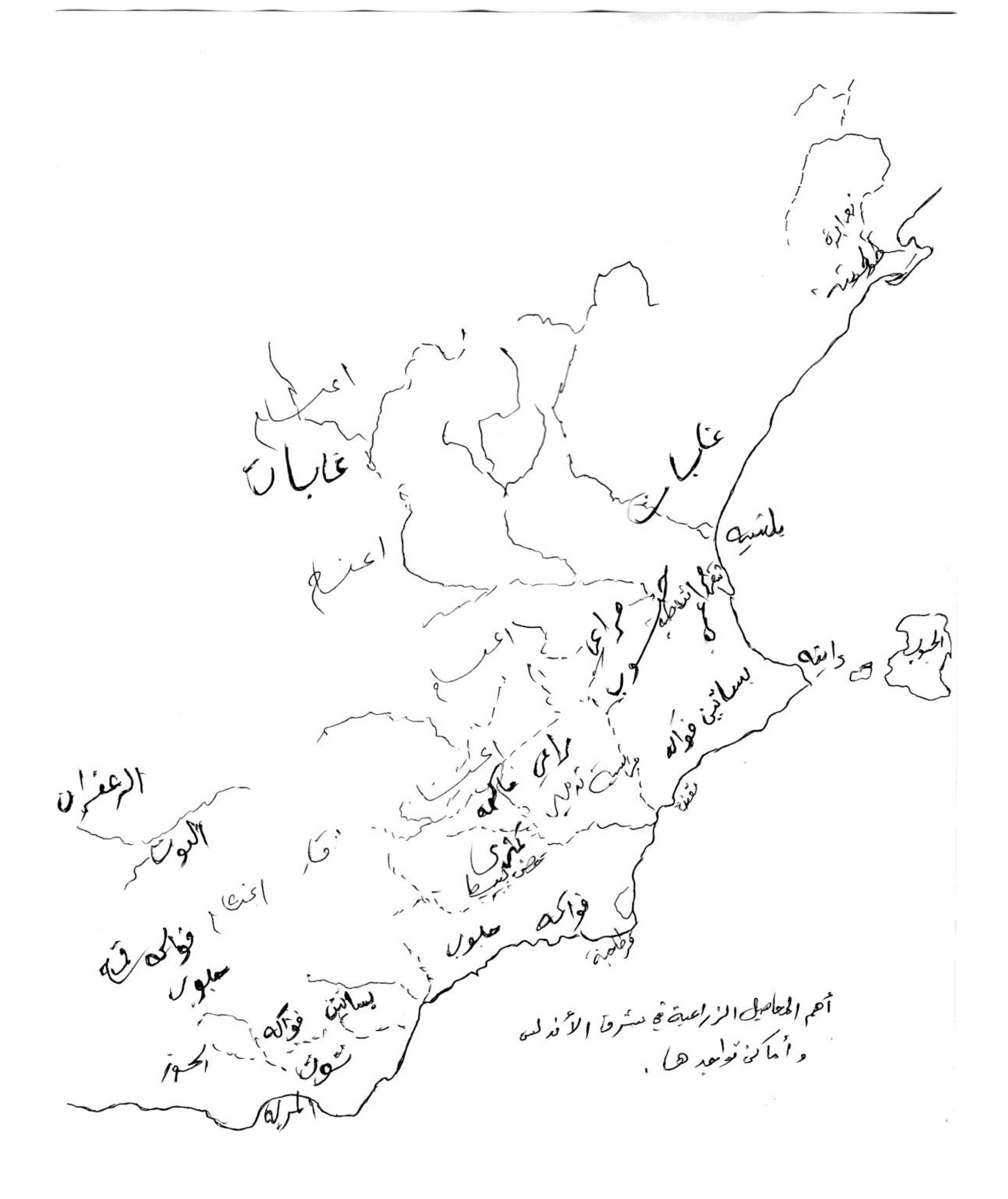
مناطق استقرار اليهود والنصارى في شرق الأندلس[2]



[1]– أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 395.

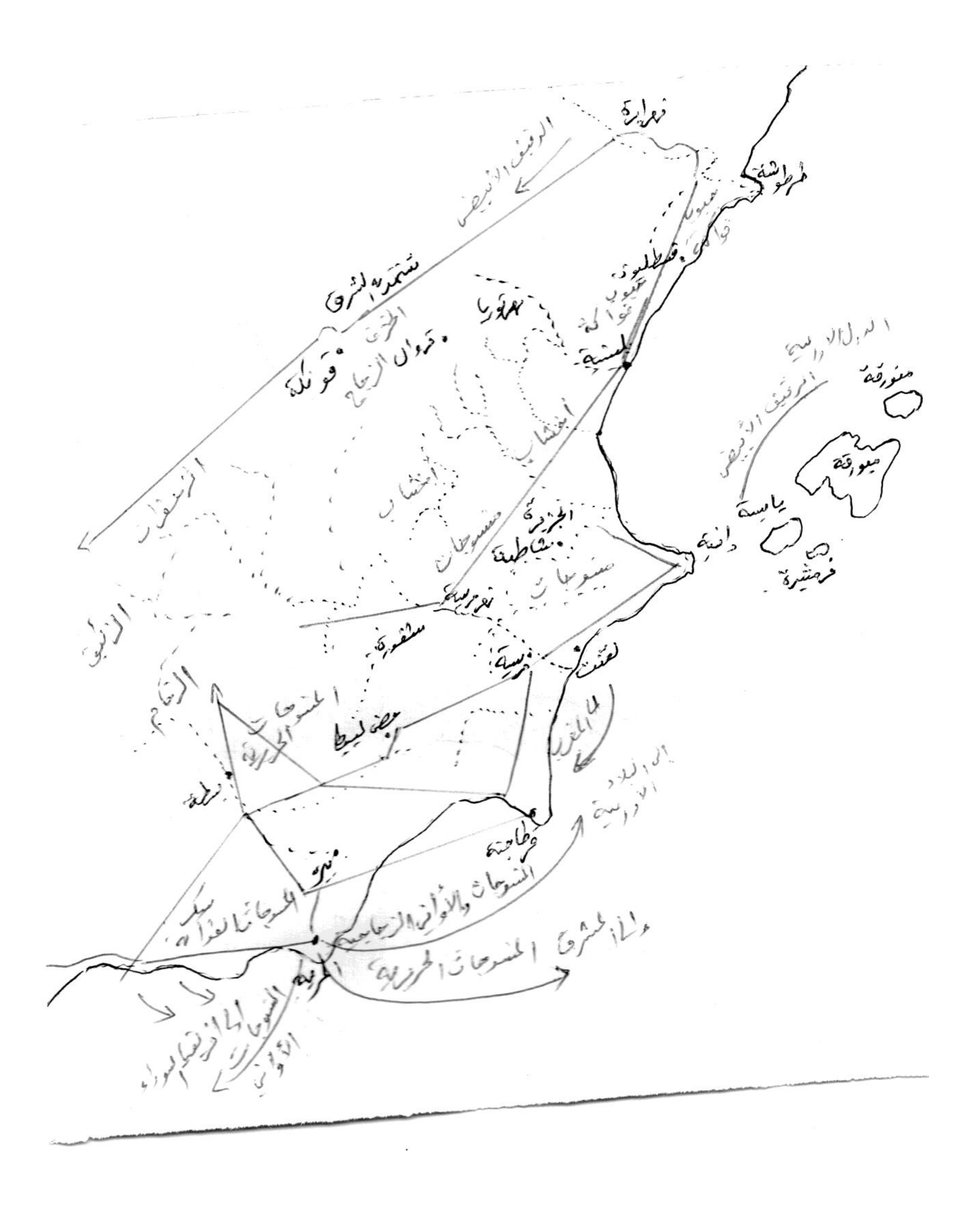
[2]– القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص: 254، 255.

الملحق السادس: خريطة أهم المحاصيل الزراعية وأماكن تواجدها في شرق الأندلس[1]



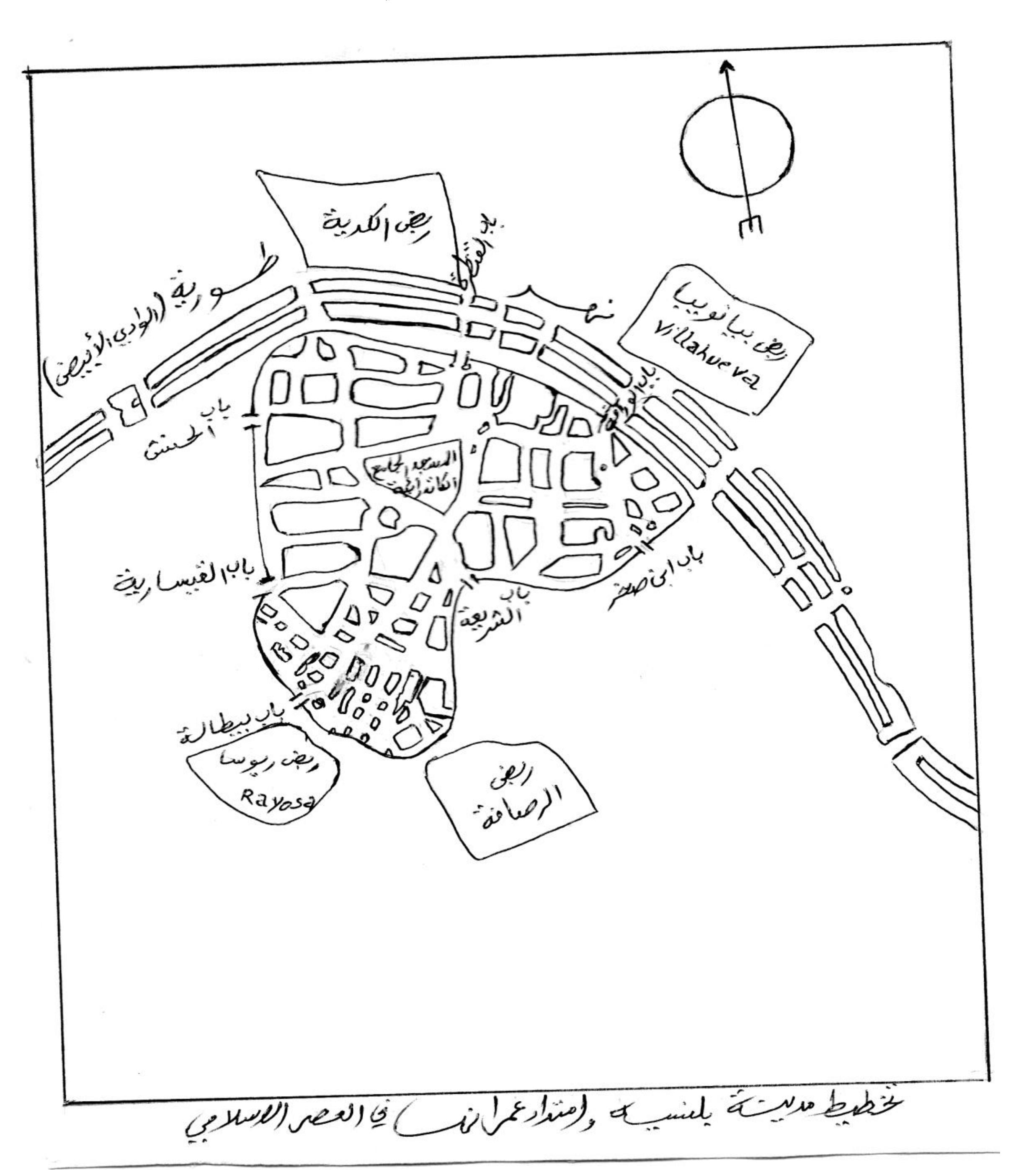
[1] – دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 466.

الملحق السابع: **الحركة التجارية في شرق الأندلس**[1]



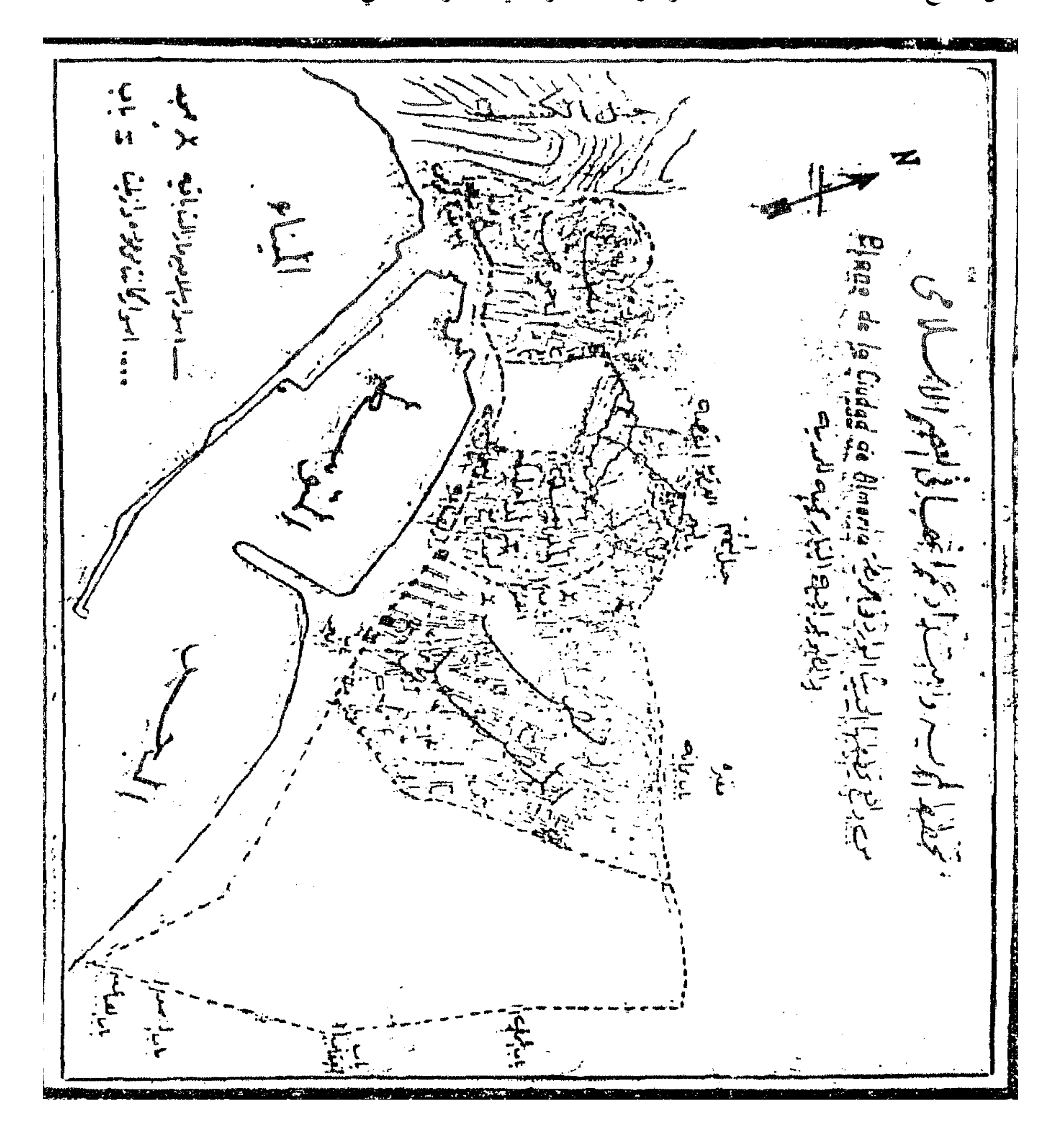
[1]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 467.

الملحق الثامن: تخطيط مدينة بلنسية وامتداد عمرانها في العصر الاسلامي[1]



[1] – أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية، ص: 358.

الملحق التاسع: تخطيط مدينة المرية وامتداد عمرانها في العصر الاسلامي[1]



[1]– محمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية، ص: 237.

الملحق العاشر: الحمّام العربي في جزيرة ميورقة[1]

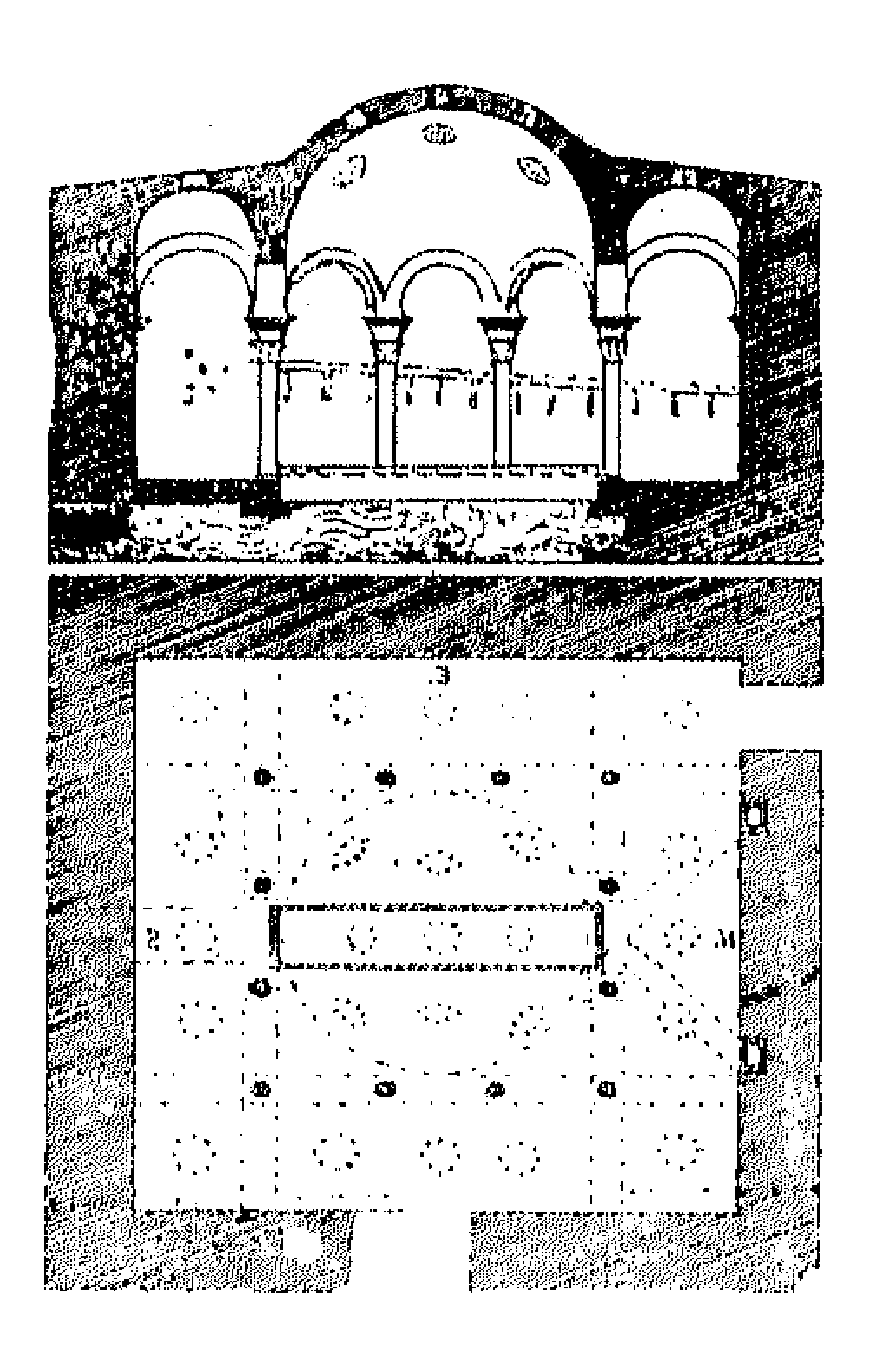


أحد أعمدة الحمّام



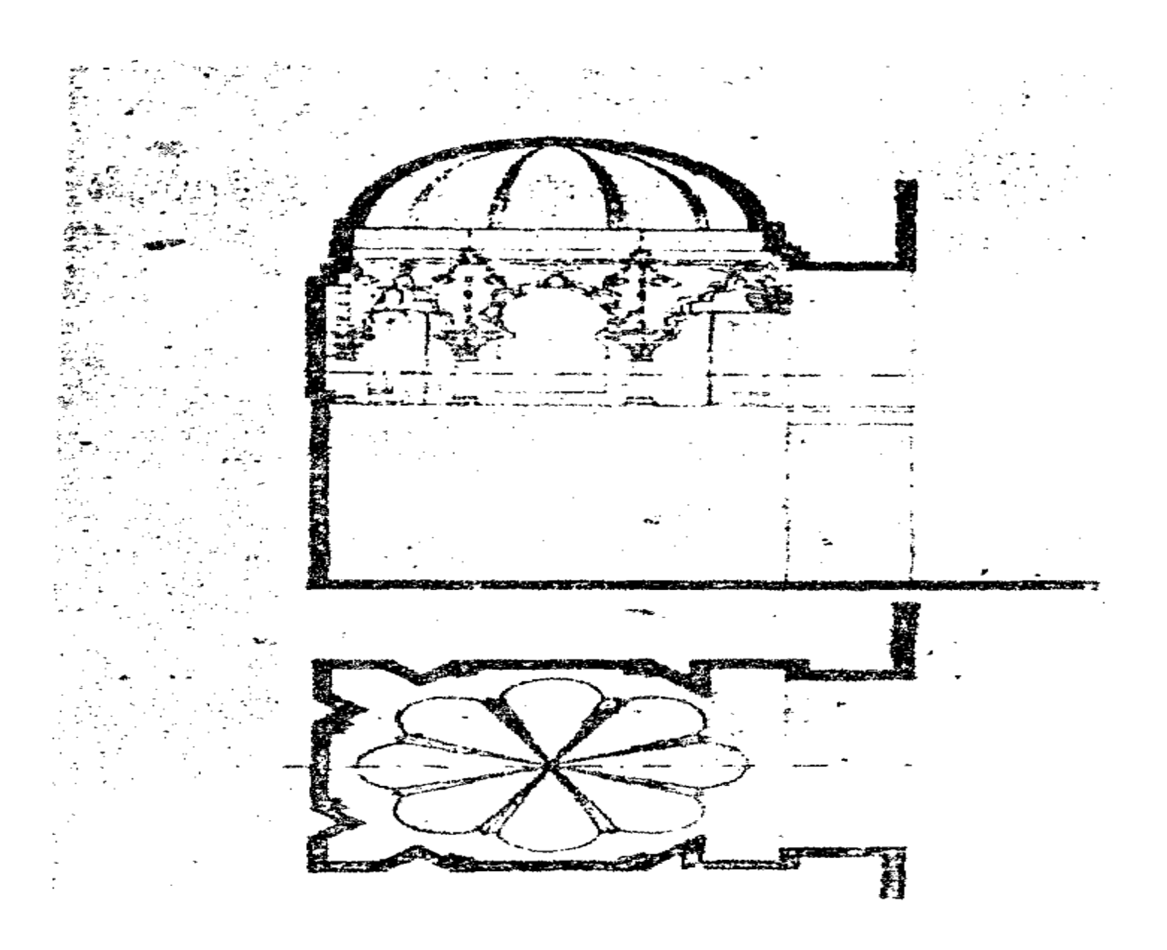
[1]– عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 639.

الملحق الحادي عشر: الحمّام العربي في جزر البليار[1]



[1]- عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية، ص: 639.

الملحق الثاني عشر: قطع لمحراب المسجد الجامع بالمرية[1]



٧) قطاع لمحراب المسجد الجامع بالمرية

[1]- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص: 101.

الملحق الثالث عشر: عملة مدينة بلنسية خلال عصر المرابطين[1]

عملة بلنسية سنة 504هـ-1108م



1

عملة بلنسية سنة 505هـ-1109م




3

عملة بلنسية سنة 512هـ-1118م




6

[1]- Tawfic Ibrahim y Esteban collantes perez-arda, Dinar Inedito Del Amir Almoravide Ali Ibn Yusuf(500/537 h=1106/1142 d.x),Asociacio Numismatica Espnola, n: 90, bacelona, 3. 1988, p: 37,38

الملحق الرابع عشر: عملة مدينة مرسية خلال عصر المرابطين/ عملة سنة 488هـــ- 1095م[1]



عملة مرسية سنة 491هـــ-1098م[2]



عملة مرسية سنة 505هـــ-1109م[3]



عملة مرسية سنة 508هـــ- 1114م




[1]- Tawfic Ibrahim, El dinar andalusi .Nuevas aportaciones, IV Jariqe de numismatica Andalusi, 2000, p: 45.

[2]- Tawfic Ibrahim, Dinares Almoravides, en la Coleccion De Improntas Del I.V.D.J No Ricogidos Por Hazard, gcita Numismatica, 93, bacelona, 1988, p: 29

[3]- Tawfic Ibrahim y Esteban collantes perez-arda, Dinar Inedito Del Amir Almoravide Ali Ibn Yusuf(500/537 h=1106/1142 d.x),Asociacio Numismatica Espnola, n: 90, bacelona, 3. 1988, p: 37,38

الملحق الخامس عشر: عملة مدينة المرية خلال عصر المرابطين

عملة المرية سنة 490هـ-1097م[1]



عملة المرية سنة 491هـ-1098م[2]



[1]- Tawfic Ibrahim, El dinar andalusi, p: 46.

[2]- ibid, p: 47.

عملة المرية سنة 493هـ/ 1099م[1]



عملة المرية سنة 521هـ-1127م



عملة المرية سنة 522هـ-1128م[2]



[1]– Tawfic Ibrahim, Dinares Almoravides, p: 29.

[2]– Tawfic Ibrahim y Esteban collantes perez-arda, Dinar Inedito Del Amir Almoravide Ali Ibn Yusuf(500/537 h=1106/1142 d.x), p: 37, 40.

ثالثا: الجداول والأشكال/ الملحق السادس عشر: حكام بلنسية ومرسية منذ الثورة على المرابطين إلى بداية الحكم الموحدي[1]

بلنسية	مرسية	السنة	الأحداث
أبو محمد عبد الله بن غانية آخر وال مرابطي (538هـ-539هـ)		538هـ-1143م 539هـ-1145م	يحي بن غانية واليا على الأندلس
أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز عبد الله بن سعد بن مردنيش حكم باسم ابن عياض في بلنسية، وسيف الدولة أحمد بن هود يحكم مرسية وبلنسية(541هـ-542هـ) - أبو الحجاج يوسف بن سعد واليا على بلنسية باسم أخيه ابن مردنيش - ثورة أبو الحجاج، ثم خلفه مروان بن عبد الملك بن شلبان ضد	- أبو محمد بن الحاج (حكم بضعة أيام) - أبو محمد عبد الله بن فتوح الثغري - أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبي جعفر الناصر لدين الله - عبد الرحمان بن طاهر القيسي (حكم بضعة أيام) - عبد الله بن عياض والي مرسية باسم ابن هود - عبد الله بن عياض يحكم مرسية وبلنسية باسم ابن هود - أبو محمد بن فرج الثغري يستعيد حكم مرسية	540هـ-1145م 540هـ-1146م 542هـ-1147م 543هـ- 1148م 544هـ-1149م 547هـ-1152م	الثورة على المرابطين وصول الموحدين إلى الأندلس موت آخر أمير مرابطي ودخول النصارى إلى المرية - يحي بن غانية يسترجع قرطبة للمرابطين

[1] – أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 387، 388.

ابن مردنيش - أبو الحجاج يوسف بن سعد واليا على بلنسية باسم محمد بن مردنيش 547هـ-567هـ/ 1152م-1171م.	- عبد الله بن عياض يسترد سلطته أبو الحسن علي بن عبيد يحكم بضعة أيام - أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش يحكم مرسية وبلنسية و مناطق أخرى.	552هـ-1157م	سقوط طرطوشة نهائيا في يد رامون برنجير الرابع سقوط إفراغة ولاردة في يد رامون برنجير الرابع - معاهدة تودلين (Tudilen)
			- استرداد الموحدين مدينة المرية
		557هـ-1162م	- خضوع جيان وابدة وبياسة لابن مردنيش
- خضوع بلنسية للموحدين		563هـ-1168م	- ابن مردنيش يدخل غرناطة
		566هـ-1171م	- خضوع بلنسية للموحدين
		567هـ-1172م	- خضوع مرسية للموحدين
أبو الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش واليا على بلنسية باسم الموحدين 567هـ-1171م/ 582هـ- 1186م			
	أبو القمر هلال .		

الملحق السابع عشر: ولاة بلنسية ومرسية مع نهاية عصر الموحدين إلى أن سقطتا في أيدي النصارى[1]

بلنسية	مرسية	السنة	الأحداث
عبد الواحد 621هـ/1224م خليفة موحدي	أبو عبد الله العادل خليفة موحدي	621هـ/1224م	
أبو زيد: وال مستقل إلى سنة 626هـ/1229م	أبو العلاء	625هـ/1227م	
أبو العلاء 624هـ-626هـ/1227م-1229م			
زيان بن مردنيش 626هـ-636هـ/1229م-1238م	ابن هود المتوكل	626هـ-627هـ/1229م-1230م	الثورة ضد الموحدين اتفاق هدنة بين زيان وخايمي الأول
	أبو بكر محمد بن يوسف الواثق	630هـ/1232م	سقوط مورلة
		631هـ/1233م	سقوط بوريانة
	عزيز بن عبد الملك بن خطاب	635هـ/1237م	سقوط أنيشة
		636هـ/1238م	سقوط بلنسية
		637هـ/1239م	
	زيان بن مردنيش	640هـ/1242م	سقوط جزيرة شقر
	محمد بن هود بهاء الدولة	641هـ/1243م	خضوع مرسية ولقنت وألش وأوريولة للمسيحيين
	أبو بكر محمد بن يوسف الواثق		
		642هـ/1244م	خضوع شاطبة لشروط الجزية للمسيحيين
		643هـ/1243م	نهاية سقوط مدن شرق الأندلس

[1] – أبو الفضل، شرق الأندلس، ص: 389.

الملحق الثامن عشر: القبائل العربية وأماكن استقرارها في منطقة شرق الأندلس

القبائل	أماكن استقرارها
هذيل	ومنازلهم بجهة أوريولة من كورة تدمير[1].
هوازن	لهم ببلنسية أملاك ومنازل تعرف بمنازل هوازن على بعد ثلاثة أميال منها[2]، وهبهم الأمير هشام أملاكا وضياعا كثيرة.
بنو فهر	ومنهم بنو قاسم الأثرياء أصحاب البونت
كنانة وبنو ملكان	في مرسية ولهم أيضا في بلنسية إقليم كنانة
ضبة بنو النمر وبنو الشمر وبنو زياد وبنو شهد	ولهم بيوت ذات أراضي في تدمير والمرية
قمعة	امتلكوا أرضا في إقليم إلش التابع لكورة تدمير
عقيل	كان لهم مكان عرف بهم في بلنسية
الأنصار	عاش بعضهم في حصن الشارقة وقصر الشرفاء ببلنسية وهي مناطق مشهورة بخصوبتها
الأزد بنو جذام وبنو أفصى وبنو منهب	عاشوا في قرى منطقة تدمير[3].
طيء	دارهم وأملاكهم في بسطة قرب وادي آش، وسكن بعضهم في أراضي قبلي مرسية[4].
مراد	كان بعضهم في طرطوشة ووشقة
معافر	كانوا أسرا متفرقة يوجد منهم آل جحاف في بلنسية وسكن بنو مفوز في حصن ينبة من أعمال شاطبة
تجيب	كان منهم بنو صمادح الذين حكموا المرية في عصر الطوائف، كذلك منهم في بلنسية وشبرب وشاطبة
قضاعة	استقروا في أماكن متعددة ، ملكوا الأراضي الزراعية في قرية قمرلة في طرطوشة وفي وادي أندة بكورة بلنسية، ومنهم بنو عذرة ولهم قرية عذرة بالمرية
حضر موت	واستقروا في مناطق عديدة منها مرسية[5] وتطيلة، ومنهم بنو خلدون
بنو قطنين وبنو عمر بن أد	في قبرة
بنو بعدلة	في طلبيرة

[1]- المقري، نفح الطيب، ج1، ص: 291.

[2]- نفسه.

[3]- يحي أبو المعاطي، الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس، ص: 595 وما بعدها.

[4]- نفسه، ص: 295.

[5]- المقري، نفسه، ص: 298.

الملحق التاسع عشر: القبائل البربرية وأماكن استقرارها في شرق الأندلس[1]

القبائل	أماكن استقرارها
زواوة و كتامة و بنو القاسم	في البونت
بنو رزين	في السهلة
وزداجة ومكناسة ومغيلة وبنو والنوس وبنو الجزولي	في شاطبة
صنهاجة	في المرية وقسطليون
أوربة	في أليشة
زناتة	في لقنت وقسطليون
ملزوزة وبنو عزون	في. بشنت برية[2]
هوارة	في جزيرة شقر ومصلاتة
بنو غزلون	في تيروال.
نفزة	دانية وشاطبة وبلنسية[3]

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، نفسه، ملحق 03، ص: 251 (نقلا عن ابن غالب برواية المقري، وعن ابن حزم). أيضا: أبو المعاطي، الملكيات الزراعية، ص: 633، 653 (نقلا عن ابن غالب برواية المقري، وعن ابن حزم).. حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص: 426.

[2]- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص: 498، 499.

[3]- نفسه، ص: 499

الملحق العشرون: أسماء الأماكن المرتبطة بالماء[1]

* في مرسية **Mourcia**		* في المرية **Almeria**:		* في بلنسية **Vaencia**	
البركة	Alberca	البحيرة	Albojaira	البحيرة	Albufera
البُضيض، الماء القليل	Albudeite	الخابية	Alhabia	عدوة النهر	Aledua
البُحيرة	Albufera	الحمّـــــــــة	Alhama	معصرة الزيتون	Almàsera(molino)
تصغير قنطرة(جسر)	Alicantarailla	تصغير الحمّة	Alhamilla	برج السدّ	Burjassot
الحمّـــــــــة	Alhama	الناعورة	Anoria	وادي السواقي	Guadasequies
الناعورة	La Nora	تصغير الناعورة	Norela	الوادي الأسود	Guadasuar
		ناعورة	Noria(اسم قرية)		

في أليكانتيه **Alicante**		في البسيطة **Albacete**		في ميورقة **Mallorca**	
أرض سقوية بمنحدر التل	Albatera	القادوس	Alcadoz	القناة	Alcanà
البركة	Alberca	الحمّـــــــــة	Alhama	البحيرة	Albufera
البحيرة	Albufera	الجبّ	Aljibe	حوض صغير	Alfabia(اسم جبل)
تصغير البحيرة	Albufereta	النواعير	Anorias	الشّـــــط	Axat (اسم حقل)
تصغير البركة	Albureca	عين	Ayna		
السّدّ	Azut(اسم ساقية)				

[1]– شريف عبد الرحمن جاه، لغز الماء في الأندلس، ص: 184 وما بعدها.

الملحق الواحد والعشرون: مصطلحات حول علم المياه في شرق الأندلس[1]

السانية Acena	طاحونة داخل النهر(آلة لاستخراج الماء)
الساقية Acequia	حفرة أو قناة تقاد من خلالها مياه الري
الدّور Ador	في "غانديا"(بلنسية)، دور الماء
البراعة Albala	في "أليكاتيه"، قسيمة مزاد مياه الري
البلاّعة Albanal	دوامة
البالوعة Albbellon	مجرى، مصرف للمياه
البِركة Alberca	حوض الماء
البحيرة Albufera	بُحيرة
البحيرة Albuhera	خزان اصطناعي للماء
من القنطرة Alcantarilla	قناة في الطريق، وكذلك قناة جوفية لجمع وتصريف مياه المطر أو الصرف
الكرّاز Alcarraza	جرّة من الخزف النفّاذ الذي يتيح رشح الماء، وتبريد ذلك الذي يوجد بالداخل
الكوبة Alcubilla	خزّان الماء
الفوّارة Alfaguara	نبع غزير
الفائضة Alfaida	فيضان النهر لتدفق مياه المد
الفك Alfaque	رصيف رملي عند مصب النهر
الفرضة Alfardon	مساهمة مفروضة من أجل استغلال المياه
الجباب Aljibe	بئر أو خزّان
الجفينة Aljofaina	إناء للماء
المخزن Almahacén	في"لورقة"(مرسية)، ماء الري الذي يوزّع للاستعمال الجماعي
المِرَشَّة Almarraja almarraza	آنية من الزجاج بها ثقوب، تستعمل للرش أو للري
المطريج Almatriche	قناة للسقي
المنهر Almaenara	شق يساق من خلاله الماء الفائض من السواقي إلى النهر
المأجلة Almijara	خزّان
القصارة Alquézar	قَطع ينجز في مياه النهر لاستعمالها في الري
القادوس Arcaduz	دلو أو إناء للنّاعورة
الثّقب Atabe	فتحة تترك في بعض القنوات لإخراج الماء المنحبس فيها
التّنّور Atanor	نبع، قناة لسوق الماء. (كذلك فرن محفور في الأرض)
السّرب Azarbe	قناة للتصريف تجمع المياه الميتة من البوابات
السّدّ Azuda/azud	ناعورة وكذلك سد التحويل
الثُّمن Azumbre	في إلش وأليكانته مقياس للماء

[1]– شريف عبد الرحمن جاه، لغز الماء في الأندلس، ص: 178 وما بعدها.

القناة Canal	قناة "جوفية" للماء
السّانية Cenia	ناعورة تتحرك بالتّيار أو بالدواب حسب المناطق
الدُّولة Dula	في إلش وبلنسية دور الماء
الشّريك Jarique	في لورقة "مرسية"، اشتراك عدة حصص للماء الذي اشتري في مزاد، للحصول على دفق أكبر للري
جرّة Jarro	في لورقة، مقياس للماء يعادل نصف ساعة من التزود بالماء
مرج Merancho	في مرسية، ساقية للصرف لتفريغ المياه
النّاعورة Noria	عجلة رافعة للماء
من "رفع" Rafa	في مرسية لوح موضوع في وسط الساقية لوقف الدفق وتحويل الماء إلى قناة أخرى، أو هو رفع مستوى الساقية
الرّملة Rambla	أرض رملية تفرغ فيها مياه النهر الفائضة أو مياه الأمطار الغزيرة
تحويلة Tahuilla	في مرسية وأورويلة تشير إلى مقياس للأرض. وفي لورقة هي مقياس للماء يعادل ساعة من التزود بالصبيب
من "تنظيم" Tanda	دور للري
الصهريج Zafariche	خزان أو بركة مياه

الملحق الثاني والعشرون: تأثر المريدين بابن مسرة وابن حزم والباجي[1]

ابن مسرة (ت318هـ/931م)

أبو الوليد الباجي (ت474هـ/1081م)

ابن حزم (ت456هـ/1063م)

ابن برجان (ت536هـ/1141م)

ابن العريف (ت536هـ/1141م)

القاضي عياض (ت544هـ/1149م)

ابن قسي (ت546هـ/1151م)

ابن غالب (ت573هـ/1177م)

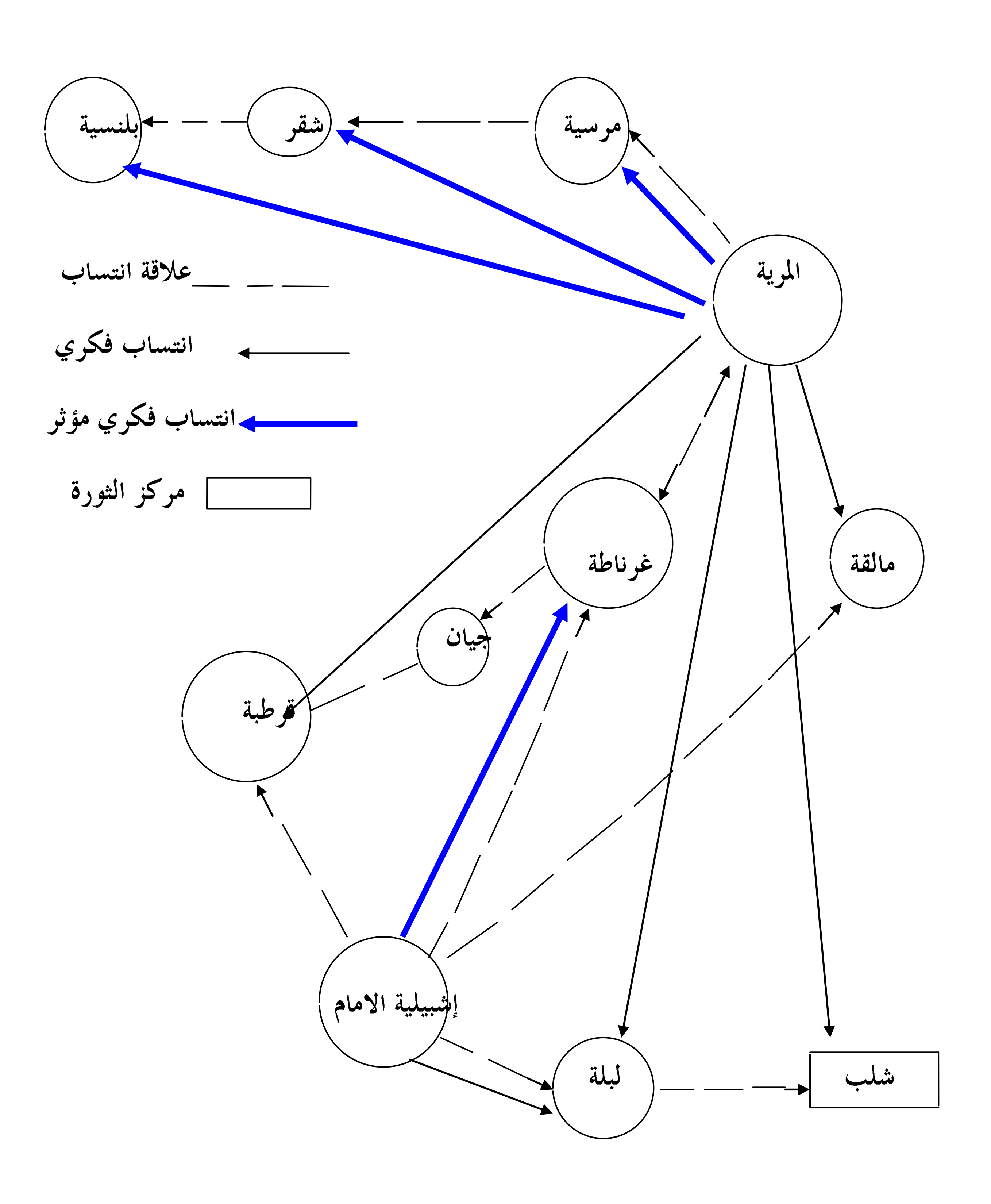
الميورقي (ت537هـ/ 1142م)

تأثير فكري

تأثير غير مباشر

[1]– عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص: 463.

الملحق الثالث والعشرون: العلاقة بين المريدين[1]



[1] – دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 464.

المصادر والمراجع

-المصــــــــــادر-

*** ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي (ت658هـ/1260م):**

1- الحلة السيراء، الجزء الثاني، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت لبنان، 1960م.

2- تحفة القادم، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1406هـ- 1986م، ط1.

3- التكملة لكتاب الصلة، ج1، ج2، نشره عزت العطار، مكتبة الخانجي، مصر، 1955م.

4- التكملة لكتاب الصلة(القسم الأول المفقود)، المطبعة الشرفية للأخوين فونطانا، الجزائر، 1920م.

*** ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1233م):**

5- الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، الجزأين الخامس والسادس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1407هـ1987م، ط1.

*** إخوان الصفا:**

6- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، ج4، تقديم عليوش عبود، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م.

*** الإدريسي، الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز (ت548هـ/1158م):**

7- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ج2، عالم الكتب، القاهرة، 1989، ط1.

8- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د تا.

9- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

* **الاشبيلي أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة(ت575هـ-1179م):**

10- الفهرسة، تحقيق بشار عواد معروف و محمود بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2009م، ط1.

* **الاشبيلي ابن العوام:**

11- Ebn Awam Sevilano, Lebro de Agricultura, Tomo Primero, Traducido Al Castellano, Josef Antonio Banqueri, de Orden Superior Y A Expensas de la Real Biblioteca, Madrid, 1802.

* **البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م).**

12- المسالك والممالك، الجزء الأول، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.

* **ابن بشكوال أبو القاسم بن خلف بن عبد الملك القرطبي (ت 578هـ/1183م):**

13- كتاب الصلة، الجزء الأول والثاني، نشره عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م.

* **البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي:**

14- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

* **التادلي أبي يعقوب يوسف بن يحي:**

15- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ط2.

* **التجيبي (محمد بن أحمد بن عبدون):**

16- رسالة في الحسبة (ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب)، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

* **التنبكتي أحمد بابا:**

19- نيل الابتهاج بتطريز الديباج 963هـ-1036هـ، ج1-2، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، 1989م، ط1.

* **ابن جلجل، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد 384هـ-994م):**

20- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ-1984م، ط2.

حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله(ت1067هـ-1656م):

21- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، دتا.

* **ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت456هـ/1064م):**

22- جمهرة أنساب العرب، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، 1983، ط1.

* **ابن عبد الحكم(ت 257هـ-871م):**

23- فتوح مصر والمغرب، ج1، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دتا.

* **الحموي ياقوت (ت626هـ/1229م):**

24- معجم البلدان، المجلدات الأول والثاني والرابع والخامس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1995، ط2.

* **الحميدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي(ت488هـ/1095م):**

25- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الجزء الأول، دار الكتب الإسلامية، بيروت، 1989، ط3.

* **الحميري،محمد عبد المنعم(ت بعد710هـ/1310م):**

26- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت لبنان، 1984، ط2.

* **أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي(ت745هـ-1344م):**

27- تفسير البحر المحيط، ج1، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1413هـ-1993م، ط1.

* **ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله (ت529هـ/1134م):**

28- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تحقيق محمد الضبابي، تونس، دار الكتب الوطنية، دتا.

29- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1403هـ-1983م، ط1.

* **الخطيب زين الدين بن تقي الدين بن عبد الرحمن:**

30- محاسن المساعي في مناقب الامام أبي عمرو الأوزاعي، تحقيق شكيب أرسلان، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، دتا.

* **ابن الخطيب لسان الدين أبي عبد الله بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني (ت776هـ/ 1374م):**

31- أعمال الأعلام أو تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي برفنسال، دار المكشوف، بيروت لبنان، 1956م، ط2.

32- الإحاطة في أخبار غرناطة، المجلدات 1، 2، 3، تحقيق محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1395هـ/1975م، ط1.

33-رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ-1898م.

34- أوصاف الناس في التواريخ والصلات، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة الفضالة المحمدية، المغرب، دتا.

*** ابن خلدون ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن،(808هـ/1406م):**

35- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المسمى بتاريخ ابن خلدون، المجلدان 4، 6، شركة دار الإشعاع للطباعة، القاهرة، 1999م.

36- المقدمة، ج2، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق، 1425هـ-2004م، ط1.

*** ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ-1282م):**

37- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المجلد7، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د تا.

*** الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م):**

38- سير أعلام النبلاء، الجزء 14، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1417هـ/1997، ط1.

*** الرشاطي أبو محمد (ت 542هـ/1147م) وابن الخراط الإشبيلي (ت581هـ/1186م):**

39- الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق اميليو مولينا وخاثينتوبوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990م.

*** ابن رشيق المرسي(696هـ/ 1231م):**

40- ابن رشيق المرسي حياته وآثاره 628هـ- 696هـ/ 1231م- 1296م، مناظرة بين ابن رشيق وقسيس، دراسة وتحقيق محمد بنشريفة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1429هـ- 2008م.

*** الرقيق القيرواني:**

41- تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ-1994م، ط1.

*** ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت726هـ/1325م):**

42- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

*** الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم:**

43- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضوي، المكتبة العتيقة، تونس، د تا.

***الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت545هـ/1150م):**

44- كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، المركز الإسلامي للطباعة، القاهرة، دتا.

*** الزيري، عبد الله بن بلكين:**

45- مذكرات الأمير عبد الله، المسماة بكتاب التبيان، تحقيق ونشر أ.ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، 1955م.

*** ابن سماك العاملي، محمد بن أبي العلاء محمد بن محمد (ت بعد 812هـ-1409م):**

46- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2010م، ط1.

*** السيوطي جلال الدين:**

47- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1384هـ-1964م، ط1.

* **الشنتريني ابن بسام أبو الحسن علي بن بسام (ت542هـ/1148م):**

48- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم1 المجلد1، القسم3 المجلدين 1 و2، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1419هـ/1998م.

* **طاش كبرى زاده أحمد بن مصطفى:**

49- موسوعة مصطلحات السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، 1998م، ط1.

* **الطرطوشي أبي بكر محمد بن الوليد الفهري(520هـ-1126م):**

50- سراج الملوك، المجلد الأول، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1414هـ-1994م، ط1.

* **ابن صاحب الصلاة عبد الملك (ت594هـ-1198م):**

51- المن بالإمامة على المستضعفبن، تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987م، ط3.

* **صاعد الأندلسي(ت462هـ/1069م):**

52- طبقات الأمم، تحقيق حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1985م، ط1.

* **الضبي ،محمد بن يحيى بن عميرة(ت599هـ/1203م):**

53- بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس، مطبعة روفس المسيحية، مجريط، 1889م.

54- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس،ج1، ج2، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ-1989م، ط1.

* **ابن عذارى المراكشي (كان حيا عام 712هـ/1311م):**

55- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، الجزء 3، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1983م، ط3.

56- البيان المغرب – قسم الموحدين- تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1985م، ط1.

57-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ط3.

*** العذري، أحمد بن أنس (ت 478هـ/1085م):**

58- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دتا.

*** ابن عميرة المخزومي، أبو المطرف أحمد (ت658هـ-1259م):**

59- تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007، ط1.

*** الغرناطي الأندلسي ابن سعيد علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت685هـ/ 1286م):**

60- المغرب في حلى المغرب، الجزء الثاني، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، دت.

*** الفارابي أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان (ت339هـ-950م):**

61- المدينة الفاضلة ومختارات من كتاب الملة، تقديم عبد الرحمن بريدة، دار موفم للنشر، 1990م،ط2.

*** الفاسي أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفهري(ت1052هـ-1639م):**

62- مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن(ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب)، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن بن الجد، دتا، دط.

*** أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر(ت732هـ/1331م):**

63- تقويم البلدان، تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.

*** القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(682هـ/1283م):**

64- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت لبنان، د ت.

***ابن قنفد القسنطيني أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن الخطيب (ت809هـ-1406م):**

65- الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ-1983م، ط4.

*** ابن القوطية:**

66- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، شركة دار الإشعاع للطباعة، القاهرة، 1989م، ط2.

*** ابن الكردبوس (ق6هـ):**

67- تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

68- **مجموع رسائل موحدية** من إنشاء كتّاب الدولة المؤمنية، جمع ليفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941م.

*** مجهول:**

69- ذكر بلاد الأندلس، ج1، تحقيق وترجمة لويس مولينا، ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983م.

70- تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007م، ط1.

*** مجهول:**

71- أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق الأبياري، شركة دار الإشعاع للطباعة، القاهرة، 1989م، ط2.

*** مجهول:**

72-كتاب الطبيخ، تحقيق أمبروزيو أويثي ميرندا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد 09-10، مدريد، 1961م، 1962م.

*** المراكشي عبد الواحد(ت647هـ/1249م):**

73- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تخريج خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1419هـ/1998م، ط1.

74- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م.

*** المراكشي أبي عبد الله ابن عبد الملك (ت703هـ/1303م):**

75- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت لبنان، د تا.

76- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1965م.

77- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1973م، ط1.

78- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط المغرب، 1984م.

*** المقري التلمساني أحمد بن محمد(ت1041هـ/1631م):**

79- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الأجزاء 1، 2، 3، 4، 7، شرح وتعليق مريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

80- أزهار الرياض في أخبار عياض، الجزء الثاني والثالث، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ-1940م.

79- أزهار الرياض في أخبار عياض، الجزء الثالث، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1361هـــ-1942م.

* **ابن الهيثم محمد بن الحسن(430هـــ-1039م):**

80- الشكوك على بطليموس، تحقيق عبد الحميد صبرة ونبيل الشهابي، دار الكتب، جمهورية مصر العربية، 1971م.

* **الونشريسي أحمد بن يحي أبي العباس (ت914هـــ-1508م):**

81- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج11، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1401هـــ-1981م.

* **اليعقوبي:**

82- كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1988م، ط1.

-المراجـــــــــع-

* **أرسلان شكيب:**

1- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دتا.

إمام زكريا بشير:

2- لمحات من تاريخ الفلسفة الاسلامية، دراسة مدخلية ميسرة، الدار السودانية للكتب، الخرطوم السودان، 1418هـــ-1998م، ط1.

* **بدير عون فيصل:**

3- التصوف الاسلامي الطريق والرجال، دار الطباعة للثقافة والنشر، القاهرة، 1982م.

* **بلغيث محمد الأمين:**

4- الربط بالمغرب الإسلامي ودورُها في عصْري المرَابطِينَ والموَّحِّدِينَ، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.

5- نظرات في تاريخ الغرب الاسلامي، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.

6- دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.

7- دراسات في تاريخ الغرب الاسلامي، دار التنوير، الجزائر، 1426هـ-2006م.

8- الحياة الفكرية في عصر المرابطين 479هـ-539هـ/1086م- 1144م، جزءان، االقافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.

بنحمادة سعيد:

9- الماء والانسان في الأندلس خلال القرنين 7هـ و8هـ/13م و14م- إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2007م، ط1.

بنميرلة عمر:

10- الثقافة والفقه والمجتمع نماذج من المغرب الوسيط-دراسة تاريخية، جذور للنشر، الرباط، 2006م، ط1.

* **بوتشيش إبراهيم القادري:**

11- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، دتا.

* **البياض عبد الهادي:**

12-الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس(ق6-8هـ/12م-14م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2008م، ط1.

* **ترحيني محمد أحمد:**

13- المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دتا.

***الثعالبي محمد بن الحسن الحجوي:**

14- الفكر السامي في الفقه الاسلامي، ج3، مطبعة دار المعارف، الرباط، 1340هـ-1921م.

* **الجارم بك علي:**

15- قصة العرب في إسبانيا، دار المعارف، مصر، 1890م.

* **جاه شريف عبد الرحمن:**

16 - لغز الماء في الأندلس، ترجمة زينب بنياية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات العربية المتحدة، 1435هـ-2014م، ط1.

* **الجَلَيند محمد السيد:**

17- من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4.

* **الجيوسي سلمى الخضراء:**

18- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، 1994م، ط1.

* **حسن علي حسن:**

19- الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس-عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ط1.

* **حسن محمد إبراهيم:**

20- دراسات في جغرافية أوربا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1999.

* **حقي محمد:**

21- البربر في الأندلس- دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية 92هـ- 422هـ- 711م- 1031م، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 1422هـ-2001م.

* **حمدي عبد المنعم محمد حسين:**

22- التاريخ السياسي والحضاري لتاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م.

* **عبد الحميد سعد زغلول:**

23- تاريخ المغرب العربي-المرابطون صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب والسودان والأندلس، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1995م، ط1.

* **الداية محمد رضوان:**

24- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ-1993م، ط2.

* **الدغلي محمد سعيد:**

25- الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي، دار أسامة، د م ن، 1404هـ-1984م، ط1.

* **الدفاع علي بن عبد الله:**

26- رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والاسلامية، مكتبة التوبة، دتا، دط.

* **دندش عصمت عبد اللطيف:**

27-الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ-546هـ/ 1116م -1151م، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1408هـ-1988م، ط1.

* **دويدار حسين يوسف:**

28- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، 138هـ-422هـ/755م-1030م، مطبعة الحسين الاسلامية، القاهرة، 1414هـ- 1994م، ط1.

* ذنون طه عبد الواحد:

29- الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال إفريقية والأندلس، دار المدار الاسلامي، بنغازي ليبيا، 2004م، ط1.

* الرجراجي محمد السعيد:

30- رباط شاكر والتيار الصوفي حتى القرن 06هـ، مؤسسة وليلى للطباعة والنشر، مراكش، 1431هـ-2010م، ط1.

* رستم محمد زين العابدين:

31- بيوتات العلم والحديث في الأندلس، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1430هـ-2009م، ط1.

* أبو رميلة هشام:

32- علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، عمان الأردن، 1404هـ-1984م، ط1.

* أبو زهرة محمد:

33- تاريخ المذاهب الاسلامية، ج2، دار الفكر العربي، مصر، د تا.

* سالم سحر عبد العزيز:

34- شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر العباسي-التاريخ السياسي والحضاري- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995م.

* سالم عبد العزيز:

35- تاريخ مدينة المرية الإسلامية-قاعدة أسطول الأندلس- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984م.

* **سالم سيسالم عصام:**

36- جزر الأندلس المنسية-التاريخ الإسلامي لجزر البليار-89هـ-685هـ/708م-1287م، بيروت لبنان، دار العلم للملايين، 1984م، ط1.

* **السامرائي خليل إبراهيم صالح:**

37- الثغر الأعلى الأندلسي، دراسة في أحواله السياسية 95هـ-316هـ/714م-928م، مطبعة أسعد، بغداد العراق، 1976م.

* **السامرائي وآخرون:**

38- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لنان، **2000**، ط**1**.

* **السلاوي أحمد بن خالد الناصري:**

39-كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الثاني، تحقيق أحمد الناصري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001م.

* **السيد محمود:**

40- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دتا.

* **السيوطي خالد عبد الحليم عبد الرحيم:**

41- الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في الأندلس، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.

* **الصلابي علي محمد:**

42- فقه التمكين عند دولة المرابطين، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1427هـ-2006م، ط1.

* **ضيف شوقي:**

43- الرحلات، دار المعارف، القاهرة، دتا، ط4.

44- المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، دتا، ط7.

* **الطاهري أحمد:**

45- التجارة والمبادلات بالأندلس ميلاد الرأسمالية بالبلاد المغربية، Graficas Moreno .s.l.Bormujos (sevilla),2015.

* **طويل مريم قاسم:**

46- مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح 443هـ-484هـ/1005م-1091م، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ-1994م، ط1.

* **العامري محمد بشير حسن:**

47- دراسات حضارية في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعارف، القاهرة، 2014م.

* **عباس إحسان:**

48- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق، عمان الأردن، 1997م.

* **العبده محمد و كريم طارق:**

49- الصوفية نشأتها وتطورها، دار الأرقم، الكويت، 1997م، ط2.

* **عز الدين عمر أحمد موسى:**

50- دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، دار الشروق، بيروت، 1403هـ-1983م، ط1.

***العسلي بسام:**

51- عبد الرحمان الناصر، دار النفائس، بيروت، 1400هـ-1980م، ط1.

*** عنان محمد عبد الله:**

دولة الإسلام في الأندلس:

52- العصر الثالث - المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ط2.

53- الجز الخامس – عصر الموحدين- مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.

54- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال- دراسة تاريخية أثرية- مطبعة المدني، القاهرة، 1417هـ-1997م، ط2.

*** عناني محمد زكريا:**

55- الموشحات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1980م.

56- تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1999م.

عبد الفتاح علي:

57- أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، ج1، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1431هـ-2010م، ط1.

*** أبو الفضل محمد أحمد:**

58- شرق الأندلس في العصر الإسلامي 515هـ-686هـ/1121م-1287م- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري- دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.

59- تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي- دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996م.

*** كُحيلة عبادة بن عبد الرحمان رضا:**

60- الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 1995م، ط1.

* **كوثراني وجيه:**

61- تاريخ التأريخ – اتجاهات- مدارس- مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013م، ط2.

* **مؤنس حسين:**

62- فجر الأندلس-دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711م-756م)، دار المناهل، بيروت لبنان، 1432هـ-2002م، ط1.

محمدين محمد محمود:

63- التراث الجغرافي الاسلامي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1429هـ -1999م، ط3.

مراياتي محمد وآخرون:

64- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، ج1، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دتا.

* **أبو مصطفى كمال السيد:**

65- تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي(95هـ-495هـ/714م-1102)-دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د تا.

66- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997م.

المعلوف عيسى اسكندر:

67- تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة، مؤسسة هينداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014م.

* **مكي الطاهر أحمد:**

68- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة، 1987م، ط3.

* **منصور أحمد صبحي:**

69- الحسبة- دراسة أصولية تاريخية، المركز العربي المصري، 1995م، ط1.

* **المنوني محمد:**

70- حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، 1989م، ط1.

* **النجار عبد المجيد:**

71- المهدي بن تومرت- أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 524هـ- 1129م، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثرها بالمغرب، دار الغرب الاسلامي، 1403هـ-1983م، ط1.

* **نصر الله سعدون عباس:**

72 - دولة المرابطين في المغرب والأندلس- عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ-1985م، ط10.

* **نكادي يوسف:**

73- الزراعة في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، مطبعة الجسور، وجدة المغرب الأقصى، 2007م، ط1.

***الهروس مصطفى:**

74- المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري-نشأة وخصائص، مطبعة فضالة، المغرب، 1418هـ-1997م.

***الوراكلي حسن:**

75- ياقوتة الأندلس دراسات في التراث الأندلسي، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 1994م، دط.

* **ولد أبّاه محمد المختار:**

76- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1429هـ- 2008م، ط2.

-الكتب المترجمة-

* **أشباخ يوسف:**

77- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1417هـ-1996م، ط2.

* **بالنثيا آنخل جينثالث:**

78- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دتا.

* **بروفنسال ليفي:**

79- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م.

80- الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1994م، ط3.

* **دوزي رينهارت:**

81- المسلمون في الأندلس، ج3، ترجمة وتعليق حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، 1995م.

* **كلوزيه رينيه:**

82- تطور الفكر الجغرافي، تعريب عبد الرحمان حميدة، دار الفكر، دمشق، 1405هـ-1985م.

* **كولان.ج.س:**

83- الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب، بيروت، 1980م، ط1.

* **مارسيه جورج:**

84- بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، ددن، الاسكندرية، 1991م.

كاسترو أميركو:

85- اسبانيا في تاريخها- المسيحيون والمسلمون واليهود، ترجمة علي إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ط1.

-الرسائل والأطروحات-

* **بحري يونس:**

86- الفقه المالكي في عصر الموحدين 515هـ-668هـ/1116م-1269م، (دراسة تاريخية واجتماعية)، (رسالة ماجستير)، إشراف صالح بن قربة، جامعة الجزائر1، 1432هـ-1433هـ/2011م-2012م.

* **بلحاج طرشاوي:**

87- العمارة الاسلامية أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية(أطروحة دكتوراه)، إشراف معروف بلحاج، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1428هـ-1429هـ/ 2006م-2007م.

* **بديوي خالد محمد أحمد:**

88- الحياة السياسية والادارية والاجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون"170هـ-218هـ/786م-833م"(رسالة ماجستير).

* **بواشرية بلقاسم:**

89- مملكة بني هود في الثغر الأعلى أيام الطوائف والمرابطين بالأندلس431هـ - 1039م/ 524هـ-1131م- دراسة في الأحوال السياسية-(رسالة ماجستير)، إشراف محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر 02، 2010م- 2011م.

* **بن بيه محمد محود عبد الله:**

90- الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين (رسالة ماجستير)، إشراف محمد أحمد حسب الله، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418هـ-1997م.

* **عبد الجبار صديقي:**

91- سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات (رسالة ماجستير)، إشراف مكوي محمد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1434هـ-1435هـ/ 2013م -2014م.

* **جدو فاطمة الزهراء:**

92- السلطة والمتصوفة عهد المرابطين والموحدين(رسالة ماجستير)، إشراف إبراهيم بكير بحاز، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007م-2008م.

* **الحساني فايزة بنت عبد الله:**

93- تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها 316هـ-512هـ/928م-1118م- دراسة سياسية وحضارية-(رسالة ماجستير)، إشراف سعد عبد الله البشري، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1429هـ-1430هـ/2009م-2010م.

* **بن ذيب عيسى:**

94- المغرب والأندلس في عصر المرابطين-دراسة اجتماعية اقتصادية 480هـ-540هـ/1056م-1145م(أطروحة دكتوراه)، إشراف أحمد شريفي، جامعة الجزائر، 1429هـ-1430هـ/2008م-2009م.

* **زيان علي:**

95- المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي (رسالة ماجستير)، إشراف علاوة عمارة، جامعة منتوري، قسنطينة، 1431هـ-1432هـ/ 2010م-2011م.

* **عباسي يحي أبو المعاطي محمد:**

96- الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس-238هـ-488هـ/852م-1095م، ج1 وج2، (رسالة دكتوراه)، جامعة القاهرة، 2000م.

* **العبيدي إيمان محمود جمادي:**

97- التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري،(أطروحة دكتوراه)، إشراف كريم عجيل حسين، جامعة الأنبار، 1433هـ- 2011م.

* **عمار ربيح:**

98- مدرسة النحو في المغرب والأندلس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين – دراسة في المصطلح والمنهج والوظائف(أطروحة دكتوراه)، إشراف محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008م-2009م.

* **العصيمي إيمان بنت دخيل الله:**

99- العلاقات العلمية بين الأندلس ومدينة فاس بداية القرن الثالث الهجري وحتى سقوط غرناطة -201هـ-897هـ/817م-1492م- (رسالة ماجستير)، إشراف وفاء عبد الله المزروع، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430هـ-2009م.

* **قرل عبد المالك:**

100- الأبعاد الثقافية والدينية وأثرها في نشأة علوم القرآن(رسالة ماجستير)، إشراف محمد طول، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008م-2009م.

* **محمد محمود نوفل سلسبيل:**

101- شعر الأطباء في الأندلس القرن السادس للهجرة(أطروحة استكمالا لدرجة الماجستير)، إشراف وائل أبو صالح، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009م.

* **محمود حسن حميد القيسي بيداء:**

102- الزراعة والري في الأندلس في عصري الإمارة والخلافة- 138هـ- 422هـ/756م-1030م، (رسالة الماجستير)، إشراف، محمد بشير حسن العامري، كلية العلوم للبنات، بغداد، دتا.

* **مطلق ألبير حبيب:**

103- الحركة اللغوية في الأندلس- منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، (رسالة لنيل درجة أستاذ في الأدب)، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1965م.

* **نويوة واعظ:**

104- أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية 580هـ -633هـ/1184م- 1285م (رسالة ماجستير)، إشراف مبارك بوطارن، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2007م-2008م.

* **الهرفي سلامة محمد سلمان:**

105- الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين(رسالة ماجستير)، إشراف أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1402هـ-1982م.

-المجلات والدوريات-

1- **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية:**

- ليوبولد توريس بلباس، الأبنية الاسبانية الاسلامية، تعريب علية إبراهيم العناني، العدد 01، السنة الأولى، مدريد، 1372هـ- 1953م.

- حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، العدد 03، المجلد الأول، مدريد، 1374هـ/ 1955م.

- حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من البداية إلى الحجاري، العددين 7- 8، مدريد، سنة 1959م- 1960م.

- حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، العددين 9-10، مدريد، سنة 1961م، 1962م.

- أمبروزيو أويثي ميرندا، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، العددين 9-10، مدريد، سنة 1961م، 1962م.

2- مجلة مجمع اللغة العربية:

- شوقي ضيف، عقيدة الموحدين بين التشيع والاعتزال، الجزء 76، القاهرة، 1415هـ-1995م.

- محمود علي مكي، مقامات الحريري وإعجاز القرآن في حوار مسيحي إسلامي في الأندلس، الجزء 79، القاهرة، 1417هـ-1996م.

- محمود علي مكي، مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في اسبانيا، القسم 1، الجزء 80، القاهرة، 1417هـ-1996م.

- عبد السميع محمد أحمد، الأعلام الجغرافية- دراسة في تكونها وفلسفتها، القسم 1، الجزء 80، القاهرة، 1417هـ-1996م.

3- مجلة آداب البصرة:

- أكرم حسين غضبان، الاقطاع في عهد الموحدين، العدد 51، كلية الآداب، البصرة، 2010.

4- مجلة دراسات تاريخية:

- علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، العددان 57- 58، جامعة دمشق، 1996م.

5- مجلة البحوث والدراسات:

- عبد الكريم بوغزالة، الامامان أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني وأبو داود سليمان بن نجاح وجهودهما في خدمة المصحف الشريف "علم الضبط القرآني نموذجا"، العدد 10، المركز الجامعي، الوادي، الجزائر، 1431هـ- 2010م.

- عبد الرحمان تركي، تفسير القرآن الكريم بالمغرب العربي والأندلس(دراسة تحليلية في تفاسير القرآن)، العدد 15، جامعة الوادي، الوادي، الجزائر، 1434هـ-2013م.

6- **مجلة سرى من رأى:**

- أسامة عبد الحميد حسين، فقهاء الدولة المرابطية وإحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، قسم التاريخ، كلية التربية سامراء، جامعة تكريت، العدد 1، المجلد 1، 1436هـــ-2005م.

7 - **مجلة الاجتهاد:**

- جورج كتورة، التصوف والسلطة: نماذج من القرن السادس الهجري في المغرب والأندلس، العدد 12، السنة الثالثة، بيروت لبنان، 1412هـــ-1991م.

- الحسين بولقطيب، ابن تومرت وتجديد الفكر الاسلامي، العدد 20، السنة الخامسة، بيروت لبنان، 1414هـــ-1993م.

- أثر الاقطاع في تاريخ الأندلس السياسي(لإبراهيم القادري بوتشيش)، مراجعة محمد حناوي، العدد 22، السنة السادسة، بيروت لبنان، 1414هـــ-1994م.

8 - **مجلة الانسان والمجتمع:**

- مبخوت بودواية وعمر راكة، "المهدي بن تومرت" والدعوة الموحدية، مجلة الانسان والمجتمع، العدد7، جامعة تلمسان، ديسمبر 2013م.

- رابح فيسة محمد، إحصاء جملة من قرى بلاد الأندلس من خلال مصادر وكتب التاريخ الاسلامي، العدد 9، جامعة تلمسان، ديسمبر 2014م

9- **مجلة الأصالة:**

- إحسان عباس، هل كان الشعر في الأندلس سببا في انحلال أخلالها ثم سقوطها؟ أم كان لها مجرد مرآة وانعكاس؟ العدد 27، أعمال الملتقى التاسع للفكر الاسلامي، رجب 1395هـــ-يوليو 1975م، تلمسان.

10- **مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية:**

- علي قنبر إلياس، بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي-508هـــ-599هـــ/1115م-1202م، مجلد 10، العدد 2، جامعة الموصل، 2010م.

- رائد راكان قاسم الجواري، جهود الشريف الادريسي في الفكر الجغرافي العربي-493هـ-560هـ/1100م-1166م، مجلد 11، العدد 3، جامعة الموصل، 2011م.

11- **مجلة عالم المعرفة:**

- حسين مؤنس، المساجد، العدد 37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981م.

12 - **مجلة جامعة كربلاء العلمية:**

- عباس فضل حسين المسعودي، الأمير السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن ودوره العسكري والسياسي والحضاري في المغرب والأندلس، مجلد8، العدد2، جامعة المثنى، 2010م.

13- **المجلة المغربية للدراسات الاسبانية:**

- مصطفى اعديلة، الفتح المرابطي، العدد2، دار الخطابي للطباعة والنشر، فاس، المغرب، 1991م.

14- **مجلة التربية والعلم**، المجلد 17، العدد 1، جامعة الموصل، العراق، 2010م.

15- **مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية)**، المجلد 21(1)، جامعة البنات، الرياض، 2007م.

16- محاضرة عبد المطلب جبار عبد الله، القلاع والحصون في المدن الاسلامية (دراسة تاريخية)، معهد الفنون الجميلة للبنات، دتا.

17- **مجلة الخلدونية للعلوم الانسانية والاجتماعية:**

- غرداين مغنية، ثورة المريدين بغربي الأندلس، العدد السادس، جامعة ابن خلدون تيارت، 2013م.

18- **عالم المعرفة:**

- دونالد ر. هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الاسلامية، ترجمة أحمد فؤاد باشا، العدد 305 ، مطابع السياسة، الكويت، جمادى الأولى 1425هـ-يوليو 2004م.

19- **مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث:** - فؤاد بن أحمد، ابن طملوس والوضعية الفكرية في الأندلس في مراجعة دعوى دومينيك أورفوا، قسم الفلسفة والعلوم الانسانية، الرباط، 2016م.

-الموسوعات والمعاجم-

1- التراث المالكي في الغرب الاسلامي(سلسلة ندوات ومناظرات)، دار المعارف الجديدة، الرباط، 1998م.

2- شوقي أبو الخليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1425هـ-2005م.

3- ندوة الأندلس-الدرس والتاريخ، مركز المؤتمرات بالشاطبي، الإسكندرية، 1414هـ-1994م.

4- المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المشرق، 1986م، ط27، قسم الأعلام.

5- دائرة المعارف، الجزء الأول.

6- موجز دائرة المعارف، ج14.

7- يعقوبي محمد، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، 1998م، ط2.

8-كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين، الجزء التاسع.

9- موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج1.

-المراجع والمجلات باللغة الأجنبية-

1- Dominique sourde , histoire des arabes, imprimé universitaires de France, 1976.

2- Marc Bergé , Histoire et civilisation des arabes et du monde musulman -des origines a la chute du royaume de grand racontée par les témoins ix°-xv siècle ,édition lidis ,paris.

3- Philippe Conrad , Histoire de la Reconquista, imprimé de France ,1998.

4- Bernard.f.Reilly, cristianos y musulmanes, 1037-1157, historia de espana ,traduccion castellana de jordi Beltran-Editorial critica, Bercelona .1992.

5- Estudios de Numismatica Arabo- Hisbana, Editado por : Alberto Garcia y tawfiq Ibrahim, Madrid, 2001.

6- Numismatica, 93, bacelona, 1988.

7- Nuevas aportaciones, IV Jariqe de numismatica Andalusi, 2000.

8- juan jose rodriguez y Tawfik Ibrahim, numismatica de Ceuta Musulmana.

9- Hesperia Culturas del Mediterraneo, N 19, Ano x-2015.

10- Mhamma benaboud, SEVILLA EN EL SEGLO XI, El REINO ABBADI DE SEVILLA (1023-1093),BIBLIOTECA DE TEMAS SEVILLANOS, SEVILLA, 1992.

فهـــــرس الأعلام

فهــــــرس الأعلام

أ

ث

ج

ح

فهـــــــرس الأماكن

فهـــــــــــــرس الأمـــاكن:

أ

ب

ر

ز

س

ش

فهرس الموضوعات